الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كليـــة: أصـــول الديـــن

قسم: الكتاب والسنة

تخصص: تفسير وعلوم القرآن

الاتجاه الاجتماعي في التفسير عند الشيخ عبد الحميد بن باديس من خلال تفسيره "مجالس التذكير"

بحث مقدم لنيل شهادة ماجستير في العلوم الإسلامية تخصص تفسير وعلوم القرآن

إعداد :

الطالبة سعيدي عائشة

إشراف:

أ.د. رمضان يخلف

لجنة المناقشة:

أ.د. حسان موهوبي	جامعة الأمير عبد القادر	رئيـــسا
أ.د. رمضان يخلف	جامعة الأمير عبد القادر	مشرفا ومقررا
أ.د.عمار طسطاس	جامعة الأمير عبد القادر	مناقـــشا

الموسم الجامعي 2013/2012

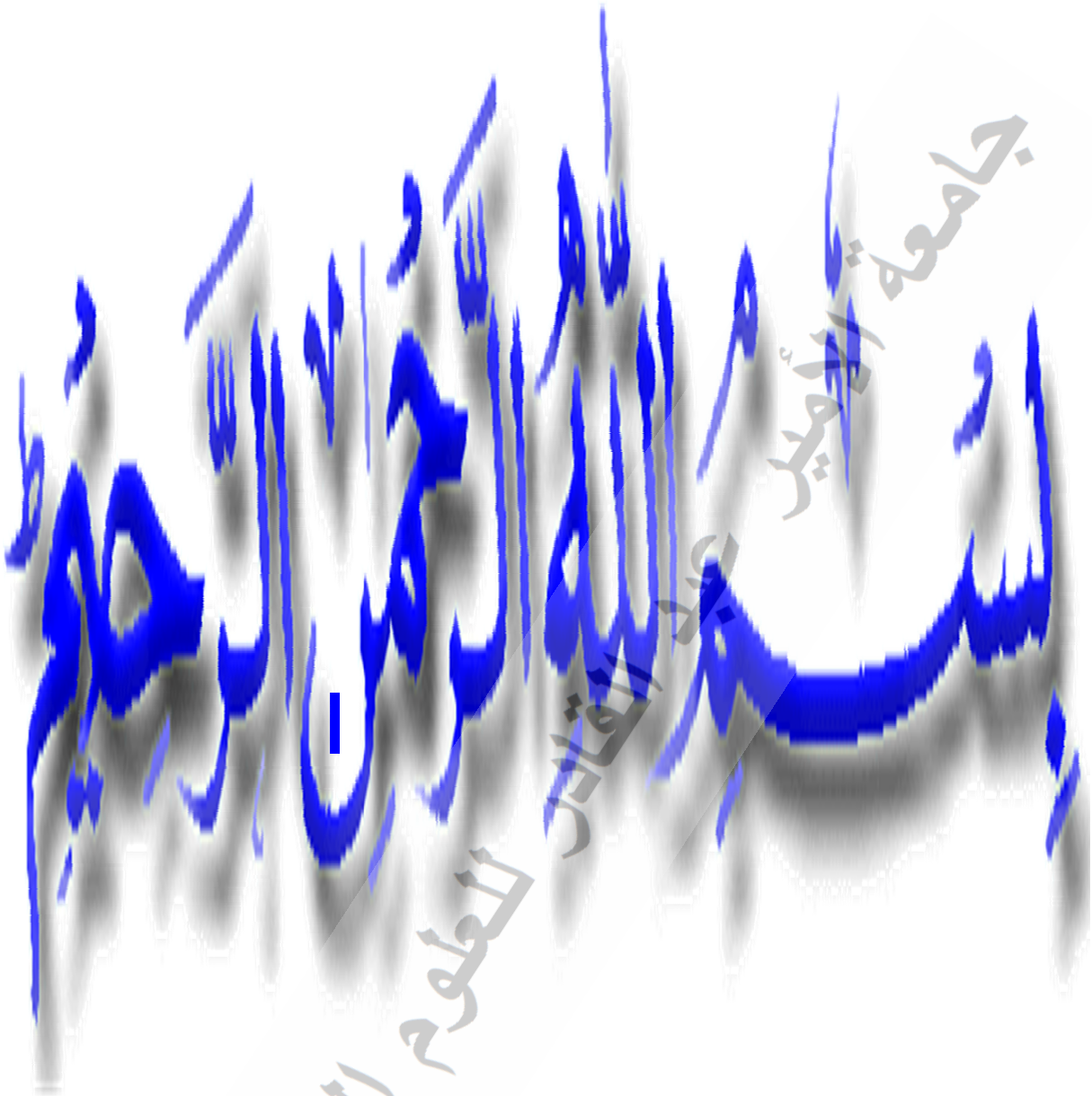

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمان الرحيم

"اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا

مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ

زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا

يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي

اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ

لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ "

النور : 35

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير

لك الحمد ربي على ما أنعمت ولك الفضل والمن على ما هديت ولك

وحدك الشكر على ما وفقت ،إن التوفيق منك والهداية ترجع إليك

والصلاة والسلام على نبيك ورسولك وآله وصحابته أجمعين .

أتقدم بخاص الشكر لأستاذي المشرفين الأستاذة 'صونيا وافق '،والأستاذ

'رمضان يخلف' على ما تحملاه معي من مشاق هذا البحث إلى أن وصل إلى صياغته النهائية .

خالص الشكر لأعضاء اللجة المناقشة ،إلى السيد رئيس القسم .

إلى كل أساتذتي ،إلى كل من علمني حرفا

إلى كل أفراد قسم الكتاب والسنة ، إلى عمال مكتبة أحمد عروة

إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد

المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحمد لله جعل القرآن ربيع قلوتنا وبهجة نفوسنا ونور عقولنا وهادي علومنا ومدبر أمورنا ومرجع خلافنا وحكم ما بيننا ونظام دولتنا ومنهج أمتنا وملجأ تائهنا وهادي ضالنا وشفاء لما في صدورنا. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آل وصحبه أما بعد :

في القرآن الكريم أسباب الكمال للحياتين الدنيوية والأخروية فيه تنوير العقول وتزكية النفوس،وتصحيح العقائد كما يتعدى كل هذا إلى تنظيم الاجتماع من ناحية، وتشييد العمران من ناحية أخرى .

لهذا اتجهت طائفة من المفسرين إلى القرآن طالبين علاجا لمشكلات وعلل مجتمعاتهم ملتمسين الدواء والعلاج من هذا النبع الصافي نبع القرآن، فنشأ بهذا لون من ألوان التفسير، وهو التفسير الإصلاحي الاجتماعي، وانتشر في كافة البلدان العربية، ومن بينها الجزائر والتي عرفت أعلاما برزوا في هذا الجانب التفسيري محاولة منهم إصلاح أوضاعها خاصة أثناء الاستعمار الفرنسي لها، منهم الشيخ أطفيش، الشيخ عمر بيوض، الشيخ البشير الإبراهيمي والشيخ عبد الحميد بن باديس صاحب تفسير "مجالس التذكير" .

والواقع أن شخصية الشيخ عبد الحميد بن باديس نموذج فريد للمفسر المصلح الذي وَعِيَ دوره ورسالته في وطنه إبان الفترة الاستعمارية ومحاولة القضاء على شخصيتها الإسلامية من جهة ومقومات عروبتها من جهة أخرى.

وهكذا كان سوء الأحوال الدينية، الخلقية،الفكرية والسياسية في الجزائر أمرا ينذر بالخطر ويستوجب ضرورة الإصلاح، فاتجه ابن باديس إلى القرآن ينهل منه ويفسر آياته طيلة ربع قرن مستخرجا الدواء الشافي لأمته، ولم يبق لنا من تفسيره هذا إلا الشيء القليل والذي جمع في "مجالس التذكير" والذي يعد كنزا تفتخر به هذه الأمة .

وبحثي هذا الموسوم بـــ "الاتجاه الاجتماعي في التفسير عند الشيخ عبد الحميد بن باديس من خلال تفسيره مجالس التذكير " محاولة للكشف عن شخصية الإمام ابن باديس وجهوده التفسيرية الإصلاحية من خلال تفسيره "مجالس التذكير"، كذا التعرف على أهم الجوانب التي تطرق إليها في محاولته علاج أمراض وعلل مجتمعه لإعطاء نموذج إصلاحي اجتماعي مستوحى من هدي الكتاب والسنة على منهج ابن باديس .

إشكالية البحث :

إن المتأمل لأوضاع المسلمين في البلاد العربية عامة والجزائر خاصة يلاحظ سوء الأحوال في شتى الميادين اقتصادية، اجتماعية, دينية وخلقية، إضافة إلى سيف الجهل والجور المنصب على رؤوسهم، وهذا الموضع المزري يوجب على الدعاة والمصلحين محاولة إيجاد حلول لمشكلات وأزمات مجتمعاتهم وإصلاح واقعهم.

ورغم أن عملية الإصلاح عملية زمكانية تبقى فرص الالتقاء والتقارب قوية من أجل تجاوز حدود الزمان والمكان بالنظر إلى وحدة المصدر والأهداف رغم اختلاف الوسائل والمناهج، حاولت أن أطرح التجربة الإصلاحية الباديسية من خلال تفسيره " مجالس التذكير" عند محاولته إصلاح وعلاج علل المجتمع الجزائري إبان الفترة الاستعمارية لإعطاء نموذج إصلاحي اجتماعي مستوحى من هدي الكتاب والسنة على منهج الشيخ عبد الحميد بن باديس .

فما هي جهود ابن باديس الاجتماعية الإصلاحية في تفسيره " مجالس التذكير" ؟ و ما هي أهم الجوانب التي تطرق إليها عند محاولته علاج أمراض وعلل مجتمعه ؟

ولتحديد معالم هذا الموضوع شرعت بعون الله في انجاز هذا العمل والذي دعتني إليه أسباب عدة .

أسباب اختيار الموضوع :

كل دراسة تبدأ بهدف وإلى هدف معين تنتهي، وقد تعددت الأسباب التي جعلتني أختار هذا الموضوع للبحث ومن أهمها :

- توجه معظم الباحثين على امتداد الحركة التفسيرية إلى دراسة بعض التفاسير والتركيز عليها دون غيرها، وهذا ما دفعني لاختيار تفسير من التفاسير الجزائرية ليكون محل دراستي.
- محاولة إلقاء الضوء على واقع التفسير في الجزائر وأهم اتجاهاته وأبرز أعلامه لتعريف هذه الأمة بتراثها التفسيري .
- لم يحظ تفسير ابن باديس إلا بالقليل من الدراسة المتعلقة بمنهجه وخاصة اللون الإصلاحي الاجتماعي فيه.
- محاولة التعرف على الاتجاه الإصلاحي الاجتماعي في التفسير
- السعي لإبراز الجوانب الإصلاحية في تفسير المجالس والمستقاة من معين الكتاب والسنة، لكي يكون منهجا لنا ولغيرنا لتأسي به، ومحاولة تطبيقه وتعليمه لغيرنا خاصة في واقعنا المعيش وما يسوده من اضطراب في شتى الميادين وبُعدٍ عن هدي القرآن .
- أما السبب الذاتي الذي دفعني لاختيار الموضوع فيتمثل في إعجابي الشديد بشخصية الشيخ عبد الحميد بن باديس .

وبعد ذكر الدوافع التي أدت بي إلى اختيار هذا الموضوع تتجلى لنا أهمية هذا الموضوع والمتمثلة في التعرف على إسهامات الشيخ عبد الحميد بن باديس في التفسير وخاصة الاتجاه الاجتماعي الإصلاحي فيه، ومحاولة إبراز طريقته التفسيرية الإصلاحية المستوحاة من نبع القرآن والسنة ليكون نموذجا يقتدى به في عمليات إصلاح المجتمعات والعودة بها إلى هدي القرآن .

أهداف الدراسة :

أما فيما يخص الأهداف التي أتوخى تحقيقها من خلال هذا البحث فهي

- الكشف عن شخصية الشيخ عبد الحميد بن باديس وجهوده التفسيرية الإصلاحية الاجتماعية من خلال تفسره المجالس .
- التعرف على الجوانب التي تطرق إليها ابن باديس في محاولة علاج أمراض وعلل مجتمعه .
- إعطاء نموذج إصلاحي اجتماعي مستوحى من هدي الكتاب والسنة على منهج ابن باديس .

و لتحقيق الأهداف المرجوة من هذا البحث وتأصيل فصوله ومباحثه قسمته إلى : مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة .

خصص الفصل الأول منه للحديث عن مفهوم الاتجاه الاجتماعي في التفسير بصورة عامة وكذلك الحديث عن التفسير والمفسرون في الجزائر، كذا الاتجاه الإصلاحي الاجتماعي فيها .

أما الفصل الثاني فقد تم تخصيصه للحديث عن الإمام عبد الحميد بن باديس وتفسيره "مجالس التذكير".

و اشتمل الفصل الثالث والأخير على جوانب التفسير الاجتماعي عند الشيخ عبد الحميد بن باديس، ثم ختم البحث بخاتمة حوت أهم النتائج المتوصل إليها، ثم اتبعت هذه الخاتمة بملخص موجز للبحث ومجموعة من الفهارس شملت : فهرس الآيات القرآنية، فهرس الأحاديث النبوية، فهرس للأعلام، قائمة للمصادر والمراجع المعتمدة وفهرس للموضوعات .

المنهج المتبع في الدراسة :

من أجل إعطاء الموضوع حقه من البحث، وتحقيق أهدافه المرجوة اعتمدت على "المنهج التحليلي النقدي" والذي يعد أهم المناهج في هذا البحث وذلك عند تحليل النماذج المختارة من تفسير المجالس ومحاولة شرحها واستخلاص أهم فوائدها .

الدراسات السابقة :

إن العلم بناء متكامل وسلسلة متصلة الحلقات والبحث العلمي الناجح هو الذي يبنى على الأبحاث والدراسات السابقة لتفادي الأخطاء واستخلاص التجارب، ومن خلال استطلاعي لاحظت وجود عدد من الدراسات التي عالجت جانبا أو أكثر من جوانب موضوع الدراسة نذكر منها على سبيل المثال :

- دراسة الباحث الدكتور هلال خزاري وقد جاءت الدراسة تحت عنوان "أهم اتجاهات التفسير في بلاد المغرب في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين" لنيل شهادة الدكتوراه بالجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد، باكستان، حيث تناولت الدراسة أهم اتجاهات التفسير في المغرب العربي خلال هذه الفترة، وقد تناولت بعض جوانب التفسير الاجتماعي عند الشيخ عبد الحميد بن باديس عند الحديث عن الاتجاه الاجتماعي للتفسير في المغرب العربي .
- دراسة الباحثة نادية وزناجي ودراستها تحمل عنوان "منهج التفسير عند الشيخين عبد الحميد بن باديس وإبراهيم بيوض" لنيل شهادة الماجستير .جامعة باتنة، وقد تطرقت لدراسة منهج التفسير عند الشيخ عبد الحميد بن باديس بصفة عامة، وأما الجانب الإصلاحي الاجتماعي فيه فقد تناولته بشيء من الاختصار وعدم التوسع .
- الباحث عبد الرحيم صالحي من خلال بحثه "منهجية التفسير عند الإمام ابن باديس" لنيل شهادة الماجستير بجامعة الأمير عبد القادر . قسنطينة، وتحدثت هذه الدراسة أيضا عن الشيخ عبد الحميد بن باديس ومنهجه التفسيري وأهم خصائصه أما الجانب الاجتماعي الإصلاحي فيه فقد أشار إليه فقط .

هذا ما قدمته هذه الدراسات للموضوع، وجاءت دراستنا هذه تثمينا وتكملة لجوانب النقص فيها، حيث حاولنا من خلالها التعمق والتوسع أكثر في دراسة الجوانب التفسيرية الإصلاحية الاجتماعية عند الشيخ عبد الحميد بن باديس باعتبارها موضوع الدراسة .

مصادر البحث :

استدعت الدراسة الاستعانة بمجموعة من المصادر والمراجع نذكر أهمها :

- تفسير ابن باديس أو "مجالس التذكير" باعتباره محل الدراسة .
- الكتب التي تحدثت عن العلامة ابن باديس وتفسيره فنذكر منها : 'عبد الحميد بن باديس مفسرا' لحسن عبد الرحمان سلوادي، 'عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره' لعمار طالبي، 'الرد النفيس للطاعن في العلامة ابن باديس' لمحمد حاج عيسى .
- كما لا ننسى رسالة الدكتور هلال خزاري الموسومة بـــ ' أهم اتجاهات التفسير في بلاد المغرب في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين' .
- كما رجعت للكتب التي تحدثت عن الاتجاه الاجتماعي في التفسير مثل :'اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر' و' بحوث في أصول التفسير ومناهجه ' و'منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير' لفهد الرومي و 'التفسير والمفسرون' للذهبي .

هذا فيما يخص أهم المصادر والمراجع المعتمدة في البحث، رغم وجود الكثير من الصعوبات التي اعترضتني خلاله .

الصعوبات :

أما الصعوبات التي واجهتني أثناء كتابة هذا البحث فاختصرها في النقاط التالية

- قلة الكتابات حول منهج الشيخ ابن باديس في التفسير خاصة ما تعلق بالجانب الإصلاحي الاجتماعي فيه.

- **قلة الكتابات حول شخصية ابن باديس في مجال التفسير، إذ أن أغلب ما كتب عنه كان من منطلق الفكر الإصلاحي بصورة عامة دون التركيز على أهم وسيلة في الإصلاح وهي تفسير كتاب الله .**
- **صعوبة الحصول على بعض الرسائل الجامعية وخاصة الموجودة في جامعات خارج الوطن مثل دراسة الدكتور محمد السيسي التي تحمل عنوان " الاتجاه الاجتماعي للتفسير في العصر الحديث".**

هذه بعض الصعوبات التي اعترضتني طيلة مدة إنجازي لهذا البحث ولا أخالني رغم الجهد المبذول قد وفيت الموضوع حقه من الدراسة فهذه طبيعة كل عمل بشري, فما كان فيه من صواب فمن الله وحده لا شريك له، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان الرجيم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول : الاتجاه الاجتماعي للتفسير في الجزائر

تمهيـــد

المبحث الأول : التفسير والمفسرون في الجزائـــر

المبحث الثاني : مفهوم الاتجاه الاجتماعي في التفسير

المبحث الثالث :التفسير الاجتماعي في الجزائر

خلاصة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيـــد :

تستدعى طبيعة هذه الدراسة افتتاحها بفصل نجلي فيه بعض المفاهيم الخاصة بها، لهذا خصصته للحديث عن الاتجاه الاجتماعي الإصلاحي في التفسير وأهم مميزات والأسس التي يقوم عليها وأهم رواده.

وباعتبار ابن باديس من المفسرين الجزائريين في هذا القرن ارتأيت أن أعرج على التفسير والمفسرون الجزائريون عبر القرون, لبيان أن التفسير في الجزائر ليس وليد هذا القرن بل هو ممتد عبر القرون ابتدءا من القرن الثاني الهجري ووصولا إلى القرن الرابع عشر الهجري, مع ظهور الاتجاه الاجتماعي الإصلاحي فيها على يد مجموعة من المفسرين أمثال الشيخ "عمر إبراهيم بيوض"، الشيخ "أطفيش" ورائد النهضة الجزائرية "عبد الحميد بن باديس" مع تفسيره "مجالس التذكير" .

المبحث الأول : التفسير والمفسرون في الجزائر

لم ينقطع سكان الجزائر عن درس القرآن وحفظه وتفسيره ابتـــداء مـــن أول تفســـير عـــرف في هـــذه الديار والذي قام به "هود بن محكـــم الهـــوا ري " في جبـــل الأوراس، إلى آخـــر تفســـير في العصـــر الحاضـــر "تفسير الشيخ بيوض."[1].

فإن المتتبع لكتب التاريخ وكتب الطبقات والتراجم يندهش مـــن وجـــود عبـــاقرة مغمـــورين وغـــير مشهورين من نوابغ العلماء, وأرباب القرائح في شتى المعارف وخاصـــة في علـــوم القـــرآن ودراســـته وتفســـيره رواية ودراية، والذين كرسوا حياتهم لخدمة العلم وإرساء قواعده في أرجاء الجزائر .

وقد امتازت الجزائر ولاتساع رقعتها بكثـــرة المراكـــز العلميـــة ومـــن أشـــهرها مدينـــة "طابنـــة[2]، تهرت[3]، مسيلة[4]، وبجاية، وفي شمال الجزائـــر وهـــران وتـــنس، وفي الجنـــوب بســـكرة و ورقلـــة وفي الغـــرب تلمسان وفي الشرق مدينة قسنطينة وغيرها.

---

[1]- أهم اتجاهات التفسير في بلاد المغرب في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الاهجريين : هلال خزاري .رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه .الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد. باكستان (1423هـــ- 2003) .ج2 .ص1144

[2]- طابنة مدينة بالزاب الجزائري قريبة من جبال الأوراس

[3]- تهرت :عاصمة الدولة الرستمية (160هـــ-296هـــ)

[4]- مدينة تقع جنوب الجزائر العاصمة

ووقفت هذه المراكز العلمية كالرواسي الشم تشد من أزر بعضها البعض وتتبادل فيما بينها حمل مشعل العلم والثقافة الإسلامية ببلاد الجزائر, ونشر رسالتها في الجهات القاصية والدانية[1].

وقد خصصت هذا المدخل للتعريف بشخصيات عظيمة لها وزنها بمعيار التدرج التاريخي لتلك العهود السابقة في هذا الوطن الذي لم ينقطع الخير والفضل منه على مر الأجيال والعصور و على اختلاف نواحيه وأرجائه,[2] في ميدان التفسير ابتداء من القرن الثاني والذي بزغ فيه أول نوابغ تفسير القرآن الكريم في القطر الجزائري وهو "عبد الرحمان ابن رستم" ووصولا إلى القرن الرابع عشر الاهجري مع آخر مفسر فسر القرآن كاملا وهو "الشيخ عمر بيوض" .

المطلب الأول : المفسرون الجزائريون من القرن الثاني إلى القرن الرابع االهجري

الفرع الأول: القرن الثاني الهجري

برز في القرن الثاني الهجري أول مفسر في القطر الجزائري وفي أول دولة جزائرية حرة مستقلة وهو عبد الرحمان بن رستم بن بهرام [3]؛ أول من ملك من الرستميين فيها، كان من فقهاء الإباضية في إفريقيا، معروفا بالزهد والتواضع وكان على جانب عظيم من العلم والعمل والعدل[4].

استخلفه أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري زعيم الإباضية في إفريقيا على القيروان سنه 144هـ، حيث خرج لقمع شوكة قبيلة فرجومة المقيمة بطرابلس, لكن مقتل أبو الخطاب على جيش عبد الرحمان فتفرق عنه فخرج بأهله وما خف من ماله إلى المغرب الأوسط (الجزائر) ونزل في غيضة بين ثلاثة أنهار بنواحي (تيهرت) وعندما سمع الإباضيون بمقدمه قصدوه من مختلف الجهات وشرعوا في بناء مدينة (تيهرت) التي أصبحت فيما بعد عاصمة الدولة الرستمية سنه 144هـ [5]؛ ثم

---

[1]- ينظر أهم اتجاهات التفسير في بلاد المغرب في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الاهجريين : هلال خزاري.ص 1144

[2] - المفسرون الجزائريون عبر العصور : مختاراسكندر.ص 13

3- ينظر المفسرون الجزائريون عبر العصور : مختاراسكندر.ص14

4 - ينظر معجم أعلام الجزائر :عادل نويهض . المكتب التجاري للطباعة.بيروت .ط:1(1971م) .ص.85

5- ينظر معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحالي :عادل نويهض .مؤسسة نويهض الثقافية .ط :2 (1406هـ-1986م) .ج1.ص265

كانت بيعة "عبد الرحمن بالإمامة سنة 160 هـ فأقام بتيهرت إلى أن توفي سنة 171هـ, له "تفسير القرآن " و "ديوان خطب" و"رسائل إخوانية " كاتب بها إخوانه وأصدقائه[1].

الفرع الثاني :القرن الثالث الهجري

لعل من أقدم ما وصلنا من التفاسير كاملا في الجزائر هو تفسير هود ابن محكم الهواري، وهو تفسير إباضي طبع مؤخرا .ويعتبر هذا التفسير من أوائل التفاسير التي ظهرت في عصر التدوين بالجزائر وبالتالي فهو أقدم تفسير جزائري وصل إلينا كاملا.

وهود بن محكم الهواري الأوراسي مفسر من علماء الإباضية، كان والده قاضيا بتيهرت على عهد الإمام "أفلح بن عبد الوهاب "

عاش هود في النصف الثاني من القرن الثالث الالهجري [2]،كان إماما كبيرا مقدما على أهل عصره في الفقه كريم الأخلاق حسن السيرة [3].

قال الشماخي :" عالم متقن خائض، وهو صاحب التفسير المعروف، وهو كتاب جليل في تفسير كلام الله، لم يتعرض فيه للنحو والإعراب بل على طريقة المتقدمين"[4]

الفرع الثالث :القرن الرابع الهجري

ظهر في هذا القرن مفسر واحد فقط وهو العبقري البارع في القرآن و تفسيره البغائي ؛ هو احمد بن علي بن أحمد ابن محمد بن عبد الله .أبو العباس الريعي البغائي [5].

ولد في مدينة بغايا سنة (345هـ)، قدم الأندلس سنة (376هـ) وقدّم إلى الإقراء بالمسجد الجامع لقرطبة، و استأدبه المنصور محمد بن أبي عامر لابنه عبد الرحمن، ثم عتب عليه وأقصاه؛ ثم رقّاه

1- ينظر معجم أعلام الجزائر :عادل نويهض. ص:85

2- ينظر معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحالي :عادل نويهض .ص:40

3 - ينظر المفسرون الجزائريون عبر العصور : اسكندر . ص:40

4- ينظر التفسير والمفسرين في غرب إفريقيا :محمد ابن رزق ابن طرهوني .دار ابن الجوزي :م ع السعودية، ط :1 (1426هـ).ج1.ص:3 نقلا عن السير للشماخي .ص 381

5- نسبة إلى بغايا مدينة بالجزائر تقع بجبال الأوراس

المؤيد بالله بن الحكم في دولته الثانية إلى خطبة الشورى بقرطبة,رحل إلى المشرق فروى بمصر عن أبي الطيب بن عليوة وأبي بكر الأدفوي وغيرهما.

كان من أهل الحفظ والعلم والذكاء والفهم وكان في حفظه آية من آيات الله تعالى, وكان بحرا من بحور العلم لا نظير له في علم القرآن قراءاته وإعرابه وأحكامه وناسخه ومنسوخه، وهو على مذهب مالك.

توفي يوم الأحد لإحدى عشر ليلة خلت من ذي القعدة سنة إحدى وأربع مائة، له كتاب في أحكام القرآن نحا فيه نحوا حسنا [1].

المطلب الثاني : المفسرون الجزائريون من القرن الخامس إلى القرن السابع الهجري

الفرع الأول :القرن الخامس الهجري

وإذا انتقلنا إلى القرن الخامس الهجري نجد مجموعة من المفسرين الأجلاء من بينهم الإمام الداودي التلمساني، الإمام البوني وغيرهما .

أولا :أبو جعفر بن نصر الداودي التلمساني

أحمد بن نصر الداودي الأسدي التلمساني هو "أبو جعفر فقيه من أئمة المالكية بالمغرب في عصره، أصله من المسيلة وقيل من بسكرة، أقام بطرابلس المغرب مدة طالبا للعلم ثم انتقل إلى تلمسان واستقر بها إلى حين وفاته"[2].

هو أول من شرح كتاب "صحيح البخاري " وعده ابن فرحون من أهل الطبقة السابعة فقال : "ومن أهل إفريقيا من الطبقة السابعة أحمد بن نصر الداودي الأسدي أبو جعفر من أئمة المالكية بالمغرب،كان فقيها فاضلا متقنا مؤلفا مجيدا، له حظ من اللسان والحديث والنظر"[1].

---

1 - ينظر التفسير والمفسرين في غرب إفريقيا :محمد ابن رزق ابن طرهوني. ج1.ص :165-166. معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحالي :عادل نويهض .ج1.ص 39 . المفسرون الجزائريون عبر العصور : مختاراسكندر. ص 59-60.

2- معجم أعلام الجزائر :عادل نويهض. ص46

وله كذلك شرح للموطأ وتفسير للقرآن الكريم جمع فيه ما بين الرواية والدراية ولعله أنفس التفاسير القديمة وبيق متداولا بين الناس حتى القرن التاسع وأخذ منه العلماء ونقلوا عنه[2]؛ وله " الإيضاح" في الرد على القدرية و"النصيحة " شرح لصحيح البخاري.

توفي بتلمسان سنة اثنتين وأربع مئة ودفن شرقي باب العقبة.[3]

ثانيا:البوني:

مروان بن علي الأسدي القطان أبو عبد الملك البوني، فقيه مفسر حافظ أندلسي الأصل نسبته إلى بونة (عنابة) وبها نشأة، أقام مدة بقرطبة وروى عن مشايخها ثم رحل إلى المشرق، وعاد إلى عنابة فعكف على التدريس والتأليف إلى أن مات بها سنة 493هـ-1047م؛ له تفسير الموطأ للإمام مالك[4].

الفرع الثاني :القرن السادس الهجري

نبغ في القرن السادس مجموعة من المفسرين الجزائريين أمثال العلامة المتبحر أبو يعقوب الورجلاني، الشيخ أبو الفضل يوسف بن محمد المعروف بابن النحوي، الفقيه المحدث عبد الحق بن غالب ابن عطية المحاربي ، محمد بن يوسف بن سعدة، الشيخ المسيلي والشيخ أبو الحسن علي بن أحمد التجباني وغيرهم, وأغلب المفسرين في القرن السادس كانوا في عهد الدولة الموحدية التي امتد نفوذها من حدود مصر إلى الأندلس وكان عهدا فيه ازدهار لكثير من العلوم وخاصة القرآن والحديث.

وسأكتفي بترجمة للشيخين الورجلاني والمسيلي .

أولا :الورجلاني

أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني (500هـ-570هـ/1006م-1075م)، مؤرخ مفسر من أكابر الفقهاء الإباضية من أهل ورجلان (ورقلة) مولدا و وفاة .

1- تعريف الخلف برجال السلف :الحفناوي .مؤسسة الرسالة. بيروت.ط 2.(1405هـ-1885م).ج2.ص 101-102

2- ينظر المفسرون الجزائريون عبر العصور : مختاراسكندر. ص61-63 .

3- ينظر معجم أعلام الجزائر :عادل نويهض. ص46، كذا شجرة النور الزكية:محمد ابن محمد مخلوف.المطبعة السلفية.القاهرة.د.ط(1349هـ).ص110-111

4- ينظر معجم أعلام الجزائر :عادل نويهض. ص:192.كذا المفسرون الجزائريون عبر العصور: مختاراسكندر. ص64.

رحل في شبابه إلى الأندلس وسكن قرطبة طلبا للعلم [1]؛ شبهه الأندلسيون بالجاحظ لكثرة معلوماته ومحفوظاته مع حداثة سنه, ثم عاد إلى وطنه، وجدد الرحلة بعد ذلك إلى المشرق [2]،فزار أشهر حواضره العلمية ولقي كبار العلماء والشيوخ .كما وصل في إحدى رحلاته العلمية إلى أواسط إفريقيا وإلى قريب من خط الإستواء.ثم استقر بعد ذلك بورجلان منقطعا لخدمة العلم وقيل أنه لم يخرج من داره مدة سبعة أعوام، لم يكن يرى فيها إلا ناسخا والأقلام باريا والمدارسة فاعلا أو للخبر طابخا أو للدواوين مقابلا أو للكتب مفسرا؛ توفي بمسقط رأسه سنة سبعين وخمس مائة .

له تفسير القرآن في سبعين جزءا.قال البرادي: "رأيت منه في بلاد ريغ سفرا كبيرا لم أر ولا رأيت قط سفرا أضخم منه ولا أكبر منه.حررت أنه تجاوز سبعمائة ورقة أو أقل أو أكثر،فيه تفسير فاتحة الكتاب والبقرة آل عمران.... فلم أر ولا رأيت أبلغ منه ولا أشفى للصدر في لغة ولا إعراب أو حكم مبين أو قراءة ظاهرة ولا شادة أو ناسخ أو منسوخ أو جميع العلوم منه..."[3].

ثانيا :المسيلي

حسن بن علي بن محمد المسيلي أبو علي عالم جزائري من فقهاء المالكية نسبته إلى المسيلة [4]؛الشيخ، الفقيه، الفاضل، العالم، العابد، المحقق و المتقن؛ كان يكنى أبو حامد الصغير جمع بين العلم والعمل والورع وبين علمي الظاهر والباطن.

له عدة مصنفات منها: " التذكرة في علم أصول الدين"، " النبراس في الرد على منكر القياس"، وكتاب في علم التذكير سماه" التفكير فيما تشتمل عليه الصور والآيات من المبادئ والغايات" كتاب جليل سلك فيه مسلك "الإحياء "للغزالي؛ و به سمي أبا حامد الصغير، وكلامه فيه أحسن من كلام أبي حامد الغزالي وأسلم، ودل كلامه فيه على إحاطته بعلم المعقول والمنقول وعلم الظاهر والباطن.

ولي قضاء بجاية وتوفي بها سنة 580هـ[1].

1- معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحالي :عادل نويهض .ج2.ص809

2- ينظر المفسرون الجزائريون عبر العصور:مختار اسكندر. ص 86

3- معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحالي :عادل نويهض .ج2.ص 809

4- ينظر المرجع نفسه ج2.ص:769.

الفرع الثالث :القرن السابع الهجري

أما في القرن السابع الهجري فنجد ستة من كبار المفسرين الشيخ أبو زكرياء أبو علي المشهور بالزواوي (ت611هـ)، الشيخ بن الحسن بن عبد الله الوهراني (615هـ)،الشيخ إسحاق بن عرفة البجائي (615هـ)، الشيخ يحي بن محمد بن منداس التلمساني أبو زكرياء (652هـ)،والشيخ أبو محمد بن فارس ابن مخلوف (686هـ) والشيخ علي بن عبد الله بن ناشر بن المبارك الوهراني أبو بكر (615 هـ).

وسأقوم بترجمة لمفسرين من المفسرين السالف ذكرهم وهما الشيخان الزواوي والشيخ التلمساني

أولا :الشيخ التلمساني

يحيى بن محمد بن موسى التجيبي التلمساني, أبو زكريا مفسر واعظ من فقهاء المالكية، من أهل تلمسان و بها نشأ وتعلم .

قال الذهبي:"حج وجاور، وسمع بمكة من أبي الحسن ابن الابناء وسكن الإسكندرية ووعظ وصنف التفسير والرقائق"[2].

من آثاره تفسير القرآن الكريم وكتاب في الرقائق توفي في تاسع شوال سنة 652ه ـ[3]

ثانيا :الشيخ الزواوي

أبو زكريا يحيى بن أبي علي المشهور بالزواوي، ولد في بني عيسى من قبائل الزواوة، وقرأ الشيخ أول أمره بقلعة "بني حماد" ثم انتقل إلى المشرق ولقي الفضلاء والمشايخ وكان رحمه الله مند ظهر بانيا على ترك الدنيا والانقطاع إلى الآخرة.

استوطن بجاية بعد رجوعه من المشرق وجلس لنشر العلم، ومن أشياخه الفقيه أبو الطاهر إسماعيل ابن مكي بن عوف الزهري روى عنه الموطأ، والقاضي أبو سعيد وروى عنه المصابيح، وغيرهم؛كانت وفاته بعد صلاة العصر من يوم الجمعة الرابع من شهر رمضان سنة611هـ[1].

1- عنوان الدراية في من عرف من العلام في المائة السابعة ببجاية :أبو العباس الغبريني . ت. رابح بونار. الشركة الوطنية . الجزائر.ص66 -94 . كذا تعريف الخلف برجال السلف :الحفناوي.ج.1.ص62-65.

2- معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحالي :عادل نويهض .ج2.ص 735.

3- ينظر التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا محمد زرق طرهوني.ج1. ص371.كذا المفسرون الجزائريون عبر العصور.ص84.

المطلب الثالث : المفسرون الجزائريون من القرن ثامن إلى القرن العاشر الهجري

الفرع الأول :القرن الثامن الهجري

القرن الثامن الهجري قرن حافل بكثرة المفسرين فقد وصل عددهم إلى أكثر من ستة عشرة مفسرا من بينهم الشيخ العلامة الشريف التلمساني، الشيخ أحمد بن حسين بن علي ابن الخطيب القسنطيني، الشيخ بن علي المليانى، المفسر الجليل ابن علي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي، الشيخ أبو عبد الله الباهلي البجائي، الشيخ الآبلي والشيخ أبو العباس الغبريني .

وسأكتفي بترجمة لبعض هؤلاء المفسرين .

أولا :الشيخ الشريف التلمساني:

محمد بن أحمد بن يحي الإدريسي الحسني، أبو عبد الله العلوي نسبة إلى قرية من أعمال تلمسان (710هـ-771هـ/ 1310م1730م) .

قال ابن خلدون :"يعرف بالعلوي نسبة لقرية من أعمال تلمسان تسمى العلويين، ونسبة بيته لا يدافع فيه.... ويعرف أيضا بالشريف التلمساني، علامة تلمسان بل إمام المغرب قاطبة " .

وقال الإمام ابن مرزوق الحفيد:"شيخ شيوخنا أعلم أهل عصره بإجماع "[2].

من أعيان المالكية وكبار باحثيهم، انتهت إليه إمامتهم بالمغرب، نشأ بتلمسان وأخذ العلم عن مشايخها.

ارتحل إلى تونس سنة 740هـ فلقي ابن عبد السلام وغيرهم، وفي سنة 753هـ اختاره السلطان أبو عنان لمجلسه العلمي ورحل به إلى فاس،فتبرم الشيخ التلمساني من الاغتراب فنكبه السلطان واعتقله شهرا، ثم أطلقه وأقصاه، ثم أعاده وقربه بعد فتح "قسطنطينة"" ، فبقي حتى أواخر سنة 795هـ حين مات أبو عنان، واستولى أبو

1- ينظر تعريف الخلف برجال السلف :الحفناوي.ج.2.ص:594-595.كذا المفسرون الجزائريون عبر العصور.ص80

[2]- معجم أعلام الجزائر :عادل نويهض. ص 139.كذا تعريف الخلف برجال السلف. الحفناوي.ج1.ص111،كذا شجرة النور الزكية:محمد ابن محمد مخلوف. ص234

حمو ابن يوسف على تلمسان، فدعي إليها واستقبله السلطان الجديد وزوجه ابنته وابنى له مدرسة أقام يدرس فيها إلى أن توفاه الأجل بتلمسان ليلة الأحد رابع ذي الحجة سنة إحدى وسبعين وسبع مائة [1].

فسر القرآن خمس وعشرين سنة يحضره أكابر الملوك والعلماء والصلحاء والطلبة لا يتخلف منهم احد،فأبدع .

من كتبه :"مفتاح الوصول إلى ابناء الفروع والأصول" في أصول الفقه،"شرح جمل الخونجي"،وكتاب في القضـــاء والقدر وكتاب "مثارات الغلط"، وفتوى في مسائل علمية مختلفة [2].

ثانيا :أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسنطيني

أبو العباس الشهير بابن الخطيب وابن قنفذ(710هـــ-810هـــ)، الإمام العلامة المتقن، المحدث، المصنف ,أخد عن جماعة كأبي علي حسن بن أبي القاسم بن باديس، والإمام شريف التلمساني وجماعة آخرين من الأعلام.

ارتحل من بلاد إفريقيا عام 759هـــ إلى المغرب الأقصى وبقي هناك ثمانية عشرة سنة، فحصل علوما كثيرة واعتنى بلقاء الصالحين وجال بلادها .

ألف تآليف في عدة فنون منها :"شرح الرسالة"، و"شرح الخونجي"، "شرح أصلي ابن الجاجب" وغيرها من الكتب الجليلة. توفي رحمه الله سنة810هـــ[3]

ثالثا :الباهلي المفسر

الشيخ الإمام العالم المحقق، المدرس، المفتي، القاضي،بحاضرة بجاية وشيخ الجماعة، محمد بن يحي الباهلي البجائي أبو عبد الله، عرف بالمفسر، فقيه بجاية وعالمها وقاضيها ل،له شعر جيد، كان مستعملا في السفارة.

1- ينظر معجم أعلام الجزائر :عادل نويهض. ص:139.كذا المفسرون الجزائريون عبر العصور: مختاراسكندر. ص109-123، كذا التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا محمد زرق طرهوني.ج1. ص286-287، كذا أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة :يحي بوعزيز. دار الغرب الإسلامي. بيروت .ط:1(1995م).ج2.ص 63-70

2- ينظر تعريف الخلف برجال السلف :الحفناوي.ج1.ص:110-127. كذا معجم أعلام الجزائر :عادل نويهض. ص:139. المفسرون الجزائريون عبر العصور:مختاراسكندر. ص117-118

3- ينظر تعريف الخلف برجال السلف :الحفناوي.ج1.ص32-37.كذا المفسرون الجزائريون عبر العصور:مختار اسكندر. ص98-93

دخل مدينة فاس ولقي بها أبي الحسن الصغير المعروف عند أهل إفريقيا "بالمغربي" وغيره من العلماء.

ذكره صاحب نيل الابتهاج :"وهو من فصحاء الفقهاء،وأجوبته في الفتيى تدل على مكانته العلمية وسيادته السنية".

له تقييدات على مختصر ابن الحاجب، وشرح أسماء الله الحسنى،وقصيدة سماها "فوائد الجواهر في معجزات سيد الأوائل والأواخر" وتقاييد في أنواع فنون العلم .

توفي رحمه الله سنة744هـ الموافق لـ 1343م [1].

الفرع الثاني :القرن التاسع الهجري

والقرن التاسع الهجري كذلك قرن حافل بكثرة العلماء والمفسرين الأفداد فقد تجاوز عددهم السبعة عشرة مفسرا من بينهم أحمد بن محمد بن زكرياء (ت 900هـ)،الشيخ أبو على الطيب النقاوسي(897هـ) الشيخ عبد الرحمان الثعالبي(ت 875هـ)،الشيخ محمد بن عبد الرحمن الشهير بابن زاغو (ت 845هـ)، الشيخ سالم بن إبراهيم بن عيسى الصنهاجي (ت 834هـ)و الشيخ محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب أبو عبد الله السنوسي (ت825هـ) [2].

وسأقوم بترجمة لمفسرين فقط .

أولا :الشيخ عبد الرحمان الثعالبي

عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي أبو زيد (768هـ- 875هـ/1384م-1470م) مفسر، من كبار علماء الجزائر وصلحاها الأبرار .

ولد ونشأ بناحية "واد يسر "بالجنوب الشرقي من مدينة الجزائر ثم انتقل إلى بجاية سنة(802هـ)، فأخذ عن علمائها، ثم انقل إلى تونس سنة 809هـ،فلقي بها أكابر العلماء فأخذ عنهم وانتفع بهم، وفي سنة 817هـ سافر إلى مصر فأخذ عن ولي الدين العراقي وغيره.

1- ينظر تعريف الخلف برجال السلف :الحفناوي.ج.2.ص566 .كذا معجم أعلام الجزائر :عادل نويهض. ص187. كذا المفسرون الجزائريون عبر العصور: مختاراسكندر ص104-105

2- يظر تاريخ الجزائر الثقافي :أبو القاسم سعد الله.دار الغرب الإسلامي. بيروت.ط:1(1998م).ج1.ص:121

ثم ارتحل إلى تركيا ومنها إلى الحجاز فأدى فريضة الحج وعاد إلى تونس سنة 819هـ، ومنها إلى الجزائر،ولي القضاء على غير رضا منه ثم خلع نفسه.

له نحو 90 كتابا منها :" الجواهر الحسان في تفسير القرآن" مذيلا بمعجم لغوي لشرح غريبه،"الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز"، "تحفة الإخوان في إعراب بعض آي من القرآن" وغيرها من التآليف الكثيرة .

توفي رحمه الله سنة 875هـ عن عمر يناهز التسعين سنة [1].

ثانيا : محمد بن مرزوق الحفيد

الإمام المشهور العلامة الحجة، الحافظ، المحقق محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني، أبو عبد الله المعروف بالحفيد (766هـ-842هـ/1324م-1438م) فقيه، حجة في المذهب المالكي، نحوي عالم بالأصول، حافظ للحديث، مفسر ناظم، ولد بتلمسان وبها أخذ عن والده وعمه وسعيد العقباني وغيرهم.

رحل إلى تونس وفاس ثم دخل القاهرة فلقي بها العلامة ابن خلدون والفيروز أبادي والنويري صاحب النهاية وأخذ عنهم .

حج سنة 790هـ رفقة الإمام ابن عرفة وحج ثانية سنة819هـ فلقي الإمام ابن حجر العسقلاني وأخذ عنه، مات بتلمسان في شعبان سنة 842هـ .

له "تفسير سورة الإخلاص"،"اغتنام الفرصة في محادثة علماء قفصة"، "البرق اليمانية في الأسرار القرآنية " كتاب في خواص القرآن العظيم وبيان أسراره، وغيرها من المؤلفات [2].

1- معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحالي :عادل نويهض .ج1.ص 276.كذا معجم أعلام الجزائر: عادل نويهض. ص88-89. تعريف الخلف برجال السلف :الحفناوي.ج2. ص68 - 72, شجرة النور الزكية:محمد ابن محمد مخلوف. ص264

2- ينظر معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحالي :عادل نويهض.ج2.ص 483، كذا تعريف الخلف برجال السلف : الحفناوي.ج1.ص 129 -140، كذا المفسرون الجزائريون عبر العصور:مختار اسكندر. ص179، كذا معجم أعلام الجزائر :عادل نويهض. ص141،كذا أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة :يحي بوعزيز. ج2. ص 51 -58، كذا التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: محمد زرق طرهوني.ج1. ص290

الفرع الثالث :القرن العاشر الهجري

نجد في هذا القرن مجموعة من المفسرين من بينهم الشيخ المغيلي(ت 909هـ)، الشيخ علي بن موسى بن علي بن هارون المطغري (ت 951هـ) والسيخ التلمساني (ت 911هـ).

أولا :المغيـــلي

محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني، أبو عبد الله فقيه مالكي، مفسر متكلم، نسبته إلى مغيلة قبيلة من قبائل البربر.

نشأ بتلمسان، وقع بينه وبين الإمام جلال الدين السيوطي نزاع في علم المنطق، وناوأ اليهود في " توات" بقرب تلمسان، وكانت له معهم مشاحنات أدت إلى قتالهم وهدم كنائسهم .

زار بلاد السودان واجتمع مع السلطان "كنو" وكتب له رسالة في أمور السلطة، ومنها ارتحل إلى بلاد التكرور، وكان في سفره ينشر أحكام الشرع ويحض على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

توفي في توات سنة تسعة وتسعمائة الهجرية، من تصانيفه "البدر المنير في علوم التفسير "،"مصباح الأرواح في أصول الفلاح" وغيرها [1].

ثانيا :التلمساني :

محمد بن عبد الرحمان بن أبي العيش الخزرجي التلمساني، أبو عبد الله، مفسر أصولي، من فقهاء المالكية، أصله من إشبيلية بالأندلس، ولد ونشأ بتلمسان ثم أفتى ودرس، وفتاويه معروفة، نقل الونشريسي بعضها في المعيار .

من آثاره تفسير القرآن، توفي سنة إحدى عشرة وتسعمائة الهجرية[2] .

المطلب الرابع : المفسرون الجزائريون من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر الهجري

1- ينظر معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحالي :عادل نويهض .ج2.ص 554،كذا معجم أعلام الجزائر: عادل نويهض. ص 157، كذا أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة :يحي بوعزيز. ص 143-157

2- ينظر معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحالي :عادل نويهض .ج2.ص 799

***الفرع الأول*:القرن الحادي عشر الهجري**

وقد أنجب القرن الحادي عشر الهجري مجموعة من العلماء وفي طليعتهم الشيخ الوقاد (ت 1100هـ)، الشيخ أبي زكرياء النيلي الشاوي المليانى(ت 1096هـ) وكذا الشيخ أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمان المقري (ت1029هـ) وغيرهم .

أولا :ابن الوقاد

محمد بن أحمد بن محمد المعروف بابن الوقاد، قاض عالم بالتفسير والحديث والفقه والأدب، من أهل تلمسان هاجر منها على إثر الاحتلال التركي لها إلى المغرب الأقصى ونزل مدينة "ترودانت" وتولى التدريس والفتوى والإمامة والخطابة بجامعها الكبير، وهو أول من أقرأ الجامع الصحيح للبخاري بها قراءة ضبط وإتقان وخطب فيها ببراعة اللسان .

توفي سنة إحدى وألف الهجرية .[1]

ثانيا :المقـــري

أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمان بن أبي العيش أبو العباس المقري التلمساني، مؤرخ أديب، حافظ،كان آية في علم الكلام والتفسير والحديث .

ولد بتلمسان وبها نشأ وأخذ عن عمه سعيد المقري وانتقل إلى فاس سنة ألف وتسعة الهجرية، فلقي جماعة من علمائها منهم العلامة علي ابن عمران السناسي، ثم انتقل إلى مراكش في نفس السنة، فسُّر الخليفة المنصور السعدي بمقدمه وأكرمه وقربه، وتعرف هناك على مجموعة من العلماء والأدباء جرت بينه وبينهم مطارحات ومداعبات ومساجلات، ذكر بعضها في كتابه "روضة الأنس"، ثم عاد إلى فاس ومنها إلى تلمسان .

وفي أوائل سنة 1013هـ قصد فاس مرة ثانية فأسندت إلية سنة 1022هـ ولاية الفتوى والخطابة والإمامة في جامع القرويين .

خرج للحج سنة 1027هـ، فدخل القاهرة ومنها توجه إلى الديار المقدسة وعاد إلى القاهرة سنة1029هـ فأقام بها نحو شهرين، ثم دخل القدس الشريف والشام وتكررت زياراته إلى الحجاز وأملى بها دروس عديدة.

1- ينظر معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحالي :عادل نويهض.ج2.ص 795

توفي بالقاهرة في جمادى الآخرة ودفن بمقبرة المجاورين، له"لوح الطيب في غصن الأندلس الرطيب"، "أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض"، "إعراب القرآن"، "أزهار الكمامة في العمامة" وغيرها [1].

الفرع الثاني :القرن الثاني عشر الهجري

أما القرن الثاني عشر فنجد فيه مجموعة من المفسرين من أمثال الشيخ عبد الرحمان البلولي، الشيخ ابن العنابي، الشيخ البوني، الشيخ البليدي والشيخ التلمساني .

أولا :البليـــدي

هو محمد بن محمد الحسني التونسي المعروف بالبليدي (1096هـ-1175هـ/1685م-1763م)، جزائري الأصل نسبته إلى مدينة البليدة غرب الجزائر العاصمة، عالم بالعربية والتفسير والقراءات، سكن القاهرة وتوفي بها .

من آثاره في التفسير :"حاشية على تفسير اللبيضاوي"[2].

ثانيا :البونـــي

أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي التميمي، أبو العباس (1063هـ-1139هـ/1653م-1726م)، فقيه مالكي من كبارهم، عالم بالحديث مفسر من أهل "بونة" بالجزائر، رحل إلى المشرق وحج وأخذ من علماء الأزهر، وعاد إلى الجزائر فأخذ عنه جماعة من العلماء.

من كتبه الكثيرة :"إتحاف الأقران ببعض مسائل القرآن "،"تحفة الأريب من أشرف غريب" اختصر فيه غريب القرآن للعزيزي [3].

ثالثا :التلمســـاني

1- ينظر معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحالي :عادل نويهض.ج2.ص 763،كذا تعريف الخلف برجال السلف:الحفناوي. ج1.ص 48-62، كذا معجم أعلام الجزائر:عادل نويهض. ص 42، كذا أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة :يحي بوعزيز. ج2. ص166-179، كذا شجرة النور الزكية:محمد ابن محمد مخلوف.ص300

2- معجم المفسرين معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحالي :عادل نويهض ج2.ص630

3- المرجع نفسه .ج2.ص761, شجرة النور الزكية:محمد ابن محمد مخلوف.ص329-330

عبد الرحمن بن إدريس بن محمد بن أحمد المنجري الإدريسي الحسني التلمساني، أبو زيد المعروف بالمنجرة، مقرأ من كبار العلماء في المغرب في عصره، له مشاركة في علوم العربية والمنطق والأصول والفقه والتفسير والحديث نشأ بمدينة تلمسان وأخذ عن مشايخها، ثم انتقل إلى فاس بالمغرب الأقصى وتوفي بها سنة 1179هـ .

له حاشية على فتح المنان مخطوط في خزانة الرباط، وحاشية على الجعبري، وحاشية على المرادي، وفهرسة ترجم بها شيوخه وغيرها من التصانيف[1].

الفرع الثالث : القرن الثالث عشر الهجري :

أما القرن الثالث عشر فنجد فيه الشيخ يحي بن محمد الميلي الجمالي، الشيخ ابن عبدون المزابي اليزغني، الشيخ تيجاني وكذا الشيخ المعسكري وغيرهم .

وسأكتفي بالترجمة لمفسرين وهما الشيخ المعسكري والشيخ السنوسي .

أولا: المعسكري

محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن ناصر الراشدي الجليلي المعسكري المعروف بأبي راس (1150هـ-1239هـ/1737م-1824م)،مؤرخ من العلماء بالحديث ورجاله له مشاركة في الفقه والتفسير والأنساب وغير ذلك.

من أهل معسكر مولدا ووفاة، رحل في طلب العلم وزار مصر والشام والحجاز وتونس والمغرب، أخذ عنه المرتضى الزبيدي والشرقاوي وعثمان الحنبلي وغيرهم، له نحو خمسين كتابا منها "تفسير القرآن" [2].

ثانيا : السنوســـي

محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي، أبو عبد الله (1202هـ-1276هأـ/1787م-1859م)، مؤسس الطريقة السنوسية .

1- التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا : محمد زرق طرهوني.ج1. ص225، معجم أعلام الجزائر:عادل نويهض.ص84

2 - ينظر معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحالي :عادل نويهض ج2.ص487،كذا تعريف الخلف برجال السلف : الحفناوي. ج2. ص341-342، كذا أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة :يحي بوعزيز.ج2.ص234-244

ولد في مستغانم ونشأ في بيت علم ودين وفضل، درس الشريعة واللغة والمذاهب الإسلامية والطرائق الصوفية والفلسفة وعلم الفلك وغيرها من فنون المعرفة، قضى حياته على جناح سفر، فتنقل في البلاد العربية تمكن خلالها من الإطلاع على الأحوال العامة والخاصة للشعوب الإسلامية.

في سنة 1257هـ رحل إلى برقة وأقام في الجبل الأخضر وبنى الزاوية البيضاء، فانتشر خبره وعمت الدعوة السنوسية ليبيا، وفي عام 1270هـ انتقل إلى زاوية 'العزبات' ومنها إلى زاوية 'الجغبواب' سنة 1273هـ فأقام إلى أن توفي فيها بعد ثلاث سنوات .

له عدة مؤلفات منها المسائل العشر المسمى "بغية المقاصد وخلاصة المراسم"،"الدرر السنية في أخبار السلالة السنوسية"، "نزهة الجنان في أوصاف مفسر القرآن"،"شرح البسملة"،وغيرها من المؤلفات [1].

الفرع الرابع :القرن الرابع عشر الهجري

القرن الرابع عشر قرن حافل بكثرة المفسرين، ونجد في طليعة هذا القرن الشيخ محمد يوسف أطفيش، كما نجد إمام النهضة الشيخ عبد الحميد بن باديس وكذلك الشيخ فوضيل إسكندر،الشيخ الهاملي،الشيخ ابن الخوجة المظربة، الشيخ الجزائري،الشيخ الطاهر الجزائري والشيخ صالح بن عمر كما نجد كذلك الشيخ الجليل إبراهيم البيوض.

وكذلك نجد علماء عهد الإصلاح والنهضة المباركة خاصة ممن جمعتهم جمعية العلماء المسلمين، والذين كانوا خير قدوة في تفسير كتاب الله، ولكن أغلبيتهم لم يسعفهم الحظ و لم تتح لهم الفرصة لتفسيره كاملا ذلك لعدة أسباب وانشغالات كتصحيح العقيدة وبث الحركة الإصلاحية، أمثال المشايخ العظام فضيلة الشيخ البشير الإبراهيمي في مدينة تلمسان، الشيخ الطيب العقبي في بسكرة والعاصمة والشيخ مبارك الميلي في الأغواط وغيرهم ممن كانوا يفسرون سور وأحزاب وآيات من كتاب الله عز وجل وكانوا يجيدون غاية الإجادة وانتفع الناس بدروسهم ووعظهم وإرشادهم[2].

وسأقوم بترجمة لبعض هؤلاء المفسرين.

أولا :الجزائـــري

1- معجم أعلام الجزائ :عادل نويهض.ص168

2- ينظر تاريخ الجزائر الثقافي :أبو القاسم سعد الله .ج7.ص9-24

محمد بن عيسى الجزائري (1243هـ-1310هـ/1828م-1892م)، من الكتاب البلغاء عارفا باللغة والتفسير، ولد ونشأ وتعلم بمدينة الجزائر وانتقل إلى تونس سنة 1272هـ، وتولى رئاسة الكتابة العامة بالوزارة الكبرى سنة 1276هـ ثم خطة الإنشاء سنة 1302هـ، ثم انقطع للعلم إلى أن توفي .

من آثاره:" الثريا لمن كان بعجائب القرآن حفيا"،رسالة في التفسير طبعت في تونس سنة 1307هـ، و"الماس في إحتباك يعجز الجنة والناس"[1].

ثانيا :الشيخ الطاهر الجزائري

الطاهر بن صالح بن أحمد بن موهوب، السمعوني الجزائري ثم الدمشقي (1268هـ-1338هـ/1852م-1920م)، عالم لغوي، أديب، باحث، من رجال الإصلاح اللغوي والديني بسوريا كان له تأثير كبير في نشر العلم ووضع مناهج التعليم وإصلاح أساليبه، كما كان متقنا لأكثر اللغات الشرقية كالعبيرية والسريانية والتركية والفارسية وغيرها .واسع العلم بالمكتبة العربية ومخطوطاتها .أصله من 'وغليس' بالجزائر، هاجر أبوه إلى سوريا سنة1264هـ.

ولد بدمشق وبها نشأ وتتلمذ على كبار أشياخها، مارس التعليم زمنا، ثم عين مفتشا للمدارس الجديدة التي أنشأت في عهد 'مدحت باشا'، ساعد على إنشاء 'دار الكتب الظاهرية'.

كما ساعد على إنشاء 'المكتبة الخالدية' بالقدس، وانتقل إلى القاهرة، وأقام بها بضع عشرة سنة أثناء الحكم التركي بالشام .

وعاد فانتخب عضوا في 'المجمع العلمي العربي' سنة 1919م وسمي 'مدير دار الكتب الظاهرية'، توفي بعد ثلاثة أشهر في 14 ربيع الثاني، من أثاره "تفسير القرآن" في أربع مجلدات، "التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن"[2].

ثالثا :ابن الخوجة المضربة

محمد بن مصطفى بن الخوجة الملقب بالمضربة، كاتب شاعر، عالم في الشريعة الإسلامية واللغة العربية نشأ في مدينة الجزائر وبها تعلم، له مواقف معروفة في مقاومة الاستعمار الفرنسي وفي محاربة البدع في الجزائر .

1- ينظر معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحالي :عادل نويهض.ج2.ص600-601

2- المرجع نفسه .ج2.ص241

يعد من أوائل تلاميذ الأستاذ محمد عبدو الذين نشروا مذهبه الإصلاحي داخل مصر .

له عدة مؤلفات منها :"نفائس في مآثر علماء الوطن "،"عقود الجواهر في حلول الوفد المغربي بالجزائر "، رسالة في معنى الدين والفقه، توفي سنة 1340هـ الموافق لـ 1922م [1].

رابعا :محمد بن يوسف أطفيش[2]

خامسا :صالح بن عمر

صالح بن عمر بن داود بن صالح بن يحمد الأغلب (1287هـ- 1347هـ/1881م-1928)، مفسر من علماء الإباضية في المغرب الكبير ولد في 'يسجن' وبها نشأ وتعلم فقد بصره في الخامسة من عمره وحج مرتين والتقى إلى علماء الحجاز والمجاورين في الحرم الشريف،وبحث معهم في المسائل العلمية وفي مسائل العالم الإسلامي كما حضر دروس الأزهر الشريف وجالس عدد من كبار علمائه أثناء رحلته إلى الديار المقدسة،أنشأ معهدا للعلوم الشرعية والعربية في مسقط رأسه سنة 1889م حيث كان يقوم فيه بالتدريس.

من آثاره :" القول الوجيز في كلام الله العزيز" في التفسير و لم يكمله.[3]

سادسا :الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس[4]

سابعا :الشيخ عمر راسم

عمر راسم بن علي بن سعيد بن محمد البجائي (1300هـ-1373هـ/ 1883-1959)، صحفي خطاط كبير اشتهر بخطه العربي الجميل ومهارته في رسم المنمنمات من الرعيل الأول في الإصلاح والكفاح .

1- ينظر معجم أعلام الجزائر :عادل نويهض. ص :186

2- ستأتي ترجمته لاحقا عند التطرق للحديث عن رواد الاتجاه الاجتماعي الإصلاحي للتفسير في الجزائر .

3- ينظر معجم المفسرين معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحالي :عادل نويهض .ج2.ص776.

4- ستأتي ترجمته لاحقا في المبحث الأول من الفصل الأول.

ولد بمدينة الجزائر وتعلم بكتاتيبها ثم اعتمد على نفسه فتعلم العربية والفرنسية عرف مند صباه بأفكاره الإصلاحية، وكان من أوائل الجزائريين المعتنقين لمذهب الأستاذ الإمام محمد عبدو الإصلاحي والداعين إليه، أنشأ جريدة "الجزائر" في سنة 1908 ثم جريدة " ذو الفقار "سنة 1913 وكان اسمه المستعار أبو المنصور الصنهاجي.

سجنه الفرنسيون في الحرب العالمية الأولى فلاقى الصعاب في سجنه؛ من آثاره :"تفسير القرآن الكريم" كتبه في سجنه، مات في الجزائر العاصمة[1].

ثامنا :الشيخ إبراهيم بيوض [2].

وسأختم بهذا الحديث عن التفسير والمفسرون في الجزائر، وهذه التراجم السابقة ما هي إلا غيط من فيض، فيوجد الكثير من المفسرين الجزائريين الذين لم أتطرق لذكرهم فضلا عن ترجمتهم، لأن المقام هنا لا يسمح بهذا.

وإذا ختمنا بترجمة الشيخ عمر بيوض باعتباره أخر من تناول كتاب الله بالتفسير، وخرج تفسيره مطبوعا فهذا لا يعني أته لا بوجد غيره ممن لا يزال مواصلا في تفسير كتاب الله، أو له اهتمام به في أنحاء هذا الوطن، جامعاته، مساجده وزواياه والذي لم ينقطع الخير منه على مر الأجيال والعصورمن أمثال :الأستاذ عمار طالبي، الأستاذ عبد العزيز ثابث، الأستاذة صونيا وافق، والأستاذ هلال خزاري والأستاذ منصور كافي وغيرهم كثير.

المبحث الثاني :مفهوم الاتجاه الاجتماعي في التفسير

يمتاز التفسير في هذا العصر بتلونه باللون الأدبي الاجتماعي، ونعني بذلك أن التفسير لم يعد يظهر عليه في هذا العصر ذالك الطابع الجاف الذي يصرف الناس عن هداية القرآن الكريم وإنما ظهر عليه طابع آخر يكاد يكون جديدا طارئا على التفسير وهو معالجة النصوص القرآنية معالجة تقوم أولا وقبل كل شيء على إظهار مواضع الدقة في التعبير القرآني، ثم تصاغ بعد ذلك المعاني التي يهدف القرآن إليها في أسلوب شيق أخاذ، ثم يطبق النص القرآني على ما في الكون من سنن الاجتماع ونظم العمران.

1- معجم المفسرين معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحالي :عادل نويهض .ج2.ص789.

2- ستأتي ترجمته بالتفصيل لاحقا عند التطرق للحديث عن رواد الاتجاه الاجتماعي الإصلاحي للتفسير في الجزائر .

ويعتبر هذا الاتجاه التفسيري كرد فعل لما أحدثه الاستعمار في البلاد الإسلامية من فصل بين العلم والدين وما ترتب عليه من شيوع الجهل والبدع بين المسلمين، ويركز صاحب التفسير ذي الاتجاه الاجتماعي على مجتمعات المسلمين ويحرص على إصلاحها على أساس القرآن الكريم، ويعالج أمراض ومشكلات المجتمع المختلفة، سواء كانت اقتصادية، اجتماعية، تربوية أو علمية وقبل كل هذا التركيز على إصلاح عقيدة الناس التي تدهورت بسبب سوء أحوال البلاد الإسلامية وذلك حسب ما أمر الله به في كتابه الكريم، ثم تقديم السنن الاجتماعية الكفيلة برقي المجتمعات وتقدمها[1].

المطلب الأول : تعريف المصطلحات

من أجل الوقوف على موضوع هذه الدراسة لابد من افتتاحها بمطلب تمهيدي نجلي فيه معاني بعض المصطلحات التي اشتمل عليها عنوانها حتى نبين للقارئ الكريم هدفها ومعناها.

الفرع الأول : الاتجاه

أولا : لغة

بالرجوع إلا كتب اللغة نجد لفظ الاتجاه تحت مادة " و ج هـــ " .قال ابن منظور في لسان العرب:"الوجه معروف والجمع الوجوه، ووجه كل شيء مستقبله، ووجه البيت : الحد الذي يكون فيه بابه .

والوجه الجهة بمعنى، والهاء عوض من الواو، والاسم الوِجهة والوُجهة بكسر الواو وضمها، والواو تثبت في الأسماء . واتجه له رأي أي سنح، ووجه الكلام :السبيل الذي تقصده به .

والجهة والوِجهة جميعا الموضع الذي تتوجه إليه وتقصده، واتجهت إليك أتجه أي توجهت لأن أصل التاء فيهما واو، وتوجه إليه :ذهب، واستعمل سيبويه الاتجاه اسما وظرفا ؛ والوجاه والتجاه : الوجه الذي تقصده."[2]

– وفي المعجم الوسيط :" اتّجه على وزن افتعل، يتجه اتجاها نحو كذا :اتخذه وجهته وقصده ؛ووجه الشيء : أداره إلى جهة ما، ووجّه القوم الطريق :أي سلكوه، وله اتجاه :له رأي ."[3]

---

[1] –ينظر دراسات في التفسير وأصوله :محي الدين بلتاجي.مكتبة الوسلال.بيروت .ط:1(1987م).ص214،كذا تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: صلاح عبد الفتاح الخالدي .دار القلم :دمشق .ط02 (1427هـــ –2006م).ص52

[2] – لسان العرب :ابن منظور .دار صادر.بيروت.ط:1.ج13.ص555–557

[3] – المعجم الوسيط . ج1.ص1014

- وقال الزمخشري في أساس البلاغة : "و ج هـــ : وجهته مواجهة ووجاها، وداري اتاجه داره، ووجاه داره، وقعدت وجاهك وتجاهك بالضم والكسر فيهما، وتوجهت إليه ووجّهت، " أينما يوجّه ألق سعدا "، ووجهت إليه رسولا، وتوجه جهة كذا ووجهة كذا، وجعلته وجهة لي، وتفرقوا في كل وجه وجهة، وصرفت الشيء عن وجهه، وليس لكلامك هذا وجه :صحة" [1].

-وفي مختار الصحاح :" و ج هـــ : الوجه معروف والجمع الوجوه، والوجه والجهة بمعنى والهاء عوضا من الواو، ويقال هذا وجه الرأي أي هو الرأي نفسه، والاسم الوجهة بكسر الواو وضمها والمواجهة المقابلة، واتجه له رأي سنح .

وقعد تجاهه بضم التاء وكسرها إي تلقاءه، ووجه وجهه لله وتوجه نحوه وإليه، وشيء موجّه إذا جعل على جهة واحدة لا تختلف" [2].

ومن خلال ما سبق ذكره فإن "الاتجاهات هي الجهات والنواحي المقصودة، التي نقصد الوصول إليها، وهي الغايات المحددة والأهداف المرسومة عند المفسرين التي يبغون الوصول لتحقيقها في تفاسيرهم، وهي أيضا ما يتوجه فيه الإنسان بوجهه أو فكر أو بكتابته فيه نحو هدف محدد معين "[3].

ثانيا :اصطلاحا

يختلف مفهوم الاتجاه من شخص إلى آخر ولا يوجد تعريف موحد له، فمنهم من يعتبر أن الاتجاه والمنهج والطريق مسميات لمعنى واحد، في حين يفرق البعض الآخر بينها ويعطي للاتجاه معنى خاص به، وسأقوم بذكر بعض التعاريف المتعلقة بالاتجاه منسوبة لأصحابها.

1- عرف 'الأستاذ محمد إبراهيم شريف' في كتابه 'اتجاهات التجديد في تفسير القرآن' بقوله :"مفهوم الاتجاه يتحدد أساسا بمجموعة الآراء والأفكار والنظرات والمباحث التي تشيع في عمل فكري كالتفسير بصورة أوضح من غيرها، وتكون غالبة على ما سواها ويحكمها إطار نظري أو فكرة كلية تعكس بصدق مصدر الثقافة التي تأثر لها صاحب التفسير ولونت تفسيره بلونها ..... على أن الاتجاه الواحد في التفسير على الرغم من تميزه عن غيره بسمته الغالبة قد

---

[1] - أساس البلاغة :الزمخشري .ت:عبد الرحيم محمود.دار المعرفة :بيروت.ص:

[2]- مختار الصحاح:محمد ابن أبي بكر ابن عبد القادر الرازي.ت:محمود خاطر.مكتبة لابنان ناشرون. بيروت.ط جديدة(1415-1995) . ج1.ص:256

[3]- أهم اتجاهات التفسير في بلاد المغرب في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الاهجريين :هلال خزاري..ج1.ص55

يحمل بين جوانبه روافد وتيارات متنوعة لا تخرجه عن اتجاهه المحدد المعروف، فالتفسير بالمأثور إذ يصطبغ بصبغة الحديث عند مفسري المحدثين كعبد الرزاق والبخاري وابن أبي حاتم، نراه يجنح إلى جانب اللغة عند المفسرين كالبغوي ويتلون بلون الحديث والفقه عند ابن كثير.

وفي هذا الاتجاه وذاك تعكس كل نزعة فكرية حصيلة كل مفسر من ثقافة عصره، ومدى تمثله واستعابه لما اختص نفسه به من هذه الثقافة "[1].

2- كما يوجد تعريف مغاير لهذا التعريف عند 'الأستاذ فهد الرومي' في كتابه 'اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري': " الاتجاه هو الهدف الذي يتجه إليه المفسرون في تفاسيرهم ويجعلونه نصب أعينهم وهم يكتبون ما يكتبونه..."[2] .

3- عرف الدكتور 'هلال خزاري' بقوله :"اتجاه المفسر في تفسيره هو ما يحدده لنفسه هدفا وغاية في تفسيره يسعى إليها "، ثم يواصل قائلا :"وقد تنوعت اتجاهات المفسرين في تفاسيرهم وتعددت حسب العلوم والمعارف وحسب المقاصد التي يبتغي للمفسر الوصول إليها، وإن الذي يجعله – المفسر- يسلك اتجاها معينا دون غيره من الاتجاهات هو مدى ملكيته للوسائل التي يحتاج إليها في ذلك الاتجاه في التفسير، ومدى تمكنه من قواعد ذلك العلم الذي يحكم ذلك الاتجاه، ومدى استجماعه لشروطه ومهاراته فيه مع إلمامه بما يحتاج إليه من وسائل وضوابط ..... فإذا كان متبحرا ملما بعلوم كثيرة أمكنه أن يبرز في تفسيره ويظهر بأكثر من اتجاه ..... وشيء آخر ربما يثري اتجاهات التفسير ويجعلها تتعدد عند المفسر، مذهبه العقدي والفكري وما يميل إليه بطبعه من العلوم والمعارف، فكل ذلك له دخل في تحديد اتجاه المفسر وجعله يسلك اتجاها أو اتجاهات معينة خاصة دون غيرها"[3].

ثالثا : *الفرق بين المنهج والاتجاه والطريقة :*

المنهج والاتجاه والطريقة مصطلحات متداخلة وهي اصطلاحات حديثة ليس لها ذكر عند أصحاب الدراسات القرآنية الأوائل، وحتى أصحابها في العصر الحديث لا تكاد تجد عندهم اتفاق على معنى واحد لكل

---

[1] -اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم :محمد إبراهيم شريف.دار السلام :مصر.0).ص60-62

[2] - اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري:فهد الرومي.مؤسسة الرسالة :المملكة العربية السعودية.ط3 (1418هـ-1997م).ج 2. ص22، بحوث في أصول التفسير ومناهجه :فهد الرومي.مكتبة التوبة (د.م). ط 4(1419هـ).ص55

[3] - أهم اتجاهات التفسير في بلاد المغرب في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين :هلال خزاري .ج1.ص55-56

منها،ولهذا نرى كثير منهم يعبر بهذه الكلمة مرة، وبالأخرى مرة عن مدلول واحد، وترى آخرين منهم يذكرون تعريفا لكل مصطلح منها ويذكر غيرهم غيره.

وسأذكر كلام الأستاذ فهد الرومي في التفريق بين هذه المصطلحات الثلاثة حيث يقول:" الاتجاه هو الهدف الذي يتجه إليه المفسرون في تفاسيرهم ويجعلونه نصي أعينهم وهم يكتبون ما يكتبونه، أما المنهج فهو السبيل التي تؤدي إلى هذا الهدف المرسوم، أما الطريقة فهي الأسلوب الذي يطرقه المفسر عند سلوكه للمنهج المؤدي إلى الهدف أو الاتجاه"[1].

– ثم بين الفرق بين هذه المصطلحات الثلاثة (اتجاه، منهج، طريقة) بتطبيقه على اتجاهات ومناهج وطرق المفسرين فيقول :" قد يكون الهدف–الاتجاه– هو مسائل العقيدة وتقريرها وبسط معالمها والدود عنها وما يتعلق بهذا، ويظهر هذا الهدف على مجموعة من التفاسير فيكون الاتجاه لهذه التفاسير "الاتجاه العقدي"،ويسلك كل واحد من هؤلاء المفسرين سبيلا خاص لتقرير العقيدة، فيسلك أحدهم أصول عقيدة السنة والجماعة فيكون منهجه "منهج أهل السنة والجماعة"، ويسلك آخر أصول عقيدة الشيعة فيكون منهجه "منهج الشيعة" ويسلك ثالث أصول عقيدة الإباضية فيكون منهجه "منهج الإباضية" وهكذا.

وقد تختلف طرق هؤلاء في التفسير، بل قد تختلف طرق أصحاب المنهج الواحد، فيبدأ بالنص أولا ثم بيان المفردات ثم المعنى الإجمالي للآيات ثم يستخرج أحكامها، ويختلف آخر فيذكر النص أولا ويمزج بين المفردات والمعنى الإجمالي، وبتوسع في هذا المقام فيبسط الحديث عند كل قضية ويرد الشبه أثناء ذلك، ويختلف ثالث فيذكر بعد النص بيان المفردات ويخلطها بشيء من المعنى الإجمالي، ثم يعقد الأبحاث المطولة بعد ذلك للقضايا التي تتناولها الآيات وقد يفسر الآيات مرتبة كما هي في المصحف وقد يختار صورا محددة، وقد يختار موضوعا خاصا يجمع أطرافه من مختلف الصور، وهذا كله هو ما نقصده بطريقة المفسر "[2].

الفرع الثاني : الإصلاح

أولا :لغة

---

[1]– اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري:فهد الرومي.ج1. ص22،كذا بحوث في أصول التفسير ومناهجه : فهد الرومي..ص 56-57

[2]– اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري:فهد الرومي..ج1. ص23

جاء في لسان العرب : "صلح، الصّلاح :ضد الفساد، صلح يصلَح ويصلُح صلاحا وصُلُوحا، والإصلاح نقيد الإفساد، وأصلح الشيء بعد فساده أقامه، وأصلح الدابة :أحسن إليها فصلحت "[1].

وفي مختار الصحاح :" ص ل ح : الصلاح ضد الفساد، ونقل الفراء صلُح أيضا بالضم، وهذا يصلح لك أي هو من بابتك، والصلاح بالكسر مصدر المصالحة، والاسم الصُّلح يذكر ويؤنث، والإصلاح ضد الإفساد،والمصلحة واحدة المصالح، والاستصلاح ضد الاستفساد"[2].

ثانيا :اصطلاحا

1- عرفه الإمام عبد الحميد بن باديس بقوله :"الإصلاح هو إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله، بإزالة ما طرأ عليه من فساد، والإفساد هو إخراج الشيء عن حالة اعتداله بإحداث اختلال فيه، فإصلاح البدن بمعالجته بالحمية والدواء، وإصلاح النفس بمعالجتها بالتوبة الصادقة، وإفساد البدن بتناول ما يحدث به الضرر، وإفساد النفس بمقارفة المعاصي والذنوب ... "[3].

2- وعرفه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بقوله :" الإصلاح جعل الشيء صالحا أي ذا صلاح، والصلح ضد الفساد، وهو كون الشيء بحيث يحصل به منتهى ما يطلب لأجله، فصلاح الرجل صدور الأفعال والأقوال الحسنة منه،وصلاح الثمر كونها بحيث ينتفع الناس بأكلها دون ضرر، وصلاح المال نمائه لمقصود منه، وصلاح الحال كونها بحيث يترتب عليها الآثار الحسنة "[4].

ثالثا :الإصلاح دينيا

---

[1] - لسان العرب :ابن منظور .دار صادر.بيروت.ط:1.ج2.ص516

[2] - مختار الصحاح:محمد ابن أبي بكر ابن عبد القادر الرازي.ج1.ص154

[3] - مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير :عبد الحميد بن باديس .ت :أبو عبد الرحمان محمود.دار الرشيد:الجزائر. ط:1(1430هـ-2009م). ج1.ص206-207

[4] - تفسير التحرير والتنوير :محمد الطاهر بن عاشور.الدار التونسية :تونس. د.ط.ج2.ص335

"إزالة مظاهر الفساد والبدع والخرافات من العقيدة الصحيحة "[1].

رابعا : الإصلاح اجتماعيا

"هو إزالة كل مظاهر الفساد من البنيات الاجتماعية فردا وأسرة ومجتمعا، سواء في المجال الأخلاقي أو الديني أو الاجتماعي ".[2]

خامسا :معنى الإصلاح في القرآن:

إن المتتبع للمواضع التي ذكرت فيها كلمة الإصلاح في القرآن يظهر له أن هذه الكلمة واشتقاقاتها قد تبوأت منزلة كبيرة في القرآن، إذ عدت من جملة الأخلاق والفضائل التي دعا إليها وحث على التزامها والتحلي بها.

ويكفي للدلالة على أهميتها أنها ذكرت أكثر من مائة وتسعين مرة وبأساليب متنوعة وسياقات مختلفة، ومدلولات تخلص إلى أن كل ما يؤدي إلى الكف عن المعاصي ومجابة الفساد أو إلى فعل الطاعات وإتباع الرشد فهو إصلاح.

ويختلف مدلول كلمة إصلاح في القرآن من آية إلى أخرى حسب مقامها، ومن الآيات التي ذكرت فيها هذه الكلمة: قوله تعالى { **وَلا تُفسِدوا فِي الأَرضِ بَعدَ إِصلاحِها وَادعوهُ خَوفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحمَتَ اللَّـهِ قَريبٌ مِنَ المُحسِنينَ** ﴿٥٦﴾ } الأعراف:56 وقوله تعالى : { **إِنَّ اللَّـهَ لا يُصلِحُ عَمَلَ المُفسِدينَ** ﴿٨١﴾ } يونس:81 وقوله تعالى: { **إِن أُريدُ إِلَّا الإِصلاحَ مَا استَطَعتُ وَما تَوفيقي إِلّا بِاللَّـهِ عَلَيهِ تَوَكَّلتُ وَإِلَيهِ أُنيبُ** ﴿٨٨﴾ } هود :88.

سادسا : الإصلاح الاجتماعي في التفسير

" هو ذكر الجهود التي بدلها الدعاة المفسرون لإصلاح الأمة وتحويلها من الفساد الذي سقطت فيه ـــوالجاهلية والجهل اللذين حلا بها، وردها إلى دين الله وإلى الأخلاق والإيمان والعقيدة الصحيحة، والقيم والمبادئ الإسلامية القويمة أي تصحيح مسارها وردها إلى جادة الصواب بعدما حادت عنها، وبعبارة أخرى إن المصلح الاجتماعي هو الذي خبر مجتمعه فيكون بمثابة الطبيب، فينظر بعمق، يحدد الداء، ثم يصف الدواء "[3].

---

[1] – الإمام إبراهيم بيوض وجهاده الإسلامي :بكير سعيد أعوشت .د.ن:د.م.د.ط.ص 46

[2] – المرجع نفسه. ص 46

[3] – أهم اتجاهات التفسير في بلاد المغرب في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين :هلال خزاري. ج2.ص797

الفرع الثالث : التفسيـــر

أولا :لغة

التفسير تفعيل من الفسر وهو البيان والكشف [1]، وقال ابن منظور :" فسر :الفسر البيان، فسر الشيء يَفسِره بالكسر، ويفسُره بالضم فسرا، أبانه، والتفسير مثله، قال ابن الأعرابي : " التفسير والتأويل والمعنى واحد"، وقوله تعالى: {وَأَحْسَنُ تَفْسِيرًا}.

الفسر :كشف المغطى والتفسير كشف المراد من اللفظ المشكل، والتأويل رد أحد المحتملين إلا ما يطابق الظاهر، والفسر نظر الطبيب في الماء، وكذلك التفسرة "[2].

وقال الزبيدي :" الفَسْرُ الإبانة وكشف المغطى .

كما قال ابن الأعرابي :" أو كشف المعنى المعقول، كالتفسير والفعل كضرب ونصر، يقال فسر الشيء يفسِرُه ويفسُره، وفسّره :أبانه"[3].

إذن فالتفسير في اللغة راجع إلى معنى الإظهار والكشف والبيان .

ثانيا :اصطلاحا

1- عرفه الزركشي بقوله :" التفسير علم يفهم به كتاب الله المترل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب الترول والناسخ والمنسوخ"[4] .

---

[1]- الإتقان في علوم القرآن :السيوطي.دار الفكر :بيروت .د.ط (1428هـ-2008م) .ج2.ص545

[2]- لسان العرب :ابن منظور.دار المعارف.د.م.د.ط. ج5.ص 3412-3413

[3]- تاج العروس من جواهر القاموس :الزبيدي .ت:عبد المنعم جليل إبراهيم وكريم سيد محمد محمود.دار الكتب العلمية : بيروت.د.ط.م7.ج13.ص179

[4]- البرهان في علوم القرآن :الزركشي .ت:محمد أبو الفضل إبراهيم .دار التراث :القاهرة د.ط.ج1.ص13

2- عرفه أبو حيان الأندلسي :" التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب و تتمات لذلك "[1].

3- وعرفه الزرقاني بقوله :" علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية "[2].

ثالثا :التفسير عند أصحاب الاتجاه الاجتماعي الإصلاحي للتفسير

1- يحدد أصحاب هذا الاتجاه التفسير المطلوب للقرآن الكريم :" فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة، فإن هذا هو المقصد الأعلى منه وما وراء هذا من المباحث تابع له أو وسيلة لتحصيله"[3].

2- وعرفه محمد الطاهر بن عاشور بقوله :"هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع" [4].

3- أما الشيخ عبد الحميد بن باديس وعند تفسيره لسورة الفلق يقول :" إن القرآن كتاب الدهر ومعجزته الخالدة، فلا يستقل بتفسيره إلا الزمن وكذلك كلام نبينا المبين له، فكثير من متون الكتاب والسنة الواردة في معضلات الكون ومشكلات الاجتماع لم تفهم أسرارها ومغازيها إلا بتعاقب الأزمنة وظهور ما يصدقها من سنن الله في الكون، وكم فسرت لنا حوادث الزمن واكتشافات العلم من غرائب آيات القرآن ومتون الحديث، وأظهرت منها للمتأخرين ما لم يظهر للمتقدمين، وأرتنا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم في وصف القرآن "لا تنقضي عجائبه " والعلماء القوامون على كتاب الله وسنة رسوله لا يتلقونها بالفكر الخامد والفهم الجامد وإنما يترقبون من سنة الله في الكون وتدبيره في الاجتماع، لا يكشف لهم عن حقائقها، ويكيلون إلى الزمن وأطواره ما عجزت عنه أفهامهم ..... وقد أثر عن جماعة من فقهاء الصحابة بالقرآن قولهم في بعض هذه الآيات :" لم يأتي مصداقها أو

---

[1]- البحر المحيط : أبو حيان الأندلوسي.ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض .دار الكتب العلمية /بيروت .ط(1413هـ-1993م).ج1.ص 10

[2]- مناهل العرفان :الزرقاني .دار الفكر.بيروت .ط1(1424هـ -2004م).ج2.ص04

[3]- تفسير القرآن الحكيم : رشيد رضا .دار المنار.القاهرة .ط2(1366هـ-1947م).ج1.ص17

[4]- تفسير التحرير والتنوير :محمد الطاهر بن عاشور.ج1.ص11

تأويلها بعد" يعنون أنه آت، وأن الآتي حوادث الزمان ووقائع الأكوان، وكل عالم بعدهم إنما يعطي صورة زمانه، بعد أن يكيف بها نفسه"[1].

ويقول كذلك في خطبة افتتاح دروس التفسير :" لقد عدنا والحمد لله تعالى إلى مجالس التذكير من دروس التفسير نقتطف أزهارها ونجني ثمارها بيسر من الله تعالى وتيسير، على عادتنا في تفسير الألفاظ بأرجح معانيها اللغوية، وحمل التراكيب على أبلغ أساليبها البيانية، وربط الآيات بوجوه المناسبات معتمدين في ذلك على صحيح المنقول وسديد المعقول، مما جلاه أئمة السلف المتقدمون أو غاص عليه علماء الخلف المتأخرون رحمة الله عليهم أجمعون"[2].

ومن خلال هاذين القولين للشيخ عبد الحميد بن باديس نستخلص أن التفسير عنده هو تفسير ألفاظ القرآن الكريم بأرجح معانيها اللغوية وحمل تراكيبه على أبلغ أساليبها البيانية، وربط الآيات بوجوه المناسبات مع الاعتماد في ذلك صحيح المنقول وسديد المعقول مما جلاه أئمة السلف أو غاص عليه علماء الخلف، وباعتبار أن القرآن كتاب الظهر ومعجزته الخالدة فلا يستقل بتفسيره إلا الزمن .

4- ويقول الشيخ أحمد مصطفى المراغي في تفسيره :"ولما كان القرآن كتابا سماويا تنزل على قلب أكمل الأنبياء، مشتملا على معارف عالية ومطالب سامية، يجد المنقب عنها من الهيبة والجلال ما يكاد يحول بينه وبين الوصول إليها سهل سبحانه الأمر عليتا فلم يطلب منا إلا الفهم والتدبر في كلامه، لأنه نزله نورا وهدى للناس، وجعله حاويا للشرائع والأحكام التي لا يمكن العمل بها إلا إذا فهمت حق الفهم، واستوضحت مغازيها، وكشفت أسرارها ومراميها،من حيث هي دين إلهي وهدي سماوي، ترشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيوية والأخروية وما سوى ذلك من وجوه النظر والبحث فتابع لذلك، ووسيلة إليه في التحصيل ولا يعنينا العناية التي نهتم لها اهتماما بالمطلب الأول "[3].

---

[1]- مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير :عبد الحميد بن باديس. مطبوعات وزارة الشؤون الدينية. دار البعث :الجزائر .ط1(1402هـ-1982م).ص09-10

[2] - مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير :عبد الحميد بن باديس .ص49

[3]- تفسير المراغي :أحمد مصطفى المراغي.مكتبة مصطفى البابي وأولاده .مصر.ط(1365هـ-1946م).ج1.ص10-11

وأصحاب المدرسة الاجتماعية في التفسير يريدون بهذا أن يلقوا اللوم على الكثير من المفسرين السابقين بشتى مذاهبهم ومناهجهم في التفسير اللذين اشتغلوا بوسائل التحصيل عن المقصد الأعلى والمطلب الأسمى، إذ يرى الشيخ أحمد المراغي أن كثير من المفسرين جعلوا عنايتهم تكاد تكون وقفا على الوسائل دون المقاصد [1].

ولهذا السبب يرى السيد رشيد رضا أنه " من سوء حظ المسلمين أن أكثر ما كتب في التفسير يشغل قارئه عن هذه المقاصد العالية والهداية السامية فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الإعراب وقواعد النحو، ونكث المعاني ومصطلحات البيان، ومنها ما يصرفه عنه بجدل المتكلمين وتخريجات الأصوليين واستنباطات الفقهاء المقلدين، وبعضها يلهبه عنه بكثرة الروايات وما مزجت به من خرافات وإسرائيليات، وقد زاد فخر الرازي صارفا آخر عن القرآن هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحادثة في الملة على ما كانت عليه في عهده، كالهيئة الفلكية اليونانية وغيرها "[2].

5- ويقرر الشيخ محمد عبده أن للتفسير وجوها شتى:

" **أحدها** :النظر في أساليب الكتاب ومعانيه وما اشتملت عليه من أنواع البلاغة ليعرف به علو الكلام وامتيازه على غيره من القول .

ثانيها : الإعراب، وقد اعتنى بهذا أقوام توسعوا في بيان وجوهه وما يحتمله الألفاظ منها .

ثالثها :تتبع القصص وقد سلك هذا المسلك أقوام زادوا في قصص القرآن ما شاءوا من كتب التاريخ والإسرائيليات.

رابعها : غريب القرآن .

خامسها : الأحكام الشرعية من عبادات ومعاملات والاستنباط منها .

سادسها : الكلام في أصول العقائد ومقارعة الزائغين ومحاجة المختلفين .

سابعها : المواعظ والرقائق، وقد مزجها اللذين ولعوا بها بحكايات المتصوفة والعباد، وخرجوا ببعض ذلك عن حدود الفضائل والآداب التي وضعها القرآن .

---

[1]- ينظر منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير :فهد الرومي.المملكة العربية السعودية.ط2(1403هـ-1983).ج1.ص215

[2]- تفسير القرآن الحكيم : رشيد رضا .ج1.ص07

ثامنها : ما يسمونه بالإشارة، وقد اشتبه على الناس فيه كلام الباطنية بكلام الصوفية" [1].

ويعقب رجال المدرسة العقلية على أن الإكثار في مقصد خاص من هذه المقاصد يخرج بالكثيرين عن المقصود من الكتاب الإلهي، ويذهب بهم في مذاهب تنسيهم معناه الحقيقي، وهو فهم الكتاب من حيث هو دين وهداية الناس في دنياهم وآخرتهم [2]،ولأجل هذا الهدف وضع الشيخ محمد عبده وتلاميذه تفاسيرهم للقرآن الكريم .

قال الشيخ محمد عبده:" وهذا هو الغرض الأول الذي أرمس إليه في قراءة التفسير"[3].

6- ويقول السيد رشيد رضا :" إن الحاجة شديدة إلى تفسير تتوجه العناية الأولى فيه إلى هداية القرآن على الوجه الذي يتفق مع الآيات الكريمة المنزلة في وصفه وما أنزل لأجله من الإنذار والتبشير و الهداية والإصلاح ..... ثم العناية إلى مقتضى حال هذا العصر، في سهولة التعبير ومراعاة أفهام صفوف القارئين، وكشف شبهات المشتغلين بالفلسفة العلوم الطبيعية وغيرها "[4].

7- أما الشيخ محمد مصطفى المراغي فيرى " أن الأساليب التي كتبت بها كتب التفسير وضعت في عهود سحيقة بأساليب تناسب أهل العصور التي ألفت فيها وسهل عليهم فهمها، وان جمهرتهم أوجزوا في القول وعدوا ذلك مفخرة لهم ولما كان لكل عصر طابع خاص يمتاز به عن غيره في آداب أهله وأخلاقهم وعاداتهم وطرائق تفكيرهم، وجب على الباحثين في هذا العصر مجاراة أهله في كل ما تقدم، فكان لزاما علينا أن نتلمس لونا من التفسير لكتاب الله بأسلوب عصرنا موافقا لأمزجة أهله، فأساس التخاطب أن لكل مقام مقال، وأن الناس يخاطبون على قدر عقولهم،وقد رأينا أن نشيد فيه بجهود السابقين معترفين بفضلهم مستندين إلى آرائهم"[5].

ولأجل هذا وضع رجال هذا الاتجاه تفاسيرهم للقرآن الكريم وسلكوا فيها منهجا خاصا بهم .

المطلب الثاني: نشأة الاتجاه الاجتماعي وتطـــوره وأهـــم رواده

الفرع الأول :المراد بالاتجاه الاجتماعي الإصلاحي في التفسير

---

[1]- المرجع نفسه .ج1.ص17-18

[2]- ينظر منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير :فهد الرومي.ج1.ص 217

[3]- تفسير القرآن الحكيم : رشيد رضا .دار المنار.ج1.ص25

[4]- المرجع نفسه .دار المنار .ج1.ص10

[5]- تفسير المراغي :أحمد مصطفى المراغي. .ج1.ص 17

اختلف الدارسون في تسمية هذا الاتجاه وأطلقت عليه عبارات مختلفة والمقصود بها مدلول واحد ومن هذه العبارات "اللون الأدبي الاجتماعي في التفسير في عصرنا الحاضر "، "مدرسة الأستاذ الإمام محمد عبده"،"التفسير الاجتماعي"، "المدرسة المصرية "، "المدرسة العقلية الحديثة"، "المدرسة العقلية الاجتماعية الحديثة في التفسير"، "مدرسة المرحلة التطبيقية في التفسير"،"مدرسة الاتجاه الاجتماعي في العصر الحديث"[1]، "الاتجاه الهدائي" وغيرها، وهي عبارات مختلفة تدل على هذا الاتجاه التفسيري [2].

ومما سبق يمكن إعطاء تعريف موجز لهذا الاتجاه :" التفسير الاجتماعي الإصلاحي هو التفسير الذي يعنى بإصلاح المجتمع وتربيته وتشخيص عيوبه ثم علاجها في ضوء القرآن الكريم "[3].

وعرفه الشيخ رشيد رضا بقوله :"التفسير الذي نطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو المقصد الأعلى وما وراءه تابع له أو وسيلة لتحصيله " إلا أن قال :"فالتفسير الذي يجب على الناس على أنه فرد كفاية هو ذهاب المفسر إلى فهم مراد القائل من القول، وحكمة التشريع في العقائد والأخلاق والأحكام على الوجه الذي يجذب الأرواح ويسوقها إلى العمل والهداية المودعة في الكلام "[4].

الفرع الثاني :نشأته وتطوره

شهد هذا العصر تحكم المادية الجاهلية الغربية في العالم حيث تقدمت أوروبا وأمريكا كثيرا في العلم والمادة والتكنولوجيا, وبالغت في الجاهلية والبعد عن الله، وانتشار الأفكار و الفلسفات المادية والإلحادية والآراء التي تهاجم الدين والإيمان، وتدعو إلى اللادينية والنظريات العلمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية .

---

[1]- التفسيروالمفسرون في ثوبه الجديد:عبدالغفورمحمد مصطفى جعفر.دار السلام:القاهرة.ط:1(1428هـ-2007م) ص629-631.

[2]- ينظر اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم :محمد إبراهيم شريف..ص232

[3]- أهم اتجاهات التفسير في بلاد المغرب:هلال خزاري.ج2.ص768

[4]- اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم :محمد إبراهيم شريف..ص232

وغزت هذه الدول الأوروبية والأمريكية باقي البلدان واستعمرتها ونشرت فيها أفكارها وقيمها وتصوراتها وأمست البلاد الإسلامية كباقي الدول الأخرى تحت سيطرة هذه الدول وشهد المسلمون تأخرا وانحطاطا في كافة المجالات، وابتعدوا كثيرا عن الدين وتأخروا عن ركب العلم والحضارة والتقدم[1].

وأمام هذا الواقع المؤلم الذي أصاب العالم الإسلامي "استيقظ نفر على هذا الضجيج الحضاري، فكانوا تماما كنفر ناموا حقيقة ثم وقع على رؤوسهم وهم نائمون جلبة وضوضاء مفزعة، فقامت طائفة مضطربة تقفز يمنة ويسرة على غير هدى وتتكلم بكلام هو وليد دهشتها ورعبها ؛وقامت طائفة أخرى بهدوء وسكينة فهللوا وكبروا وذكروا الله فأنزل الله على قلوبهم السكينة، ولم تزل الطائفة الثالثة نائمة لم تشعر بشيء"[2].

فتلك الطوائف الثلاثة هي واقع المسلمين في نهضتهم الحديثة، فقامت ثقافة تدعو إلى الثقافة الغربية دعوة عمياء محاولة إيجاد سبل ومناهج الإصلاح فيها وتطبيقها على الأمة الإسلامية لعلها ترتقي وتلحق بركب العلم والتحضر، وقام آخرون بالتوجه إلى عقيدة الأمة ومحاولة إصلاحها على أساس الإسلام وتعاليمه واتجهت إلى القرآن تفسره وتعرضه بطريقة مغايرة لما كان معروفا، والسعي إلى تبسيط فهم معانيه للناس وجعلهم يتوجهون إليه وينتفعون بهديه وإرشاده بعيدا عن العبارات المغلقة والاصطلاحات العلمية المعقدة.

وهكذا حدث تحول كبير في طريقة التفسير، فقد كانت التفاسير أول أمرها تدور حول أبحاث لفظية ونحوية وبلاغية وقراءات، وحول روايات أغلبيتها إسرائيليات وأحاديث لا أصل لها، وهنالك من غلَّب عليها العلوم العقلية الفلسفية كتفسير الرازي [3].

وجاءت هذه النهضة الدينية الأدبية الاجتماعية والتي بدأت مع الأستاذ 'جمال الدين الأفغاني' ثم حمل لوائها بعده تلميذه الشيخ 'محمد عبده' وتلاميذه 'محمد مصطفى المراغي' و'محمد رشيد رضا' وغير هؤلاء " وسميت

---

[1]- ينظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري :فهد الرومي.ج2.ص716،كذا تعريف الدارسين بمناهج المفسرين :عبد الفتاح الخالدي . ص561

[2]- ينظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري :فهد الرومي.ج2.ص716

[3]- ينظر علم التفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرا الحاضر: عبد المنعم النمر.دار الكتاب المصري :القاهرة . دار الكتاب البناني:بيروت .ط1 (1405هـ- 1915م) .ص 130

حركتهم بالنهضة الإصلاحية، وكان لها جوانب إصلاحية محمودة وكان لها يجانب هذا شطحات ما كانوا ليقعوا فيها لولا تطرفهم في تحكيم العقل في كل الأمور حتى جاوزوا الحق والصواب في أمور لا تخفى "[1].

-" وإذا كان هذا الاتجاه الاجتماعي يعتبر عملا جديدا في التفسير وابتكار يرجع فضله إلى مفسري هذا العصر الحديث، فإنا نستطيع أن نقول بحق أن الفضل في هذا اللون التفسيري يرجع إلى مدرسة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده للتفسير ، هذه المدرسة التي قام زعيمها —ورجاله من بعده- بمجهود كبير في تفسير كتاب الله تعالى، وهداية الناس إلى ما فيه من خير الدنيا وخير الآخرة "[2]، وكما أن لهذه المدرسة إيجابيات كثيرة تحمد عليها فإن لها سلبيات تؤاخذ عليها .

الفرع الثالث :أهم رواده

يتفق الدارسون على أن السيد 'جمال الدين الأفغاني' كان أول من دعى إلى إعادة النظر في مناهج التفسير القديمة، ومهد للاتجاهات الحديثة في تفسير القرآن، لأن مشروعه الإصلاحي استند إلى القرآن كمرجعية في دراسة واقع المسلمين والتبصر لمشكلاته وأمراضه، وفي تحديد الوسائل والأدوات اللازمة لتقويم هذا الواقع وابناء مقومات إيقاظه ونهوضه .

واستأنف لاحقا تلميذه 'محمد عبده' ثم السيد 'رشيد رضا' و الأستاذ 'محمد مصطفى المراغي' وهما خير من أنجبت هذه المدرسة، وكذا الشيخ 'محمد شنتوت' والشيخ 'أحمد مصطفى المراغي' والشيخ 'عبد القادر المغربي' وغيرهم ممن نهج هذا الطريق من أعلام مدرسة الإصلاح في المشرق، كما نجد كذلك في بلاد المغرب العربي روادا برزوا في هذا الاتجاه التفسيري نذكر منهم على سبيل المثال الشيخ 'محمد الطاهر بن عاشور' في تونس،والعلامة 'عبد الحميد بن باديس' والشيخ 'إبراهيم بيوض' والشيخ 'محمد بن يوسف أطفيش' في الجزائر، والشيخ 'عبد الله كنون' في المغرب الأقصى .

وسأتطرق هنا للحديث عن أبرز رواد هذا الاتجاه من المفسرين المشارقة (محمد عبده، رشيد رضا ومحمد مصطفى المراغي)وتفاسيرهم، وكذا الشيخ 'محمد الطاهر بن عاشور' من مدرسة المغرب العربي مع تفسيره "التحرير والتنوير"، أما رواده من المفسرين الجزائريين فسأتعرض لهم لاحقا .

أولا :الإمام محمد عبده

---

[1]- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري :فهد الرومي..ج2.ص717

[2]- التفسير والمفسرون:محمد حسين الذهبي. ج2.ص 401

إذا كان السيد 'جمال الدين الأفغاني' هو مؤسس المدرسة الاجتماعية الإصلاحية للتفسير فإن 'محمد عبده 'هو الذي أقام صروحها ودعى إليها ونشرها بين الناس ، فكان بحق هو صاحبها وأستاذها وإمامها الأول، فكان له من الأثر فيها ما لم يكن لأستاذه السيد جمال الدين الأفغاني.

1- ترجمته:

هو محمد عبده بن حسن بن خير الله من آل التركماني، من مؤسسي النهضة المصرية الحديثة وكبار الدعاة إلى التحرير والإصلاح في العالم الإسلامي ومفتي الديار المصرية .

ولد في حصة 'شبشير' من قرى إقليم الغربية في أواخر سنة 1265هـ، ونشأ في قرية 'محلة نصر' ؛تعلم بالجامع الأحمدي بـ'طانطا' ثم بالأزهر حيث اتجه إلى دراسة العلوم الطبيعية والتاريخية إلى جانب العلوم الإسلامية، ولازم أستاذه جمال الدين الأفغاني وأخذ عنه الفلسفة والمنطق وتأثر به كثيرا.

نال شهادة العالمية سنة 1877م، فاشتغل بالتدريس في دار العلوم ومدرسة الألسن وأخذ ينشر أفكاره الحرة في الصحف، ثم عزل عن وظيفته وأبعد إلى قريته .ثم دعي إلى رئاسة تحرير جريدة "الوقائع المصرية " وكانت حكومية ثم صارت في عهده صحيفة الرأي الحر ؛كان من مناصري الثورة العرابية، وبعد احتلال الإنجليز لمصر سجن ثلاثة أشهر ثم نفي إلى بلاد الشام فأقام ببيروت سنة انتدب خلالها للتعليم الديني في الكلية الإسلامية .[1]

-ثم سافر إلى باريس فأصدر مع جمال الدين الأفغاني مجلة ' العروة الوثقى' لمحاربة الاستعمار والطغيان في البلاد الإسلامية، ثم عاد إلى بيروت وقضى فيها بضع سنوات معلما ومربيا .

ولما عاد إلى مصر سنة 1306هـ تولى منصب القضاء في المحاكم الأهلية، ثم عضوية مجلس إدارة الأزهر ممثلا للحكومة، ثم مستشارا في محكمة الاستئناف فمفتيا بالديار المصرية، واستمر إلى أن توفي بالإسكندرية ودفن بالقاهرة.

[1] - ينظر معجم المفسرين :عادل نويهض . ج2.ص 566، كذا منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير :فهد الرومي.ج1.ص124-125، كذا الفكر العربي الحديث والمعاصر محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا :عبد الكريم بو صفصاف. دار الهدى :عين مليلة .الجزائر.ج1.ص176-

من آثاره :تفسير جزء "عم" كاملا، كما ترك تفسيرا مطولا لـــ "سورة العصر" وكان قد ألقاها على علماء الجزائر وأعيانها، كما شرح بعض الآيات التي يدور حولها الجدل كالآيات 52-53-54 من "سورة الحج".وفسر كذلك القرآن من "سورة البقرة "إلى الآية 126 من "سورة النساء" دونه تلميذه الشيخ رشيد رضا[1].

2- تفسيره للقرآن

كان من أهداف الإمام محمدعبده تنقيت تفسير القرآن مماعلق به من الإسرائيليات والأحاديث الموضوعة والخرافات، والاستطرادات النحوية، ونكث المعاني ومصطلحات البيان وجدل المتكلمين،وتخريجات الأصوليين، واستنباطات الفقهاء المقلدين وتأويلات المتصوفين، وتعصب الفرق وكثرة الروايات والعلوم الرياضية والطبيعية[2].

و لم يكن تطهير التفاسير القديمة مما علق بها من الشوائب أمرا ميسورا، فقد كانت تراثا ضخما يحتاج تجريده منها إلى إمكانيات واسعة من الأموال والعلماء وإلى زمن طويل، وذلك مطلب عسير، فلهذا رأى أن يبقي هذا التراث كما هو بما فيه من نفائس[3]، وأن يضع نموذجا للتفسير يحتديه معاصروه ومن بعده.

فبدأ تفسيره للقرآن درسا باقتراح من تلميذه محمد رشيد رضا في غرة المحرم سنة 1317هـــ في الأزهر وانتهى منه سنة 1323هـــ عند تفسيره لقوله تعالى { **وَ كَانَ اللهُ بِكُلِّ شيءٍ مُحِيطًا** ﴿**125**﴾ }النساء :125، وكان تفسيره الخمسة مجلدات الأولى من تفسير المنار وتوفي بعد ذلك.

وكانت طريقته في الدرس التوسع فيما أغفله أو قصر فيه المفسرون، واختصار ما برزوا فيه معتمدا على عبارة تفسير الجلالين، يقرؤها ثم يتكلم بما فتح الله عليه مبرزا هداية القرآن وأثره في النفوس، حتى يستعيد المسلمون بهدايته سيرتهم الأولى [4].

---

[1]- ينظر زعماء الإصلاح في العصر الحديث :أحمد أمين .دار الكتاب العربي بيروت .د.ط(1979م) .ص281-325، كذا اتجاه التفسير في العصر الحديث : مصطفى محمد الحديدي الطير .المكتبة العصرية. صيدة بيروت .د.ط.د.م.ص 23-26،كذا لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير :محمد ابن لطفي الصباغ .المكتب الإسلامي:بيروت .ط3(1410هـــ-1990م).ص 316-317

[2]- ينظر تفسير القرآن الحكيم : رشيد رضا. .ج1.ص 07

[3]- ينظر اتجاه التفسير في العصر الحديث :مصطفى محمد الحديدي الطير. ص 22

[4]- ينظر منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير :فهد الرومي.ج1.ص143-144، كذا علم التفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرا الحاضر: عبد المنعم النمر..ص 130-131

وقد سبق له التفسير قبل هذا إلقاء وكتابة، فألف "جزء عم" لطلبة الجمعية الخيرية الإسلامية، كما سبق وألف تفسيرا لـــ"سورة العصر" ألقاه في الجزائر ثم نشره في المنار، وطبع بعد ذلك مستقلا وهو غير تفسيرها في جزء عم، وكان يشرح بعد الآيات التي تثار حولها بعض الشبهات [1].

ثانيا :السيد محمد رشيد رضا

إذا كان السيد الأفغاني الرجل الذي انقدحت عنه نظرية وجوب إصلاح المجتمع، وكان تلميذه محمد عبده الرجل الذي بدأ تطبيق منهج هذه المدرسة، فإن الأستاذ محمد رشيد رضا هو الرجل الذي قام بتسجيل نشاط هذه المدرسة وبثه في العالم الإسلامي عبر صحيفة 'المنار 'ومواصلة ما بدأته من آراء .

1- ترجمته:

هو محمد رشيد بن علي بن رضا بن محمد شمس الدين ابن السيد بهاء الدين، ولد يوم الأربعاء 28جمادى الأولى 1282هـــ في قرية 'قلمون' جنوب طرابلس الشام، وتعلم فيها وفي طرابلس وفي بيروت .

رحل إلى مصر سنة 1315هـــ فلازم الإمام محمد عبده وتتلمذ له، ثم أصدر مجلة 'المنار ' ليث أرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي .

زار دمشق في أعقاب إعلان الدستور العثماني ثم عاد إلى مصر، وانشأ مدرسة 'الدعوة والإرشاد'[2].

وفي أيام حكم الملك فيصل ابن حسين قصد سوريا مرة ثانية وانتخب رئيسا للمؤتمر السوري وغادرها إثر دخول الفرنسيين إليها سنة 1920م، فأقام في مصر ثم رحل إلى الهند والحجاز و أوروبا ثم عاد ليستقر في مصر.

توفي إثر حادث سيارة عندما كان راجعا من السويس إلى القاهرة سنة 1354هـــ ؛ له مؤلفات كثيرة منها : تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، الوحي المحمدي، نداء الجنس اللطيف، الوحدة الإسلامية، تفسير المنار في أثنى عشرة مجلدا و لم يكمله وغير ذلك [1].

---

[1]- ينظر زعماء الإصلاح في العصر الحديث :أحمد أمين.ص329

[2]- ينظر معجم المفسرين :عادل نويهض .ج2.ص529، كذا علم التفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرا الحاضر: عبد المنعم النمر. ص 132،كذا بحوث في أصول التفسير ومناهجه: فهد الرومي..ص159

2- تفسيره للقرآن

اقترح الأستاذ محمد رشيد رضا على الشيخ محمد عبده أن يلقي درسا في التفسير فوافق على ذلك، وبدأ الأستاذ يدون ما يسمعه من شيخه ويرتبه ثم ينشره في مجلة المنار، ولهذا عرف تفسيره بتفسير المنار [2]،وهو مطبوع في أثنى عشرة مجلدا وطبع الجزء الثاني عشر والأخير منه إلى نهاية الآية 53 من 'سورة يوسف' .

ونستطيع أن نقسم هذا التفسير إلى قسمين : القسم الأول الذي كتبه قبل وفاة شيخه محمد عبده وهو من أول القرآن إلى الآية 125 من 'سورة النساء '، والقسم الثاني الذي كتبه بعد وفاة شيخه من الآية 125 من 'سورة النساء 'إلى 'سورة يوسف '.

أما القسم الأول فيتصف بقلة التفسير بالمأثور وظهور التفسير بالرأي والتحكيم العقلي، وبيان سنن الله تعالى في المجتمعات والإصلاح الاجتماعي ؛أما القسم الثاني فظهرت فيه عناية الأستاذ رشيد رضا بالتفسير بالمأثور وكثرة الاستشهاد والاستدلال بالأحاديث[3] .

يقول الأستاذ محمد رشيد رضا في هذا الصدد:" هذا وإنني لما استقللت بالعمل بعد وفاته، خالفت منهجه رحمه الله تعالى بالتوسع فيما يتعلق بالآية من الستة الصحيحة سواء كانت تفسيرا لها أو في حكمها، وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية بين العلماء، وفي الإكثار من شواهد الآيات والسور المختلفة وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلا تحقيقها .....[4]".

وقد قام الأستاذ 'محمد بهجت البيطار' بتفسير بقية سورة يوسف، وضم تفسير السورة بعضه إلى بعض وأصدره في كتيب مستقل بعنوان "تفسير سورة يوسف " منسوبا للشيخ رشيد رضا .

---

[1]- ينظر معجم المفسرين :عادل نويهض .ج2.ص 529،كذا النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين :محمد رجب البيومي . منشورات المكتبة العصرية :بيروت. د.ط (1400هـ-1980م) ج2.ص 33، كذا تفكير محمد رشيد رضا من خلال مجلة المنار :محمد صالح المراكشي .الدار التونسية . تونس .كذا المؤسسة الوطنية للكتاب .الجزائر .ط1.د.ت.ص29-40

[2]- ينظر تفسير القرآن الحكيم : رشيد رضا .دار المنار.ج1.ص 12

[3]- ينظر بحوث في أصول التفسير ومناهجه :فهد الرومي..ص 169-160،كذا مباحث في علوم القرآن :مناع القطان .مكتبة وهبة :القاهرة . ط:7.د.ت.ص161-162، كذاعلم التفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرا الحاضر: عبد المنعم النمر. ص 132-133.

[4]- تفسير القرآن الحكيم : رشيد رضا .دار المنار. .ج1.ص 16

ثالثا : محمد مصطفى المراغي

كان الشيخ محمد مصطفى المراغي من تلامذة الشيخ محمد عبده، وكان من أكثر العلماء تأثرا بمدرسته وأخذا بتعاليمها مع أن لم يلازمه مدة طويلة ؛كان المراغي مصلحا أزهريا سويا على الصراط لم تأخذه الصحافة و لم تمل به السياسة، و لم يذهب مذاهب الأدباء والفلاسفة .

1- ***ترجمته:***

ولد الشيخ محمد ابن مصطفى ابن محمد ابن عبد المنعم المراغي في بلدة 'مراغة 'من أعمال 'جورجا 'بالصعيد سنة 1298 هـ الموافق لـ1881 م .

حفظ القرآن ثم التحق بالأزهر وتتلمذ للأستاذ الإمام محمد عبده، نال شهادة العالمية سنة 1904 م وعين مدرسا بالأزهر، ثم اختير ضمن البعثة التي سافرت إلى السودان لوضع أسس المحاكم الشرعية فيه، وعين بعد ذلك قاضيا في 'دنقلا '، ثم نقل إلى مدينة 'الخرطوم'، وفي سنة 1907م عاد إلى مصر وعين مفتشا للدروس الدينية ومدرسا بالأزهر .

وفي سنة 1908م عين رئيسا للمفتشين بالمحاكم الشرعية، ثم رئيسا لمحكمة مصر الكلية، فعضوا في المحكمة الشرعية، فرئيسا لها .

وفي سنة 1928 عين شيخا للأزهر الشريف ثم استقال من منصبه، ثم أعيد سنة1935 م، فاستمر إلى أن توفي بالإسكندرية سنة 1364هـ الموافق لـ1945 م .

من آثاره : تفسير سورة الحجرات، تفسير سورة الحديد وآيات من تفسير سورة الفرقان، و تفسير سورتي لقمان والعصر، طبعت كلها[1] .

[1]- ينظر معجم المفسرين :عادل نويهض .ج2.ص 639، كذا اتجاه التفسير في العصر الحديث :مصطفى محمد الحديدي الطير . ص86

2- تفسيره للقرآن

عين الملك فاروق الأول الشيخ المراغي لإلقاء درس في التفسير في بعض المساجد في شهر رمضان، وكانت دروسه عامرة بعلية القوم وعامتهم وعلمائهم وطلبتهم، وكان الملك يحضر تلك الدروس مما كان له أثر في الإقبال على درس المراغي، ونقله في الإذاعة، وطبعه في مجلة الأزهر ثم نشره مستقلا.

ولم يكن الشيخ المراغي من المكثرين في التفسير بل كان مقلا ولا يتناول فيه إلا آيات وسور قليلة، أما الآيات فمن سور متفرقة، وأما السور فالحجرات والحديد ولقمان والعصر والملك .

وكان للشيخ المراغي عناية في اختيار آيات هادية إلى سواء السبيل وآيات تظهر للناس أن القرآن لا يقف في سبيل العلم ولا يصادم ما صح من نظرياته وقواعده .

وكان الشيخ المراغي متين الصلة بكتب الأقدمين، يأخذ من جواهرها دون أن يتحامل على أولائك المفسرين فيما قصروا فيه، يقول الشيخ المراغي عن تفسيره :" ما هو إلا ثمرة من غرس أسلافنا الأقدمين وزهرات من رياضهم "[1]، وكان لا يحاول أن يجلو ما أبهمه القرآن وأعرض الرسول عن بيانه، وكان لا يقحم في تفسيره الإسرائيليات ولا الأخبار الموضوعة ولا الضعيفة، كما كان يهتم بحكمة التشريع، وكان له غيرة عارمة على حدود الله فلذلك لا يدخر وسعا في الإنكار على من تعداها [2].

رابعا :الشيخ محمد الطاهر بن عاشور

الشيخ محمد الطاهر بن عاشور شيخ الإسلام وشيخ الجامع الأعظم وفروعه الزيتونية، عالم من أعلام هذا العصر وركن من أركان الحركة الإصلاحية ؛ أنار الفضاءات العلمية داخل الوطن العربي وخارجه بمشاركاته القيمة في تنشيط الحركة الفكرية وإثراء المكتبة العربية على امتداد قرن كامل [3].

---

[1]- اتجاه التفسير في العصر الحديث :مصطفى محمد الحديدي الطير. ص :88-93 ، كذا منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير :فهد الرومي.ج1.ص 192

[2]- ينظر اتجاه التفسير في العصر الحديث :مصطفى محمد الحديدي الطير. ص93-94

[3]- ينظر شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وأثاره :بلقاسم الغالي .دار ابن حزم :بيروت .ط1(1417هـ-1996م).ص 05

1- *ترجمته:*

ولد الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بـــ 'المرسى ' ضاحية من ضواحي العاصمة التونسية، في جمادى الأولى سنة 1296هـــ الموافق لشهر سبتمبر 1879 م.

نشأ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في بيئة علمية لجده لأب قاض قضاة الحاضرة التونسية ' الشيخ محمد ابن عاشور '، وجده لأم ' الشيخ محمد الغزيز بوعتور '، فنشأ في رحاب العلم والجاه ؛ وقد بدأ تعلم القرآن في سن السادسة من عمره، فقرأه وحفظه على المقرئ ' محمد الخياري '، والشيخ ' أحمد ابن بدر الكافي '، ثم حفظ المتون العلمية كسائر ابناء عصره ثم تعلم ما تيسر له من اللغة الفرنسية [1].

التحق بجامع الزيتونة وعمره 14 عام، وشرع ينهل من معينه بتوجيه من والده وجده لأم وأساتذته :عمر ابن أحمد الشيخ، الشيخ سالم بو حاجب والشيخ صالح الشريف .

تولى التدريس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية، ثم عين عضوا مؤسسا للجنة إصلاح التعليم بجامع الزيتونة، وبعد هذا التحق الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بالقضاء فكان عضوا بالمحكمة العقارية وقاضيا مالكيا ثم مفتيا مالكيا فكبير المفتين سنة 1924 م، فشيخ الإسلام للمذهب المالكي سنة 1932م ؛ وقد باشر كل هذه المهام بمهارة ودقة علمية ناذرة .

سمي شيخ جامع الزيتونة وفروعه ثم استقال من مشيخة جامع الزيتونة بعد سنة 1933 م، ثم سمي من جديد شيخا لجامع الزيتونة ستة 1945م، فشيخا عميدا للكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين سنة 1956م.

---

[1]- ينظر بيان موقف الطاهر بين عاشور من الشيعة من خلال تفسيره التحرير والتنوير :خالد أحمد الشامي .د.م.د.ت.ط1(1425هـــ-2005م) ص 21-22، كذا شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وأثاره :بلقاسم الغالي .ص 36-37

كان مقبلا على الكتابة والتحقيق والتأليف فقد شارك في إنشاء عدة مجلات مثل مجلة هدى الإسلام، نور الإسلام، مجمع اللغة العربية وغيرها، كما شارك في الموسوعة الفقهية التي تشرف عليها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت[1].

وكان رحمه الله أول محاضر باللغة العربية بتونس في هذا القرن ؛ أما كتبه ومؤلفاته فقد وصلت إلى الأربعين وهي غاية في الدقة العلمية، ومن أهم هذه المؤلفات في العلوم الشرعية : تفسير التحرير والتنوير، مقاصد الشريعة، أليس الصبح بقريب، أصول النظام الاجتماعي وغيرها .

وله كذلك مساهمات كثيرة في الدورات الثقافية من مجلات وصحف و نحوها [2].

توفي رحمه الله يوم الأحد 13 رجب 1393هـ الموافق لـ 12 أوت 1973م بعد حياة حافلة بالجد والنشاط والإفادة والتأليف القيمة [3].

2- ***تفسيره للقرآن***

تفسير' التحرير والتنوير ' لمؤلفه محمد الطاهر بن عاشور مؤلف جليل في فته، ابتدأ تأليفه سنة 1341 هـ، وهو في الخامسة والأربعين من عمر واستمر به حوالي أربعين سنة" [4]، فسر فيه القرآن كاملا من سورة الفاتحة إلى سورة الناس.

و ' التحرير والتنوير ' عنوان مختصر من عنوانه الطويل " تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد " ؛ وتفسير الشيخ ابن عاشور لكتاب الله العزيز أمنية عزيزة طالما منى النفس بالظفر بها رغم ثقل المسؤولية، خاصة عندما أسندت إليه مهمة القضاء، ولما انتقل إلى خطة الفتيا صح العزم منه على تحقيق ما

---

[1]- بيان موقف الطاهر بين عاشور من الشيعة من خلال تفسيره التحرير والتنوير :خالد أحمد الشامي . .ص 20-21، كذا شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وأثاره :بلقاسم الغالي . .ص 38، كذا الطاهر ابن عاشور رائد الإصلاح : الصادق رشيد .جريدة المشرق الأوسط (1425هـ ـ 2004 م). ص464.

[2]- التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا :محمد ابن رزق الطرهوني. ج1 .ص347-348، كذا بيان موقف الطاهر بين عاشور من الشيعة من خلال تفسيره التحرير والتنوير :خالد أحمد الشامي..ص 30-33

[3]- أعلام تونسيون :الصادق الزمرلي .ي : جمادى الساحلي.دار الغرب الإسلامي :بيروت .ط 1(1986م) ص 367

[4]- تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: صلاح عبد الفتاح الخالدي . .ص :588

أضمره من إقدام على تفسير القرآن [1]، يقول ابن عاشور في هذا الصدد :" فقد كان أكبر أمنيتي مند أمد بعيد تفسير الكتاب المجيد الجامع لمصالح الدنيا والدين، و موثق شديد العرى من الحق المبين والحاوي لكليات العلوم، و معاقد استنباطها، و الآخذ قوس البلاغة من محل نياطها، طمعا في بيان نكث من العلم وكليات من التشريع وتفاصيل من مكارم الأخلاق "[2]

صدر الإمام ابن عاشور تفسيره بمقدمات في علوم القرآن تناول فيها عدد من القضايا الهامة مثل :التفسير والتأويل، استمداد علم التفسير، أسباب النزول وغيرها من القضايا ؛ ثم مضى في تفسيره على نمط فريد يداني به أئمة التفسير المعتمدين، وقد حوى نكتا علمية في شتى العلوم والفنون، يقول ابن عاشور :" فجعلت حقا عليا أن أبدي في تفسير القرآن لم أر من سبقني إليها، وأن أقف موقف الحكم بين طوائف المفسرين تارة لها و آوينة عليها، فإن الاقتصار على الحديث المعادي تعطيل لنص القرآن الذي ما له من نفاذ..."[3].

ونجد أن السمة البارزة على تفسير الطاهر ابن عاشور هو التفسير البلاغي إضافة إلى الألوان التفسيرية الأخرى، يقول الشيخ ابن عاشور :" وقد نحى كثير من المفسرين بعض تلك الأفنان ولكت فنا من فنون القرآن لا تخلو عن دقائقه ونكته آية من آيات القرآن، وهو فن دقائق البلاغة هو الذي لم يخصه أحد من المفسرين بكتاب كما خصّوا الأفانين الأخرى، من أجل ذلك التزمت ألا أغفل التنبيه على ما يلوح لي من هذا الفن كما ألهمته بحسب مبلغ الفهم وطاقة التدبر، وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكث البلاغة العربية وأساليب الاستعمال، واهتممت أيضا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض ...أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض فلا أراه حقا على المفسر .

و لم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط بها من أغراضها لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورا على بيان مفرداته ومعاني جمله كأنها فقر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه وتحجب عنه روائع جماله..." [4]

-إذن فـــ " التحرير والتنوير " يعد في الجملة تفسيرا بلاغيا بيانيا لغويا عقلانيا، لا يغفل المأثور ويهتم بالقراءات ؛ وطريقة مؤلفه فيه أن يذكر مقطعا من السورة ثم يشرع في تفسيره مبتدءا بذكر المناسبة ثم لغويات المقطع ثم التفسير الإجمالي، ويتعرض فيه للقراءات والفقهيات وغيرها، ثم يقدم عرضا تفصيليا لما في السورة ويتحدث عن ارتباط

---

[1]- ينظر شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وأثاره :بلقاسم الغالي..ص 76

[2]- تفسير التحرير والتنوير :محمد الطاهر بن عاشور.الدار التونسية .ج1.ص 05

[3]- تفسير التحرير والتنوير :محمد الطاهر بن عاشور.الدار التونسية.ج1.ص07

[4]-المرجع نفسه.ج1.ص08

آياتها[1]؛وبرز ابن عاشور في تفسيره هذا في اتجاهات متعددة في التفسير من بينها الاتجاه الاجتماعي التربوي، فهو يرى أن القرآن أنزل لإصلاح حال الناس، وأن المقصد العام في التشريع هو حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه، صلاح عقله وما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه .

وانتهى الشيخ ابن عاشور من تفسيره لكتاب الله سنة 1380هـ، يقول في خاتمة كتابه:" وكان تمام هذا التفسير يوم الجمعة الثاني عشر من شهر رجب عام ثمانين وثلاثمائة وألف، فكانت مدة تأليفه تسعا وثلاثين سنة وستة أشهر "[2].

ومما ينبغي الإشارة إليه أن الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وبحكم انتمائه إلى مدرسة الإصلاح بالمغرب العربي، لم يتابع مدرسة الإصلاح في المشرق فيما شّذت فيه من آراء، وما سقطت فيه من سقطات تنتقد عليها.

يقول الدكتور هلال خزاري في هذا الشأن :"... وقد ظهرت مدرسة الإصلاح في المشرق ولها فضلها على المغرب، ولها فضلها على العالم الإسلامي أجمع، لها إيجابياتها كما لها سلبياتها، ومما ينبغي أن يلاحظ أن مدرسة التفسير في المغرب ليس فيها ما يذم، فلم تتابع مدرسة الإصلاح في المشرق فيما شّذت فيه من آراء، فكان روادها بذلك حكماء، عرفوا كيف يتناولون مختلف القضايا التي تعرض في التفسير بما يوافق الشرع، كما أنها لم تسقط سقطات تنتقد عليها، وتلام فيها، كما انتقدت مدرسة الإصلاح في المشرق من الناقدين حتى ألفت في ذلك مؤلفات وبحوث"[3].

المطلب الثالث : منهج المدرسة الاجتماعية في التفسيـــر

يقوم منهج التفسير لدى المدرسة الاجتماعية في التفسيـــر على عدة أسس ارتضوها وجروا في تفسيرهم لكتاب الله عليها، ومن هذه الأسس:

الأساس الأول : الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم

---

[1]- ينظر التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا :محمد ابن رزق الطرهوني . ج2 .ص738-739

[2]- تفسير التحرير والتنوير :محمد الطاهر بن عاشور. ج30.ص 636

[3]- أهم اتجاهات التفسير في بلاد المغرب في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الاهجريين :هلال خزاري.ج2.ص771

أيد كثير من علماء السلف الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ومن بينهم ابن العربي ووليد الملوي والإمام الشاطبي و غيرهم .

ومال رجال المدرسة الاجتماعية في التفسير فقالوا بالوحدة الموضوعية في سور القرآن وعدوها أساسا في فهم القرآن، يقول الشيخ محمد رشيد رضا :" من نظر في ترتيب السور كلها في المصحف، يرى أنه قد روعي في ترتيبها الطول والتوسط والقصر في الجملة، ومن حكمته أن في ذلك عونا على تلاوته وحفظه، فالناس يبدؤون بقراءته من أوله فيكون الانتقال من السبع الطول إلى المئين فالمثاني، فالمفصل أنفى للملل وأدعى إلى النشاط، ويبدؤون بحفظه من آخره لأن ذلك أسهل على الأطفال، ولكن في كل قسم من الطول والمئين والمفصل تقديما لسور قصيرة على سور أطول منها، ومن حكمة ذلك أنه قد روعي التناسب في معاني السور مع التناسب في الصّور أي مقدار الطول والقصر "[1].

والوحدة الموضوعية أساس متين ومن الخصائص البارزة في تفسير هذه المدرسة، ولتأكيد الوحدة الموضوعية بين آيات القرآن نرى رجال هذه المدرسة يوازنون بين التفاسير فيختارون منها ما يرونه ملائما مع السياق، ولهذا ربما استعرضوا آراء المفسرين السابقين في تفسير كلمة قرآنية ورفضوها لمخالفتها هذا الأساس [2].

وانطلاقا من هذا الأساس لدى رجال هذه المدرسة فإنا نرى الأستاذ محمد عبده يرفض تحديد 'فجر' أو 'ليال عشر' بعينها من قول تعالى :{ **وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾** } الفجر :01-02 بل هما مطلقان، والعلة في ذلك الوحدة الموضوعية في آيات القرآن الكريم، يقول الأستاذ محمد عبده :" كثر خلاف المفسرين والرواد في معنى كل من 'فجر' و 'ليال عشر ' إلى آخر ما أقسم به، وقد يفسر الواحد منهم الفجر بمعنى ثم يأتي في الليالي العشر بما لا يلائمه، وغالب ذلك يجري على خلاف ما عودنا الله في نسق كتابه الكريم وقد جرت سنة الكتاب بأنه إذا أريد تعيين يوم أو وقت ذكره بعينه : كيوم القيامة في :{ **لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴿١﴾** }القيامة :01، و كاليوم الموعود في سورة:{ **وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾** } البروج :01 و كليلة القدر في سورتها، فإذا أطلق الزمن و لم يقيد كان المراد ما يعمه معنى الاسم، كما سبق في قوله :{ **وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾** } التكوير:17-18، فالفجر هنا على هذا هو جنس ذلك الوقت المعروف الذي يظهر فيه بياض النهار في

---

[1] – تفسير القرآن الحكيم : رشيد رضا .دار المنار.ج7.ص287

[2] – ينظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري:فهد الرومي.ج1. ص721

جلد الليل الأسود،وينبعث الضياء لمطاردة الظلام، وهو وقت تنفيس الصبح وهو معهود في كل يوم، فصح أن يعّرف بالألف واللام "[1]

و غيرها من الأمثلة الأخرى التي ينفي فيها الإمام محمد عبده كل تفسير لا يتفق عنده مع مفهوم الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم .

الأساس الثاني : الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية [2]

وهو كالأساس الذي قبله من الأسس الواضحة في منهج المدرسة الاجتماعية في التفسير، وقد وقف العلماء السابقون منه موقفهم من سابقه أيضا بين منكر ومؤيد.

وكما قال رجال المدرسة الاجتماعية بالوحدة الموضوعية في القرآن الكريم قالوا بالوحدة الموضوعية في السورة القرآنية، وكان التزامهم بهذا الأساس ردا على المستشرقين اللذين زعموا أن القرآن خليط متنافر وجمع غير مؤتلف، ليس فيه وحدة الموضوع ولا يتبع منهج التأليف العلمي أو الفني من عرض للموضوع ومناقشة وتدوين الملاحظات و استنتاج الحقائق، بل نجد السورة تدخل في أكثر من موضوع وتعرض الجميع عرضا سريعا، و لا تراعى مناسبة بين محتوياتها فهي أشبه بقول: عسل، خمر، لبن .

فقام رجال هذه المدرسة للرد عليهم والتزموا في سبيل ذلك القول بالوحدة الموضوعية في السورة القرآنية متوهمين أن إنكار هذا يتحقق في مزاعم المستشرقين[3] .

وكما ردوا من التفاسير التفسير الذي يخالف الوحدة الموضوعية في القرآن فإنهم يردون هنا ما يخالف الوحدة الموضوعية في السورة أو هدفها العام حتى جعلوا هذا الأخير أساسا في فهم آياتها[4].

الأساس الثالث : تحكيم العقل في التفسير

---

[1]- تفسير جزء عم :محمد عبده .مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح.د.ط(1387هـ)ص: 76 نقلا عن اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري:فهد الرومي..ج1. ص: 722

[2]- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري:فهد الرومي..ج1. ص:725، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: فهد الرومي..ج1.ص. 222، دراسات في التفسير وأصوله :محي الدين بلتاجي..ص 218-219

[3]- ينظر منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير :فهد الرومي.ج1.ص22-223

[4]- ينظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري:فهد الرومي.ج1. ص 725، كذا دراسات في التفسير وأصوله : محي الدين بلتاجي.ص 218

ومن الأسس التي يسيرون عليها في تفسيرهم تحكيم العقل المجرد في النصوص الشرعية، وهذا من شأنه أن يوقع في أخطاء كبيرة، فالعقل هو المخاطب بالنص ولا يجوز أن يسبقه، و هذا لا يعني إنكار ما للعقل من قيمة وما له من مكانة في الحياة عامة، وما له من مكانة في الإسلام أيضا، تشهد لذلك النصوص العديدة والآثار البارزة ودعى الإسلام إلى استعمال العقل في مواضع عديدة منها قوله تعالى :{ **كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّـــهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴿٢٤٢﴾ }البقرة:242.

وقد بالغ رجال هذه المدرسة في تحكيم العقل المجرد فأدى بهم هذا إلى أمور خاطئة واعتقادات باطلة وأحكام زائفة، كيف لا والأستاذ محمد عبده يعد أصول الإسلام، فيعد الأول والثاني منها النظر العقلي وتقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض[1] حيث يقول :" الأصل الأول للإسلام النظر العقلي لتحصيل العلم، فأول أساس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلي، والنظر عنده هو وسيلة الإيمان الصحيح، فقد أقامك منه على سبيل الحجة وقاضاك إلى العقل، ومن قاضاك إلى حاكم فقد أذعن إلى سلطته، فكيف يمكنه بعد ذلك أن يجور أو يثور عليه"[2].

"ولا شك أن وصفه الإسلام بأنه يدعن لسلطة العقل تعبير مخالف للصواب وللحق، فالإسلام عقيدة أوسع من أن تدعن لوسيلة، والعقل وسيلة أضيق من أن تحيط بالعقيدة "[3].

ثم يقول عند ذكره للأصل الثاني من أصول الإسلام:" الأصل الثاني للإسلام تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض " إلى أن قال :" ولهذا الأصل الذي قام على الكتاب وصحيح السنة وعمل النبي صلى الله عليه وسلم مهدت بين يدي العقل كل سبيل، وأزلت من سبيله جميع العقبات وأتسع له المجال إلى غير حد "[4].

وغير ذلك من المواضع الكثيرة التي يبين فيها درجة العقل عنده، إذن فهذه هي درجة الحكم العقلي لدا رجال هذه المدرسة الاجتماعية، طبقوه ودعوا لذلك في تفسير القرآن الكريم .

الأساس الرابع :إنكار التقليد والتحذير منه

---

[1]- ينظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري:فهد الرومي.ج1. ص729-730

[2]- الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية: محمد عبده.دار المار: د. م.ط:7(1367هـــ) .ص 72- 73 نقلا عن اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري:فهد الرومي.ج1. ص730

[3]- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري:فهد الرومي.ج1. ص731

[4]- الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية :محمد عبده .ص :74- 75 نقلا عن اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري:فهد الرومي.ج1. ص732

وهو أساس منبثق من أساس تحكيم العقل، ويطلق التقليد ويراد به في عرف الفقهاء قبول قول الغير من غير حجة ولا يسمى الآخذ بالكتاب أو السنة أو الإجماع تقليدا لأن ذلك هو الحجة في نفسه .

ونرى الحرص الشديد لدى رجال المدرسة العقلية الاجتماعية على ذم التقليد والتشنيع على المقلدين وخلطوا بذلك بين التقليد في العقيدة والتقليد في الأحكام [1].

ففي تفسير قول تعالى :{ **فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾** } آل عمران :64

قال الإمام محمد عبده :" فما جرى عليه المقلدون من المسلمين من الأخذ بآراء بعض الفقهاء في العبادات والحلال والحرام هو عين ما أنكره كتاب الله تعالى على أهل الكتاب، وجعله منافيا للإسلام بل جعل مخالفتهم فيه هي عين الإسلام، فليعتبر المعتبرون....."[2].

ودعى أصحاب هذه المدرسة إلى الاجتهاد وتحرير العقل من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف ؛ وهذا مثال لاجتهاد الشيخ محمد عبده وتلميذه السيد رشيد رضا وذلك في قوله تعالى : {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّـهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾** }آل عمران :130، فيرى السيد رشيد رضا أن الربا المحرم هو ما كان أضعافا مضاعفة فيقول :" والمراد بالربا فيها ربا الجاهلية المعهود عند المخاطبين عند نزولها لا مطلق المعنى اللغوي الذي هو الزيادة فما كل ما يسمى زيادة محرم "[3].

هذا مثال واحد عن اجتهاداته الكثيرة في تفسير آيات الأحكام في القرآن الكريم، يظهر منها مدى تبنيهم لنبذ التقليد والدعوة للاجتهاد واتخاذه أساسا هاما في تفسيرهم للقرآن الكريم .

الأساس الخامس : التقليل من شأن التفسير بالمأثور

التفسير بالمأثور يشمل أنواعا أربعة :تفسير القرآن بالقرآن، وتفسيره بالسنة النبوية، وتفسيره بأقوال الصحابة رضي الله عنهم، وتفسيره بأقوال التابعين .

أما أولها وهو تفسير القرآن بالقرآن فهو مقبول عندهم وهو أشرف أنواع التفسير وأصح طرقه ؛ أما التفسير المأثور الذي رفضه أصحاب هذه المدرسة هي الأنواع الثلاثة المتبقية .

---

[1] – ينظر منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير :فهد الرومي..ج1.ص : 368- 370

[2] – تفسير القرآن الحكيم : رشيد رضا .ج3.ص:327

[3] – تفسير القرآن الحكيم : رشيد رضا.ج4 .ص:123

وقد درج علماء هذه المدرسة على التقليل من شأن التفسير بالمأثور والتشكيك فيه وعدم الاحتجاج به وإن كانوا يظهرون قبوله واعتباره [1].

قال السيد رشيد رضا :" وأما الروايات المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعلماء التابعين في التفسير فمنها ما هو ضروري أيضا، لأن ما صح من المرفوع لا يقدم عليه شيء، ويليه ما صح عن علماء الصحابة مما يتعلق بالمعاني اللغوية أو عمل عصرهم، والصحيح من هذا وذلك قليل، وأكثر التفسير بالمأثور قد سرى إلى الرواة من زنادقة اليهود والفرس ومسلمة أهل الكتاب كما قال الحافظ ابن كثير "[2].

ثم قال " فالحق أن كل ما لا يعلم إلا بالنقل عن المعصوم من أخبار الغيب الماضي أو المستقبل وأمثاله لا يقبل في إثباته إلا الحديث الصحيح المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهذه قاعد الإمام ابن جرير التي يصرح بها كثيرا"[3].

ثم قال :" وغرضنا من هذا كله أن أكثر ما روي في التفسير المأثور أو كثيره حجاب على القرآن وشاغل لتاليه عن مقاصده العالية المزكية للأنفس المنورة للعقول، فالمفضلون للتفسير المأثور لهم شاغل عن مقاصد القرآن بكثرة الروايات التي لا قيمة لها سندا ولا موضوعا ...."[4].

ومن خلال هذا النص ندرك مدى تشكيكه وقلة ثقته في التفسير بالمأثور .

أما الشيخ أحمد مصطفى المراغي فيقول في بيان منهجه في التفسير :" ومن ثم رأينا ألا نذكر رواية مأثورة،إلا إذا تلقاها العلم بالقبول و لم نر فيها ما يتناقض مع قضايا الدين التي لا خلاف فيها بين أهله، وقد وجدنا أن ذلك أسلم لصادق المعرفة وأشرف لتفسير كتاب الله وأجدب لقلوب المثقفين ثقافة علمية لا يقنعها إلا الدليل والبرهان ونور المعرفة الصادقة "[5].

---

[1]- ينظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري:فهد الرومي.ج2. ص743

[2]- تفسير القرآن الحكيم : رشيد رضا .ج1.ص07- 08، يقول فهد الرومي في كتابه اتجاهات التفسير في القرن الرابع الهجري.ج2. ص 744 "و لم يشر رشيد رضا إلى المصدر و لم نقف لابن كثير رحمه الله تعالى على مثل هذا ؟ "

[3]- تفسير القرآن الحكيم : رشيد رضا.ج1.ص 10

[4]- تفسير القرآن الحكيم : رشيد رضا . .ج1.ص10، يقول فهد الرومي في كتابه اتجاهات التفسير في القرن الرابع الهجري.ج2. ص 744 "و لم يشر رشيد رضا إلى المصدر و لم نقف لابن كثير رحمه الله تعالى على مثل هذا ؟ "

[5]- تفسير المراغي :أحمد مصطفى المراغي. ج1.ص 18

هذه بعض الأقوال التي تدل على تمسك أصحاب هذه المدرسة بهذا الأساس وتطبيقه في تفسيرهم لكتاب الله .

الأساس السادس : التحذير من التفسير بالإسرائيليات

شن رجال هذه المدرسة حملة شعواء على الإسرائيليات وحذروا من الخوض فيها ومن تناولها عند تفسير القرآن الكريم وأنكروا على المفسرين السابقين تناولهم لها، وتطرف أصحاب هذه المدرسة في التحذير من الإسرائيليات وأدى بهم هذا إلى تكذيب بعض الإسرائيليات التي وافقت ما جاء في شريعتنا، وتكذيب بعض الأحاديث الصحيحة الثابتة خشية أو احتمال أو لظاهر أن يكون الصحابي الذي روى الحديث سمعه من كعب الأحبار.

وأدى بهم هذا أيضا إلى أن تناولوا بعض الصحابة رضوان الله عليهم بالتجريح، والتشكيك في إيمان بعض التابعين الذين شهد لهم السلف الصالح بالعدالة [1].

الأساس السابع: القرآن هو المصدر الأول في التشريع

يقول الأستاذ محمد عبده :" وأريد أن يكون القرآن أصلا تحمل عليه المذاهب والآراء في الدين لا أن تكون أصلا والقرآن هو الذي يحمل عليها ويرجع بالتأويل أو التحريف إليها كما جرى عليه المخذولون وتاه فيه الضالون [2]".

ويؤكد هذا تلميذه رشيد رضا بقوله ": إن القاعدة القطعية المعروفة عمن أنزل عليه القرآن صلى الله عليه وسلم وعن خلفائه الراشدين رضي الله عنهم أن القرآن هو الأصل الأول لهذا الدين وأن حكم الله يلتمس فيه أولا، فإن وجد فيه يؤخذ وعليه وعول ولا يحتاج معه مأخذ آخر، وأن لم يوجد ألتمس من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، على هذا أقر النبي صلى الله عليه وسلم معاذ حين أرسله إلى اليمن وبهذا كان يتواصى الخلفاء والأئمة من الصحابة والتابعين "[3].

الأساس الثامن : الشمول في القرآن الكريم

---

[1]- ينظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري:فهد الرومي.ج2. ص755، كذا منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير :فهد الرومي.ج1.ص 316

[2]- فاتحة الكتاب :محمد عبده .ص46 نقلا عن اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري:فهد الرومي.ج2. ص765-766.

[3]- تفسير القرآن الحكيم : رشيد رضا .ج5. ص120

القرآن الكريم هو كتاب الله تعالى للإنسانية جمعاء فهو لجميع الأمم ولجميع الأزمنة[1],و أدرك رجال المدرسة العقلية الاجتماعية هذا الأساس فالتزموه في تفسير كتاب الله عز جل، يقول الإمام محمد عبده: " إن القرآن هادٍ ومرشد إلى يوم القيامة وإن معانيه عامة وشاملة، فلا يعد ويوعد، ويعظ ويرشد أشخاصا مخصوصين، وإنما نيط وعده ووعيده وتبشيره وإنذاره بالعقائد والأخلاق والعادات والأعمال التي توجد في الأمم والشعوب"[2].

وقال تلميذه من بعده :" فإن كان مات من كانوا سبب النزول فالقرآن حي لا يموت ينطق حكمه ويحكم سلطانه على الناس في كل زمان "

وهذا مثال لتطبيق أصحاب هذه المدرسة لهذا الأساس ؛ يقول السيد رشيد رضا عند تفسيره لقوله تعالى: { **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّـــهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ** ﴿٨﴾ } " البقرة :08 وهذه الآيات التي نحن بصدد تفسيرها الآن هي المبينة لحال الفرقة الرابعة وهي فرقة من الناس توجد في كل آن وفي كل عصر، وليست الآيات كما قيل في أولائك النفر من المنافقين اللذين كانوا في عصر التنزيل ولذلك قال تعالى في بيان حالهم : { **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّـــهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ** }، و لم يقل عنهم إنه يقولون مع ذلك " وآمنا لك يا محمد "وما كان القرآن ليعتني بأولئك النفر اللذين لم يلبثوا أن انقرضوا كل هذه العناية ويطيل في بيان حاله أكثر مما أطال في الأصناف الثلاثة اللذين هم سائر الناس"[3].

ومثال آخر عند الشيخ أحمد مصطفى المراغي عند تفسيره لقوله تعالى : { **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴿7﴾} الفاتحة:07، " والمغضوب عليهم هو اللذين بلغهم الدين الحق الذي شرعه الله لعابده فرفضوه ونبذوه ورائهم ظهريا وانصرفوا عن النظر في الأدلة تقليدا لما ورثوه عن الآباء و الأجداد، والضالون هم اللذين لم يعرفوا الحق أو لم يعرفوه على الوجه الصحيح وهؤلاء هم اللذين لم تبلغهم رسالة أو بلغتهم على وجه لم يثبت لهم فيه الحق"[4].

---

[1]- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري:فهد الرومي.ج2. ص769، كذا منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير :فهد الرومي.ج1.ص 241

[2]- تفسير القرآن الحكيم : رشيد رضا .ج1. ص179

[3]- تفسير القرآن الحكيم : رشيد رضا .ج1. ص149

[4]- تفسير المراغي :أحمد مصطفى المراغي.ج1.ص 37

مال الشيخ المراغي هنا إلى العموم مع أنه ورد في السنة تخصيص هذا العموم بأن المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى[1] .

الأساس التاسع : التحذير من الإطناب في مبهمات القرآن الكريم

لقد كان هذا المبدأ واضحا جليا عند سلفنا الصالح وكان هذا المبدأ أيضا من الوضوح بمنزلة كبيرة في المدرسة العقلية الحديثة والتي تدعو بكل أسلوب وبكل لغة وبكل وسيلة إلى تنقية التفاسير مما علق بها من أحاديث وضعها القصاص والوضاعون في بيان كل مبهم في القرآن الكريم، ليدعموا به مبادئهم الضالة التي لم يجدوا لها سندا واضحا من كتاب الله أو سنة رسوله فلجؤوا إلى ذلك الأسلوب الهجين [2].

وذهب رجال هذه المدرسة إلى أنه من الخير للناس أن يوفروا على أنفسهم عناء البحث في معاني هذه المبهمات[3] وأن يكفوا عن الخوض فيما لا سبيل إلى علمه و لم يكلفهم الله به و لم يربط به شيئا من تكاليفه .

يقول الإمام محمد عبده عند تفسيره لقوله تعالى : { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ**} النساء:01، "نحن لا نحتج على ما وراء مدركات الحس والعقل إلا بالوحي الذي جاء به نبينا عليه السلام، وإننا نقف عند هذا الوحي لا نزيد ولا ننقص كما قلنا مرات كثيرة، وقد أبهم الله تعالى هاهنا أمر النفس التي خلق الناس منها وجاء بها نكرة فندعها على إبهامها"[4].

هذا مثال واحد من الأمثلة الكثيرة التي توقف فيها رجال المدرسة العقلية الاجتماعية عن الإطناب فيما أبهمه القرآن الكريم .

الأساس العاشر : التفسير العلمي

---

[1]- ينظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري:فهد الرومي.ج2. ص771

[2]- ينظر منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير :فهد الرومي.ج1.ص 254

[3]- وأول مبهمات القرآن ومما استأثر الله بعلمه ما يسمى فواتح السور " ألم، كهيعص ....." ومن أشهر هذه المبهمات أيضا {وفاكهة وأبا }

[4]- تفسير القرآن الحكيم : رشيد رضا .ج4. ص324

حذر رجال هذه المدرسة من التطرف في سلوك منهج التفسير العلمي، لأن ذلك مما يشغل القارئ عن المقاصد العالية والهداية السامية للقرآن الكريم .

يقول محمد مصطفى المراغي :"وجد الخلاف بين المسلمين في العقائد والأحكام الفقهية، ووجد عندهم مرض آخر هو الغرور بالفلسفة وتأويل القرآن ليرجع إليها، وتأويله لبعض النظريات العلمية التي لم يقر قرارها، وذلك خطر عظيم على الكتاب فإن للفلاسفة أوهاما لا تزيد على هذيان المصاب بالحمى، والنظريات التي لم تستقر لا يصح أن يرد إليها كتاب الله"[1].

وهذا لا يعني رفضهم الكامل لهذا النوع من التفسير بل المقصود هنا هو عدم المبالغة في الأخذ به والاعتدال في ذلك، وهذا الشيخ رشيد رضا يعد ذلك وجها من وجوه إعجاز القرآن فيقول :" الوجه السابع،اشتمال القرآن على تحقيق كثير من المسائل العلمية والتاريخية التي لم تكن معروفة في عصر نزوله، ثم عرفت يعد ذلك بما انكشف للباحثين والمحققين من طبيعة الكون وتاريخ البشر وسنن الله في الخلق "[2].

الأساس الحادي العاشر: الإصلاح الاجتماعي

احتل هذا الأساس منزلة كبيرة عند رجال المدرسة الاجتماعية في التفسير حتى أصبح صفة من صفاتهم التي يعرفون بهذا .

ذلكم أن رواد هذه المدرسة وهم يواجهون أو يعاصرون يقظة العالم الإسلامي الذي انبهرت طائفة منه بمعالم الحضارة الغربية، اتجهوا كغيرهم من المصلحين إلى تلمس السبيل الأمثل لإصلاح المجتمع الإسلامي وفق أحكام الشريعة الإسلامية، وانطلاقا من ذلك الكتاب العزيز الذي يشمل ما فيه صلاح الدنيا وسعادة الآخرة، فخاضوا في شتى القضايا وبسّطوا الكثير من الاصطلاحات، اتجهوا إلى تفسير القرآن يطبقونه على مجتمعاتهم، فإن جاء ذكر عمل محمود أشادوا به ودعوا إلى امتثاله، وإن جاء ذكر عمل مذموم حذروا الناس منه .

---

[1]- منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير :فهد الرومي.ج1.ص 270.نقلا عن مجلة الأزهر.م9.سنة 1357.ص 172.الدروس الدينية : محمد مصطفى المراغي .

[2]- تفسير القرآن الحكيم : رشيد رضا .ج1. ص 210

وقد التزم رجال هذه المدرسة في تفسيرهم لكتاب الله أن ينبهوا إلى كل آية تتعلق بالإصلاح الاجتماعي واتخذوا منها مدخلا إلى الإصلاح [1].

فجاء تفسيرهم للقرآن الكريم بطابع جديد يمتاز ببساطة معانيه، ووضوح عباراته، وأسلوب دقيق تصاغ فيه معاني القرآن بأسلوب شيق جذاب يتناسب وطبيعة العصر الحديث.

المطلب الرابع : المدرسة الاجتماعية في التفسير في ميزان النقد

الحق الذي لا مراء فيه أن المدرسة العقلية الاجتماعية الحديثة في التفسير لها من المحاسن الكثير كما لها من المساوئ الكثير وسنتعرض هنا للحديث عن بعض محاسن وعيوب هذه المدرسية.

الفرع الأول : محاسن المدرسة

قام رجال هذه المدرسة بجهود كبيرة في خدمة كتاب الله وتفسيره، وهداية الناس لما فيه خير الدنيا والآخرة والذي يحمد لهذه المدرسة أنها نظرت للقرآن نظرة بعيدة عن التأثر بمذهب من المذاهب، ولم يكن من رجالها ما كان من كثير من المفسرين في التأثر بمذهب من المذاهب إلى الدرجة التي تجعل القرآن تابعا لمذهبه فيؤول القرآن بما يتفق معه .

1- كما أنها وقفت من الراويات الإسرائيلية موقف الناقد البصير، فلم تشوه التفسير بما شوه به في كثير من كتب المتقدمين من الروايات المكذوبة، والتي مست جمال القرآن وجلاله، فجرأت الطاعنين عليه.

2- كذلك لم تغتر هذه المدرسة بالأحاديث الضعيفة والموضوعة كما اغتر بها الكثير من المفسرين.

وكان من أثر عدم اغترار هذه المدرسة بالراويات الإسرائيلية والأحاديث الضعيفة والموضوعة أنها لم تخض في مبهمات القرآن والأمور الغيبية التي لا تعرف إلا من جهة النصوص الشرعية الصحيحة، بل قررت مبدأ الإيمان بما

---

[1]- ينظر دراسات في التفسير وأصوله :محي الدين بلتاجي.ص 222-223، كذا منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير :فهد الرومي.ج1.ص 383، كذا اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري:فهد الرومي.ج2. ص775

جاء من ذلك مجملا ومنعت الخوض في التفصيلات والجزئيات، وهو مبدأ سليم يقف حاجزا منيعا دون تسرب شيء من خرافات الغيب المضنون إلى المعقول والعقائد[1].

3- الأسلوب الذي سلكوه في بث أفكارهم بالحديث المباشر في المساجد والمجتمعات والمنتديات والمحاضرات وفي الصحافة وفي المؤلفات.

4- الاتصال والتعرف على مختلف الطبقات من الملوك والوزراء والأمراء والعلماء وبكل شرائح المجتمع لتوجيه كل منها إلى الوجهة الإسلامية الصحيحة[2].

5- كما أن هذه المدرسة نهجت بالتفسير منهجا أدبيا اجتماعيا، فكشفت عن بلاغة القرآن وإعجازه وأوضحت معانيه ومراميه، وأظهرت ما فيه من سنن الكون ونظم الاجتماع، وعالجت مشاكل الأمة الإسلامية بما أرشد إليه القرآن من هداية وتعاليم .

6- كما نجد أنها وفقت بين القرآن وما أثبته العلم من نظريات صحيحة، وبينت للناس أن القرآن هو كتاب الله الخالد الذي يساير التطور الزمني والبشري إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها[3].

7- كذلك دفعت هذه المدرسة الشبه الواردة على القرآن وفندت ما أثير حوله من شكوك وأوهام، بحجج قوية دمغت بها الباطل ؛كل ذلك بأسلوب شيق جذاب يستهوي القارئ، ويستولي على قلبه ويحبب إليه النظر في كتاب الله والوقوف على معانيه وأسراره [4].

الفرع الثاني :عيوب المدرسة

كما أن لهذه المدرسة مزايا ومحاسن تحمد عليها تجد لها عيوب ومساوئ تأخذ عليها، ولها أخطاء وانحرافات وجب التحذير منها:

1- ومن الأمور التي تأخذ على المدرسة أنها أعطت لعقلها حرية واسعة، فتناولت بعض الحقائق الشرعية التي جاء بها القرآن وعدلت بها عن الحقيقة إلى المجاز أو التمثيل.

---

[1]- ينظر التفسير والمفسرون:محمد حسين الذهبي.ج2.ص 401

[2]- ينظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري:فهد الرومي.ج2. ص857

[3]- ينظر التفسير والمفسرون:محمد حسين الذهبي.ج2.ص 401- 402

[4]- ينظر المرجع نفسه .ص402

2- كما أنها بسبب هذه الحرية العقلية المطلقة جارت المعتزلة في بعض تعاليمها وعقائدها، وحملت بعض ألفاظ القرآن من المعاني ما لم يكن معهودا عند العرب في زمن نزول القرآن وطعنت في بعض الأحاديث تارة بالضعف وتارة بالوضع، مع أنها أحاديث صحيحة رواها البخاري ومسلم وهما أصح الكتب بعد كتاب الله عز وجل .

3- كما أنها لم تأخذ بأحاديث الآحاد الصحيحة الثابتة في كل ما هو من قبيل العقائد، أو من قبيل السمعيات؛ مع أن أحاديث الآحاد في هذا الباب كثيرة لا يستهان بها[1].

4- ما يحيط ببعض رجال هذه المدرسة من غموض وشبهات، وقد اشترط سلفنا الصالح فيمن يفسر القرآن الكريم أن يكون معروف بالصلاح والاستقامة وحسن السير والسلوك، و أن لا يكون موضع تهمة.

5- افتقاد بعض رجال هذه المدرسة شروط هامة في المفسر، فبعضهم يجهل السنة ولا يعرف من الأحاديث إلا القليل بل في بعض الأحيان يرد من الأحاديث ما هو متفق على صحته، وبعضهم لا يعرف من اللغة ما يمكنهم من تحري المعنى الصحيح للآية، بل وينكر بعضهم اشتراط معرفة اللغة على المفسر .

6- بعض رجال هذه المدرسة لم يلتزم الأصول التي تدعو إليها في التفسير، فيطنب فيما أبهم في القرآن، ويروي الكثير من الإسرائيليات، ويورد من التفسير العلمي ما لم تثبت حقائقه[2].

هذه بعض محاسن ومساوئ هذه المدرسة التفسيرية، والتي كانت لها جهود كبيرة في الإصلاح الاجتماعي من شتى نواحيه .

المبحث الثالث: التفسير الاجتماعي في الجزائر

كما ذكرنا سابقا أن العالم الإسلامي قد وقع تحت سيطرة الغرب في القرن التاسع عشر ميلادي، وشهد تحكم المادية الجاهلية الغربية في العالم، حيث تقدمت أوروبا وأمريكا كثيرا في كل نواحي الحياة : الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية والعلمية، كما عرفت كذلك بعدا عن الدين وانتشار الفلسفات المادية والإلحادية .

وذكرنا أيضا أن هذه الدول وبحكم سيطرتها وتقدمها غزت باقي البلدان واستعمرتها، ونشرت فيها أفكارها وقيمها وتصوراتها، وأمست البلاد الإسلامية كباقي الدول تحت هذه السيطرة ؛وباعتبار الجزائر جزء من هذه العالم الإسلامي فقد شهدت الأحداث نفسها، ووقعت تحت السيطرة والاحتلال الفرنسي .

---

[1]- ينظر المرجع نفسه.ص402- 403

[2]- ينظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري:فهد الرومي.ج2. ص858- 859

المطلـــب الأول: أسباب ظهور التفسير الاجتماعي في الجزائر

فبعد حصار دام ثلاث سنوات للشواطئ الجزائرية (1827م-1830م)، وطأت أقدام الفرنسيين الغزاة أرض الجزائر في منطقة 'سيدي فرج '؛وانتهج الفرنسيون في بداية احتلالهم سياسة الاحتلال الجزئي، فاقتصرت سيطرتهم على المناطق الساحلية، بينما بقيت الأرياف الداخلية والمناطق الجنوبية الصحراوية بعيدة عن نفوذهم وسلطتهم الفعلية، ولكن هذه السياسة ما لبثت أن تغيرت لتحل محلها سياسة الاحتلال الكلي .

فأعلن الشعب الجزائري رفضه لهذا النظام، وقاومه وظهر ذلك من خلال الثورات الشعبية العديدة التي اشتعلت في طول البلاد وعرضها، ولكن سلطات الاحتلال أفلحت في القضاء عليها جميعها بعد معارك شرسة، كان حصادها بالنسبة للجزائريين فضيعا، فقد دمرت بلادهم وتهدم اقتصادها.

وقد لجأت فرنسا بعد قضائها على المقاومة المسلحة إلى سلسلة من الإجراءات القمعية لتوطيد دعائم احتلالها، وتكريس وجودها مثل قانون " الأهالي " ؛كما عمدت بعد ذلك إلى تمزيق الوحدة الوطنية للشعب الجزائري بإثارة النعرة العصبية والقبلية، والتفريق بين العرب والبربر .

وسعت فرنسا بكل ما لديها من وسائل لتحطيم المرتكزات الروحية للشعب الجزائري، وتشويه صورتها والتهوين من أمرها، ويبدو ذلك جليا من خلال محاربتها المستمرة للدين الإسلامي وتشجيعها للمبرشين ولمظاهر الانحراف الديني، وشجعت في مقابل ذلك كل مظاهر الانحراف الخلقي، فوجد الشباب الجزائري نفسه أمام أحد المصيرين، إما الارتماء في أحضان الانحراف الخلقي أو الارتماء في أحضان الانحراف الديني و الشعودة الصوفية ؛وبعد كل هذه الإجراءات بدأت فرنسا في تنفيذ سياستها الرامية إلى استغلال الجزائر اقتصاديا وبشريا[1].

إذن فقد زحف الاحتلال الفرنسي على الجزائر، فاحتل أرضها بالقوة، واستوطن بجيشه ومعمريه وفكره وحضارته أرض الجزائر، فاستعمل وسخر في سبيل ذلك كل إمكانياته المادية والمعنوية، وعمل كل ما في وسعه ومقدوره لاحتواء الجزائر أرضا وشعبا وحضارة وتاريخا، وتحطيم بنية مجتمع قائم بذاته ومتميز بخصوصياته لشله وإخضاعه لسلطانه واستكباره، و لم يترك الاستعمار الفرنسي في سياسته التعسفية لسحق المجتمع الجزائري المسلم، وتفكيك بنيته الذاتية أي جانب من جوانب حياته يميز هذا الشعب ويشكل ذاتيته الحضارية، إلا وعمل على محوه

[1]- ينظر عبد الحميد بن باديس مفسرا :حسن عبد الرحمان سلوادي .المؤسسة الوطنية للكتاب: الجزائر .د.ط(1988م). ص13- 19

وتشويهه وإزالته من الوجود، حتى يضفي على طابع الحياة العامة للشعب الجزائري ولغته وفكره وحضارته غزوه واستعماره الشامل .

وعندما آل وضع الأمة إلى هذا التخلف الحضاري، لم يسلم من ذلك دين الأمة ومعتقداتها فانتشرت الطرق الصوفية وتعددت وتنوعت، حتى صار في الجزائر العاصمة وحدها حوالي ثلاثة وعشرون طريقة صوفية، وهذا التواجد المكثف للطرق والزوايا خوّل لها الإمساك بالعالم الثقافي والتكوين الإسلامي للشعب الجزائري، الذي لم يكن يرى الإسلام إلا الطُرقية، ومما زاد ضلالهم ما كانوا يرون من المنتمين إلا هذه الطرق من التمسك بها، والتأييد لشيوخها [1].

هذه المعالم الرئيسية البارزة لتطور السياسة الفرنسية في الجزائر وانعكاساتها الاجتماعية على الشعب الجزائري، وشهد الجزائريون بهذا تأخرا وانحطاطا في كافة المجالات، وابتعدوا كثيرا عن الدين وتأخروا عن ركب الحضارة التقدم.

- ومع انقضاء العقد الأول من القرن العشرين، بدى لسلطات الاحتلال الفرنسية أن الشعب الجزائري قد استكان للأبد ورضي بالواقع المفروض عليه، ولكن ما لبثت أن ظهرت في الأفق عدة عوامل كان لها تأثير مباشر في تفتح عقول الجزائريين، وإدراكهم لكل ما يدور حولهم من أحداث وتصورات.

فعلى صعيد السياسة الدولية برزت أحداث عديدة، أهمها دخول تركيا الحرب ضد الحلفاء سنة 1914 م ومشاركة الشباب الجزائريين المتفرنسين اللذين كانوا يدعون إلى الاندماج بفرنسا، وكذلك فرض التجنيد الإجباري، و أغدقت فرنسا الجزائريين بالوعود، وأنهم سينالون حقوقهم ومطالبهم بعد الحرب ؛ولكنها نكثت كل تلك العهود فخاب أمل الجزائريين اللذين قدموا آلاف الضحايا في هذه الحرب، وعادوا إلى بلادهم بشعور جديد وتجارب جديدة، فبدؤوا يفكرون في المستقبل ويشتغلون بالسياسة [2].

ومن هذه الأحداث كذلك نشر ابنود برنامج الرئيس الأمريكي " ولسن "سنة 1918م، والتي أثارت اهتمام الجزائريين وأتاحت لهم أملا في تقرير مصيرهم، كما دفع هذا المثقفين الجزائريين إلى الجهر بمطالب تقدموا بها في مؤتمر الصلح؛ وغير هذا من الأحداث السياسية التي كان لها دورها في يقظة الشعب الجزائري .

---

[1]- ينظر جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر :عبد الرشيد زروقة .دار الشهاب :بيروت .ط1(1420هـ-1999م) .ص 41-43

[2]- ينظر عبد الحميد بن باديس مفسرا :حسن عبد الرحمان سلوادي.ص 19-20

أما على الصعيد الثقافي والفكري فقد كان العامل الرئيسي في يقظة الشعب الجزائري هو عودة الاتصال الخصب بين شرق الوطن العربي ومغربه عن طريق البعثات العلمية، والصحافة والكتب[1] ؛ فمجلة " المنار " التي كانت تصل إلى الجزائر خفية ساهمت في إيصال فكرة الشيخ محمد عبده إلى الجزائر وإلا غيرها من البلدان الإسلامية، وكان لها أثر كبير في تهيئة الأجواء لتقبل الدعوة الإصلاحية وتبنى الأفكار التي قامت عليها والاقتداء بأئمتها .

هذه الدعوة الإصلاحية التي نادت بضرورة تصحيح العقيدة، ونشر التعليم، ومحاربة البدع، ونشر الوعي،أثرت في نفوس المثقفين الوطنيين اللذين كانت تقلقهم حالة البلاد المتدهورة .

ويؤكد الشيخ خير الدين (أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين) هذا التأثير بقوله:" والحركات التحررية في بعض بلدان المشرق العربي مدينة لحركة الإصلاح الفكري والديني، التي قادها موقظ الشرق جمال الدين الأفغاني، ومن بعده الإمام محمد عبده ثم تلميذه رشيد رضا، و لم تكن هذه الحركات بعيدة عنا، بل كان مدّها متصلا ببلادنا ، فجريدة "العروة الوثقى" التي كان يصدرها جمال الدين الأفغاني و محمد عبده، و "مجلة المنار" التي كان يصدرها رشيد رضا، و"مجلة الفتح " لمحب الدين الخطيب، من الصحف التي كانت تغدي نفوس المصلحين "[2].

ومن المجلات والجرائد التي كان لها قراء بالجزائر، ولها تأثير كبير في بعث اليقظة العربية الحديثة في مطلع القرن العشرين جريدتي : "المؤيد "و "اللواء"، فالأولى أسسها الشيخ 'علي يوسف' بالقاهرة، وكانت تدعو إلى اليقظة العلمية و إصلاح الأوضاع الداخلية في البلاد العربية، ومقاومة الاستعمار والاستبداد السياسي، والظلم الاجتماعي، وتبث حب الحرية في النفوس .والثانية أسسها الزعيم المصري مصطفى كامل في القاهرة، وكانت تكتب عن الجزائر كثيرا، وتدافع عن أقطار المغرب العربي في وجه المظالم الاستعمارية[3].

– فهذه المجلات والجرائد التي كانت حربا على الأفكار الجامدة، وعلى الاستعمار، وعلى الروح الإتكالية، أثرت في كثير من علماءنا من ذوي النزعة الإصلاحية، واللذين أسهموا في إنعاش الحركة الفكرية عن طريق التدريس والكتابة.

---

[1]– ينظر عبد الحميد بن باديس مفسرا :حسن عبد الرحمان سلوادي.ص 20-21

[2]– إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس :عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان .دار الأمة :برج الكيفان الجزائر. ط1(1998م)ص 20- 22

[3]– المرجع نفسه .ص 22

المطلب الثاني :نشأة التفسير الاجتماعي في الجزائر وتطوره

تأثرت الحياة الفكرية في الجزائر بالأفكار التي ظهرت في المشرق العربي،وكان للدعوة التي قادها جمال الدين الأفغاني أثر كبير في نشر الفكر الإصلاحي السلفي في الجزائر، رغم الحصار الذي ضربه المستعمر لعزلها عن العالم الإسلامي.

وتعتبر محاولة 'الأمير عبد القادر' الفكرية أهم المحاولات الجزائرية الحديثة في ميدان النهضة، والواقع أن الأمير عبد القادر أول من أثار الضمير الشعبي الجزائري، وبذر بذورا بقيت تنمو في القلوب، وتمتد جذورها في الأرض الطبية الجزائر .

وإلى جانب ما للأمير من ثورة سياسية فإنه أضاف إليها ثورة فكرية تتمثل في تلك الأبحاث الدينية،التاريخية والفلسفية، الكلامية والصوفية التي قام بها، وبعد إخفاقه في معركته ضد المستعمرين وخروجه من الوطن عاد الفكر الجزائري إلى جموده وتحجره من جديد .

ورغم بعد الأمير عبد القادر عن وطنه فإنه كان يقوم ابنشاط في سبيل الإصلاح والنهضة، بدليل انتمائه إلى الجمعية السرية السياسية التي أسسها جمال الدين الأفغاني (1254هـ -1314هـ/1839م -1897م)، والتي تسمى "العروة الوثقى "،كما انظم إلى 'الجمعية الماسونية' في 'الإسكندرية' سنة 1864م [1].

-وأدى انتشار البدع والاعتقاد بالخرافات وطغيان الطرقية إلى رد فعل من طرف جماعة من الفقهاء المسلمين، و العلماء السنيين السلفيين اللذين آلمتهم الحال الراهنة، وأقلقهم سوء الحياة الاجتماعية، وكثرة الظلال، والانحراف إلى الجاهلية، وهؤلاء كانوا الرواد الأوائل لحركة الإصلاح الديني والأخلاقي والاجتماعي في الجزائر.

إضافة إلى ما ذكرنا سابقا توجد عوامل أخرى خارجة وهي النهضة في المشرق وعودة الاتصال الفكري والثقافي بينه وبين المغرب العربي، عن طريق الصحافة، والكتب والمجلات، والحج الذي تقع فيه مؤتمرات واجتماعات للنظر في أزمة المسلمين[2].

---

[1]-ينظر آثار ابن باديس :عبد الحميد بن باديس .ت :عمار طالبي.الشركة الجزائرية:الجزائر.ط :3(1417هـ -1997م) .ج1.ص 15-16

[2]- ينظر المرجع نفسه .ص :16

كما كان لزيارة الشيخ محمد عبده للجزائر سنة 1905م، أثر كبير في نفوس الجزائريين، وعن طريق الطلبة اللذين سافروا إلى 'القرويين' و'الزيتونة' و'مصر' للدراسة، فقد ساهم هؤلاء المثقفين بعد عودتهم إلى الوطن وبدلوا جهودا عظيمة للنهوض بالحياة الفكرية والدينية، بما أثاروا من همم وبما بنوا من مدارس في مختلف أنحاء الوطن، وبما أصدروه من صحف معتمدين في ذلك على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فأصلحوا العقائد،وصححوا المفاهيم، ونقوا الأفكار من رواسب البدع والخرافات التي غلفت بها، ومن هؤلاء الرواد اللذين ساهموا في إثراء النهضة الفكرية الإسلامية في الجزائر نذكر منهم

" الشيخ عبد القادر المجاوي" (1848م -1914م) الذي يعد أحد رجال الإصلاح الديني، واللذين حاربوا البدع والخرافات، وقد عاش للعلم والتعليم، وتخرج على يده كثيرون منهم الشيخ حمدان الونيسي.

ومن بين هؤلاء العلماء كذلك " الشيخ مصطفى بن الخوجة " الذي تأثر بالأفكار الإصلاحية التي انتقلت إلى الجزائر عن طريق المجلات والجرائد، وعن طريق زيارة الشيخ محمد عبده إلى الجزائر سنة 1905م ؛وكانت للشيخ مصطفى بن الخوخة اهتمامات إصلاحية معروفة منها اهتمامه بنهضة المرأة باعتبارها المدرسة التي تستطيع تربية جيل صالح [1].

وكذلك لا ننسى الحركة الصوفية الإصلاحية الثورية، وهي حركة " محمد بن علي السنوسي " سنة 1843م التي اعتقد صاحبها أن الدعوة الأخلاقية والتجديد الروحي هما الأساس للتحرر من السلطة الأجنبية، ولقد تركت هذه الحركة أثرا بعيد المدى في المغرب الإسلامي، وهي حركة متصلة بالحركة الوهابية وبتعاليمها، رغم أن مؤسسها صوفي ولكنه ليس كالصوفية الآخرين [2].

ونجد كذلك من هذا الرعيل "الشيخ عبد الحليم بن سماية" الذي كان مشهورا بشجاعته الناذرة في إبداء الرأي وقول الحق، ويعد من العلماء القلائل اللذين نشروا الفكرة السلفية في الجزائر عن طريق التدريس الذي أفاد به جيلا من طلاب العلم [3].

---

[1]- ينظر إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس :عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان. .ص :22-23، تاريخ الجزائر الثقافي :أبو القاسم سعد الله.ج7.ص :10-11

[2]- ينظر آثار ابن باديس :عبد الحميد بن باديس .ت :عمار طالبي. ج1.ص 30

[3]- ينظر إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس :عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان..ص 23، كذا تاريخ الجزائر الثقافي .ج7.ص 12

كما نجد كذلك "الشيخ محمد بن يوسف أطفيش "وقد كان من أيزر العلماء العاملين بعلمهم، تكون في فترة الحماية الفرنسية على 'مزاب'، ثم أخد ينشر علمه، وطبع تأليفه في الجزائر وغيرها، وكانت له من الإمكانيات الأدبية واللغوية والمواهب العقلية ما أهله لخوض هذا البحر، وكان طموحا ويمتلك زمام القيادة الروحية والفكرية في 'مزاب'، كما كان من العلماء المستقلين عن الإدارة الفرنسية، و لم يكن معزولا عن العالم حوله، بل كان فعالا، متحركا، مشاركا، وقد سافر وارتحل وراسل الأعيان عدة مرات .

وغير هؤلاء من العلماء اللذين يحملون بين جوانبهم وعيا وطنيا صادقا، وفكرا دينيا صحيحا أمثال الشيح "عمر ابن قدور " صاحب "جريدة الفاروق "، والأستاذ "عمر راسم " صاحب مجلة "ذو الفقار"،هؤلاء وغيرهم ممن يمكن اعتبارهم النواة التي مهدت الطريق للحركة الإصلاحية في الجزائر [1].

–ومن سنة 1920 م اتسعت قائمة العلماء الأحرار، ورجع عدد من العلماء المهاجرين وتضخم حجم الجمهور المثقف بالعربية، وازداد الحماس للإصلاح والتغيير، وعرف الناس ما يعرف بالدروس الحرة في المساجد، فكان العلماء عادة ينطلقون من آية قرآنية على منبر من المنابر، أو في حفل ديني أو تعليمي، ومنها يحللون الأفكار وينتقدون الأوضاع ويدعون إلى التغيير والإصلاح .

وجمهور هؤلاء المفسرين كان من العامة في أغلب الأحيان، إنه جمهور التجار والفلاحين وبعض المعلمين من الطلبة، ولذلك كان عليهم أن يبسطوا في اللغة والمعاني وأن يتناولوا موضوعات ذات صلة بهذا الجمهور مثل : العقائد المزيفة، الأمراض الاجتماعية، والمعاملات وغيرها ؛والحقيقة أن هذا الجيل من المفسرين الشفويين أدى دوره،وبلغ رسالته عن طريق الكلمة الناطقة، وكون شبابا وبعث شعبا كاملا، ومن هؤلاء المفسرين " الشيخ العربي التبسي "والذي بدأ دروسه بالجامع الكبير في تبسة بعد رجوعه من دراسته بالأزهر الشريف، وكان ذا ثقافة دينية واسعة، فقد كان مطلعا على التفاسير عارفا بأحوال العصر ومقتنعا بدور العالم في هذا المجال، وكان يتخذ التفسير وسيلة للدعوة إلى التقدم والنهوض، لأن القرآن في أساسه يدعو إلى ذلك، وكان يعتمد منهجا معينا يقوم على شرح الألفاظ، واستخراج المعاني وتطبيقها على الواقع، وكانت الدعوة إلى الاتحاد التقدم واليقظة هي غايته، وكذلك نبذ

[1]– ينظر إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس :عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان. ص 23، تاريخ الجزائر الثقافي :أبو القاسم سعد الله .ج7. ص 11

البدع، والعمل بما جاء به القرآن، و واصل تفسيره للقرآن حتى ختمه أخر سنة 1956م، وكان يكتب أيضا في البصائر وغيرها[1] .

ومن هؤلاء أيضا "أحمد سحنون "، كان يجمع بين الدرس الشفوي في التفسير والمقال الصحفي، الذي يستخرج فيه معاني بعض الآيات، واستمر على ذلك فترة طويلة، وكان ينشر إنتاجه على صفحات "البصائر" في باب دائم وخاص.

ونجد إمام النهضة الجزائرية الشيخ 'عبد الحميد بن باديس' و الذي كان يفسر القرآن وينشره تباعا في مجلة الشهاب تحت عنوان "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير وحديث البشير النذير "، وأقيم له بمناسبة ختمه القرآن حفل ديني كبير يليق بمقامه العلمي وانجازه الكبير .

وكان الشيخ عبد الحميد بن باديس يربط بين معاني القرآن والحياة المعاصرة ويدعو إلى النهضة والأخذ بأسباب الحياة.

وتفسير ابن باديس هو تفسير لهداية المسلمين المعاصرين إلى ما في القرآن من حث على العمل والنهوض والاستعداد للتقدم والحياة المثلى في الدنيا والآخرة ويسير ابن باديس في تفسيره على الطريقة التقليدية ,أي كان تفسيرا منتظما شاملا، ولكنه اقتصر فيه على أجزاء متفرقة، فهو تفسير جزئي، أتخذ من القرآن وسيلة لتوضيح الأفكار المعاصرة من أجل بناء مجتمع إسلامي في نطاق المدنية الإسلامية المتلائمة مع روح العصر، والوفية لروح الإسلام نفسه [2].

ومع نهاية القرن الرابع عشر الهجري نجد الشيخ "الحاج إبراهيم بيوض" وقد ختم تفسيره سنة 1980م، واحتفلت مدينة "القرارة " لهذا الحدث مع رجل كرس حياته لخدمة العلم، وكان منقطعا لتفسير كتاب الله رواية ودراية مدة ما ينيف عن أربعين سنة [3].

المطلب الثالث : أهم رواد التفسير الاجتماعي من المفسرين الجزائريين

---

[1]- ينظر تاريخ الجزائر الثقافي :أبو القاسم سعد الله. ج7.ص11-14

[2]- ينظر تاريخ الجزائر الثقافي :أبو القاسم سعد الله. ج7.ص14-21، كذا المفسرون الجزائريون عبر القرون: اسكندر . ص21

[3]- ينظر المفسرون الجزائريون عبر القرون: مختار اسكندر.ص 24

كما أشدنا سابقا أن المفسرين الجزائريين من ذوي النزعة الإصلاحية، ونظرا للأوضاع الحرجة التي كانت تعيشها الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية ومع ظهور مدرسة الإصلاح في المشرق العربي بقيادة الشيخ محمد عبده ومن بعده الشيخ رشيد رضا قد ظهروا في هذا اللون التفسيري " الإصلاحي الاجتماعي "، محاولة منهم إصلاح أوضاعهم المزرية، وذلك من خلال التوجه لتفسير كتاب الله العزيز، ومحاولة إيجاد حلول للمشاكل التي تتخبط فيها أمتهم اقتصادية، سياسية، علمية وتربوية، ومحاولة إصلاح عقيدة الناس مما طرأ عليها من انحرافات وبدع، حسب ما أمر به القرآن الكريم .

ومما ينبغي الإشارة إليه مرة أخرى، أن مدرسة الإصلاح في الجزائر وباعتبارها جزء من مدرسة الإصلاح في المغرب العربي، فهي أيضا لم تتابع مدرسة الإصلاح في المشرق فيما شذت فيه من آ راء، وأن روادها عرفوا كيف يتناولون مختلف القضايا التي تعرُض في التفسير بما يوافق الشرع الحكيم، كما أنها لم تسقط سقطات تنتقد عليها وتلام فيها.

ومن أبرز رواد هذه الاتجاه التفسيري في الجزائر :الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد النهضة الوطنية، والشيخين الجليلين : الشيخ إبراهيم بيوض، والشيخ محمد بن يوسف أطفيش .

وسأتعرض للحديث هنا عن الشيخين إبراهيم بيوض و محمد بن يوسف أطفيش وتفسيريهما، أما الشيخ عبد الحميد بن باديس فسيأتي الحديث عنه لاحقا .

الفرع الأول :الشيخ محمد بن يوسف أطفيش

أولا : ترجمتـــه

في مدينة 'غرداية' العريقة شمال مدينة الجزائر، ولد الشيخ محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح أطفيش لقبا، وهو من عشيرة "آل يا محمد " بـــ"بني يزقن"،وينتهي نسبه إلى الحفصيين بتونس[1].علامة بالتفسير والفقه الأدب، إباضي المذهب، ومن رجال النهضة الحديثة بالجزائر عرف بعدائه الشديد للاستعمار، وكان له أثر بارز في قضية بلاده.

---

[1]– تيسير التفسير :محمد ابن يوسف أطفيش .ت:إبراهيم ابن محمد طلاي .المطبعة العربية:غرداية .د.ط (1417هـــ 1996م).ج1. من المقدمة

-ولد سنة 1237هـ الموافق ـ 1821م بغرداية لما انتقل إليها والده، وعاش بها طفولته الأولى، وفي الرابعة من عمره توفي والده وتركه يتيما تحت كفالة والدته التي توسمت فيه بوادر النبوغ فعهدت به إلى أحد المربين لحفظ القرآن، فختمه وحفظه وهو ابن ثمان سنوات، ففتح له مجال العلم وسارع إلى دور العلماء، وحلق الدروس بالمسجد .

أخذ مبادئ النحو والفقه عن أخيه الأكبر 'إبراهيم ابن يوسف'، وتلقى مبادئ المنطق عن الشيخ 'سعيد ابن يوسف ونتن'، كما كان يحضر دروس الشيخ 'بابا ابن يونس' في مسجد غرداية .

وبعد أخذه لهذه المبادئ شمر على ساعد الجد والتحصيل بعزيمة لا تعرف الملل يؤازره ذكاء حاد وذاكرة وقادة ورغبة في العلم لا تعرف الحدود [1].

نشأ عصاميا ثم سافر للدراسة خارج وطنه، وجعل دأبه الحرص على اقتناء الكتب واستنساخها، ولما بلغ السادسة عشر من عمره جلس للتدريس والتأليف، ولما بلغ العشرين أصبح عالم واد مزاب ثم بلغ درجة الاجتهاد المطلق في كهولته كما يقول عن نفسه .

ثم فتح دارا للتدريس فأفرغ كل جهده في التأليف، وإصلاح سلوك المجتمع، ومحاربة الآفات الاجتماعية [2].

ومن أهم تآليفه التي أغنى بها المكتبة الوطنية، والتي شملت مختلف فروع المعرفة في المنقول والمعقول، ففي التفسير له ثلاث تفاسير : "تيسير التفسير" وهو آخر تفسير ألفه بعد نضجه العلمي، " داعي العمل ليوم الأمل "وقيل أنه لم يكمله ولا يزال مخطوطا، " همیان الزاد إلى دار المعاد" وقد طبع .

وله كذلك "جامع الشمل" في أحاديث خاتم الرسل، "مسائل السيرة "، وأكبر كتاب اشتهر به هو كتابه "شرح كتاب النيل وشفاء العليل "وهو موسوعة فقهية جامعة لآراء المذاهب الإسلامية، وهو معتمد في الفقه عند الإباضية.

---

[1]- ينظر معجم أعلام الجزائر :عادل نويهض .ص 190- 191، كذا معجم المفسرين :عادل نويهض .ج2.ص 658، الأعلام : خير الدين الزركلي .ج8.ص 32،كذا معجم أعلام الإباضية : جمعية التراث.القرارة.ج4.ص 335

[2]- ينظر معجم أعلام الإباضية : جمعية التراث.القرارة .ج4.ص 335- 339، كذا العلامة محمد ابن يوسف أطفيش حياته، آثاره الفكرية، جهاده: بكير ابن سعيد أعشت .المطبعة العربية :غرداية .د.ط.(1989م).ص 67

وبعد هذا العمل الجبار في الحقل العلمي، والصراع المرير في محاربة الجهل والرذيلة انتقل إلى رحمة الله يوم السبت 23 ربيع الثاني 1332هـ الموافق لـ 21 مارس 1914م، عن عمر يناهز ستة وتسعون عاما[1].

ثانيا : تفسيـــره القرآن

يعد الشيخ محمد ابن يوسف أطفيش من رواد الإصلاح في الجزائر وعلما من أعلام التفسير والمدرسة الإباضية في ذات الوقت، ومن اللذين بدلوا جهودا معتبرة للنهوض بالمجتمع الإسلامي في واد مزاب بغرداية، وقد جاء الشيخ في وقت كان فيه المجتمع في أشد الحاجة إلى مصلح يواصل الجهود التي بدأها المصلحون بغرداية قبله، فقضى عمره في خدمة المجتمع الميزابي و لم تثنه الصعاب التي كانت تعترض سبيله .

ورأى الشيخ أطفيش أن أهم سبب في تدهور حال المجتمع هو الجهل وطغيان التقليد عن غير علم، فاتجه إلى تصحيح كثير من الاعتقادات والمفاهيم حتى يعود الناس إلى السبيل الأقوم [2].

-وإذا عدنا إلى الكتب التي ألفها القطب رحمه الله في علم التفسير نجد ثلاثة تفاسير هي:

1- *هميان الزاد إلى دار المعاد*:

يقع في أربعة عشرة مجلدا، وفي مقدمة هذا التفسير نجد القطب يذكر لنا الدوافع التي دفعته إلى هذا العمل فيقول: " وذلك من فضل الله الكريم وسميته هميان الزاد إلى دار المعاد والله المستعان على وجوده بعد العدم، و المأمول فيه قبوله، ويتضمن إن شاء الله الكفاية للرد على المخالفين فيما زاغوا فيه، و إيضاح مذهب الإباضية الوهبية واعتقادهم، وذلك بحجج عقلية ونقلية والله أعلم "[3].

---

[1]- ينظر معجم أعلام الإباضية : جمعية التراث.القرارة . ج4.ص :339- 348، كذا تيسير التفسير :محمد ابن يوسف أطفيش .ج1 .من المقدمة

[2]- ينظر أهم اتجاهات التفسير في بلاد المغرب في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الاهجريين :هلال خزاري. ج2.ص 782

[3]- العلامة محمد ابن يوسف أطفيش حياته، آثاره الفكرية، جهاده : بكير ابن سعيد أعشت .ص 158-159

أما فيما يخص منهجه في هذا التفسير فإنه يورد الآية القرآنية ويبين أسباب نزولها، ثم يشرح تلك الآيات لغويا وبلاغيا ونحويا، ثم يعرب تلك الآية إعرابا شاملا وكثيرا ما يورد الأحكام الإسلامية والمسائل الأخلاقية في أصول الدين دون أن يهمل النظرية الإباضية في ذلك، ويعتبر هذا التفسير أهم مرجع للتفسير عند الإباضية[1].

أما الشيخ الذهبي فقد بين منهج الشيخ أطفيش في تفسيره "هميان الزاد "بقوله :" نقرأ في هذا التفسير فنجد أن صاحبه يذكر في أول كل سورة عدد آياتها، والمكي منها والمدني، ثم يذكر فضائل السورة مستشهدا لذلك في الغالب بالأحاديث الموضوعة في فضل السور، ثم يذكر فوائد السورة بما يشبه كلام المشعوذين والدجالين، ثم بعد ذلك كله يشرح الآيات شرحا وافيا، فيسهب في المسائل النحوية واللغوية، والبلاغية، ويفيض في مسائل الفقه والخلاف بين الفقهاء، كما يتعرض لمسائل علم الكلام ويفيض فيه، مع تأثر كبير بمذهب المعتزلة، كما لا يفوته أن يعرض للأبحاث الأصولية والقراءات، هو مكثر إلى حد كبير في ذكر الإسرائيليات ..... كما يطيل في ذكر تفاصيل الغزوات التي كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم هو بعد ذلك لا يكاد يمر بآية يمكن أن يجعلها في جانبه إلا مال بها إلى مذهبه، وجعلها دليلا عليه، ولا بآية تصارحه بالمخالفة إلا تلمس لها كل ما ينجيه من معارضة الآية له..... "[2].

2- *تيسير التفسير للقرآن الكريم*

أما تفسيره الثاني فهو تيسير التفسير للقرآن الكريم، حيث يعطينا هذا التفسير لونا جديدا من المعرفة الفقهية،و أتم فيه القطب تفسير القرآن كاملا بعد أن تجاوز سن الثمانين من عمره.

ويقع هذا التفسير في ستة أجزاء وقد طبع طبعة حجرية في الجزائر سنة 1325هـ وأعيد طبعه مرة ثانية في سلطنة عمان تحت إشراف وزارة التراث القومي والثقافي سنة 1406هـ، ويقع في عشرة أجزاء [3].

---

[1]- ينظر العلامة محمد ابن يوسف أطفيش حياته، آثاره الفكرية، جهاده : بكير ابن سعيد أعشت ص160، كذا التفسير والمفسرون:محمد حسين الذهبي.ج2.ص 236

[2]- التفسير والمفسرون:محمد حسين الذهبي.ج2.ص237

[3]- ينظر تيسير التفسير :محمد ابن يوسف أطفيش .ج1 .من المقدمة

ويتميز هذا التفسير بالوضوح و الاختصار، وابتعد فيه الشيخ أطفيش كثيرا عن التحليلات البلاغية والأدبية لا سيما النحو والصرف إلى في حالات خاصة، وبالتالي نجد في هذا التفسير التركيز على الأحكام الشرعية، وعلى الآداب العامة، واعتمد في منهجه على طريقة التفسير بالمأثور وطريقة الرأي والاجتهاد [1].

يقول الشيخ إبراهيم بيوض رحمه الله عند الحديث عن مراجعه في التفسير :" إذا أردت أن أعرف أحيانا قول الإباضية في بعض الأحكام الشرعية الواردة في الآية فإنني أرجع إلى كتاب التيسير للشيخ الحاج محمد أطفيش"[2].

3- *داعي العمل ليوم الأمل* :

أما تفسيره الثالث فهو داعي العمل ليوم الأمل فسر فيه القرآن من سورة الرحمان إلى سور الناس ويقع في أربعة مجلدات ولا يزال مخطوطا، وقد نحى فيه الشيخ أطفيش منحى 'أبي حيان الأندلسي' الذي اعتمد في تفسيره على الناحية اللغوية، أدبا وقراءة ونحوا وصرفا [3].

وقد يظهر للقارئ أن منهج الشيخ أطفيش في تعامله مع آي القرآن الكريم يختلف قليلا من تفسير لآخر، كما هو شأن سائر المفسرين .

إلا أن هنالك طابعا يكاد يكون السمة الغالبة في تفاسير الشيخ أطفيش عموما، ذلك أنه يسوق الآية أو الآيتين أو أكثر فيستهل عمله بشرح موجز، يكون عادة معبرا عن المعنى الراجح للآية عنده، ثم يربط تلك الآية بما سبقها من الآيات ليحقق الوحدة الموضوعية، وينتقل بعد ذلك إلى بيان الوجوه الإعرابية للآية، ثم يبين الوجوه اللغة المحتملة للآية مستعينا بما يجده من أثر وروايات في تفسيرها، ويتوقف أحيانا عند آيات الأحكام فيبين المسائل الفقهية فيها، كما يتوقف أيضا عند الآيات التي تتعلق بقضايا العقيدة فيشرحها، وربما استوقفته بعض الآيات التي يثار حولها خلاف فكري فيبين رأي مذهبه في تفسيرها، كما يحاول أن يستعرض آراء المذاهب الفكرية الأخرى فيقارن بينها وبين مذهبه[4].

---

[1]- ينظر العلامة محمد ابن يوسف أطفيش حياته، آثاره الفكرية، جهاده : بكير ابن سعيد أعشت . ص 158

[2]- تيسير التفسير :محمد ابن يوسف أطفيش. ج1 .من المقدمة.

[3]- ينظر العلامة محمد ابن يوسف أطفيش حياته، آثاره الفكرية، جهاده : بكير ابن سعيد أعشت .ص 162

[4]- ينظر اللغة في منهج الشيخ أطفيش التفسيري (قراءة في كتابه تيسير التفسير):يحي صالح بوتردين .مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية . ع27. (ربيع الثاني 1430هـ -أفريل 2009م).دار الهدى :عين مليلة .ص 273- 276

وخلاصة منهجه في التفسير أنه تفسير قائم على الناحية اللغوية والشرعية بالمفهوم الشامل، وقد جمع بين المأثور والرأي في التفسير، أما الناحية الاجتماعية في تفسيره فهي غير مستقلة كمنهج .

الفرع الثاني :الشيخ إبراهيم بيوض

أولا :ترجمتـــه

إبراهيم عمر بيوض بابة بن إبراهيم بن حمو الملقب " بيوض " عالم إباضي مفسر، مجاهد من كبار العلماء المسلمين ورجال الإصلاح في وقته [1].

ولد العلامة إبراهيم عمر بيوض بمدينة "القرارة"، يوم 11 ذو الحجة 1313هـــ، الموافق لـــ 21 أفريل 1879م، وكان والده من أعيان الإصلاح بالبلد[2].

دخل المدرسة القرآنية، فاستظهر القرآن الكريم قبل سن البلوغ، وانظم بذلك إلى حلقة حفاظ القرآن؛ أخذ مبادئ الفقه والعربية عن مشايخه : 'الحاج إبراهيم البريكي' و 'أبو العلاء عبد الله' والشيخ 'عمر بن يحي'، نال حظوة شيخه الحاج عمر بن يحي، فلازمه وكان يخدمه ويحضر جلسات أعيان البلد عنده، فكان ذلك بمثابة المدرسة الاجتماعية والسياسية التي تكون فيها .

نبغ بذكائه وحافظته وذلاقة لسانه العربي، خَلَفَ شيخه الحاج عمر بعد وفاته، وتبنى الحركة العلمية والنهضة الإصلاحية .

أسس معهد الشباب للتعليم الثانوي سنة 1343هـــ، وفي سنة 1931م افتتح درس الحديث الشريف من فتح الباري شرح صحيح البخاري، واختتمه سنة 1945م .

وفي غرة محرم 1353هـــ، وبعد أن أتم تفسير جزء عم، افتتح درس التفسير من فاتحة القرآن واختتمه يوم 25 ربيع الثاني 1400هـــ ، وأقيم له مهرجان بديع بهذه المناسبة.

وفي سنة 1931م شارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وانتخب عضوا في إدارتها الأولى، وأسندت إليه نيابة أمين مالها .

---

[1]- ينظر معجم المفسرين : عادل نويهض .ج1.ص 17

[2]- ينظر معجم أعلام الإباضية : جمعية التراث .القرارة .الجزائر.د.ط.(1420هـــ-1999م).ج2.ص 36

كانت له مشاركات فعالة بمقالات نارية في الصحافة الوطنية ، وفي سنة 1340 هـــ حكم عليه بالإقامة الجبرية داخل "القرارة" لمدة أربع سنوات، وبعد خروجه من الإقامة الجبرية دخل معترك الحياة السياسية، وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية طالب بإلحاق الصحراء بالجزائر مناهضا للدستور الذي وضعته السلطات الفرنسية .

وفي سنة 1940م عين ممثلا للشعب المزابي في المجلس الجزائري، وشارك في الثورة الجزائرية، وكان له نشاط واسع فيها، ثم عين عضوا في اللجنة التنفيذية المؤقتة بعد إيقاف القتال سنة 1962م، ثم انتخب رئيسا للهيئة العليا لمجالس العزابة بوادي مزاب إلى يوم وفاته[1].

كانت له أسفار كثيرة، أولها كان مع أبيه لزيارة الإمام القطب رحمه الله، وحضر بعض دروسه ؛كما زار "ورجلان" ومناطق عديدة في شمال الجزائر، وزار تونس والمشرق العربي، وفتحت له أسفاره هذه أفاقا واسعة، وفكرا جديدا واتصالا مع الحركات الإصلاحية السائدة في تلك الربوع[2].

يقول الشيخ إبراهيم بيوض :" في أول فبراير عام 1921م، اطلعت على معاهد تونس العلمية ، وحضرت دروسا كثيرة في جامع الزيتونة، وتعرفت على علمائها البارزين في حلق دروسهم، وشاهدت في تونس عنفوان جهادها السياسي، واجتمعت بكثير من قادتها السياسيين أركان حزب الدستور، وسمعت خطبهم "[3].

من تراثه الفكري : تفسير مسجل في حوالي 1005ساعة، وقد طبعت الأجزاء الخمسة الأولى منه بعنوان "في رحاب القرآن "، فتاوى مطبوعة، أجوبة ومراسلات مخطوطة، مئات الدروس المسجلة لمناسبات مختلفة، مقلات في مختلف الجرائد والمجلات خاصة مجلة "الشباب ".

وبعد مسيرة علمية طويلة وحافلة توفي رحمه الله مساء الأربعاء 08 ربيع الأول 1401هـــ، عن عمر يناهز ثلاثة وثمانين سنة، وشيع جثمانه في حشد مهيب بمسقط رأسه "القرارة"[4].

ثانيا : تفسيـــره القرآن

---

[1]- ينظر معجم أعلام الإباضية : جمعية التراث.القرارة .ص 36-39

[2]- ينظر الإمام إبراهيم بيوض وجهاده الإسلامي :بكير سعيد أعشت .د.م.د.ط.د.ت.ص 36

[3]- ينظر الإمام إبراهيم بيوض وجهاده الإسلامي :بكير سعيد أعشت. .ص36

[4]- ينظر معجم أعلام الإباضية : جمعية التراث.القرارة . .ص :40، كذا في رحاب القرآن (تفسير سورة الإسراء): إبراهيم عمر بيوض. ت: عيسى ابن محمد الشيخ بلحاج. جمعية التراث .القرارة غرداية.ط:02.د.ت.ص 25-26

أيقن الشيخ إبراهيم بيوض أن السبيل الوحيد للخروج من هذا الحمأ، يكمن في الثقافة الإسلامية الأصيلة التي تجمع بين الأصالة الصحيحة والتفتح على العلوم الغربية، و لاسيما أن الشيخ قد تأثر بالمدرسة الإصلاحية الشرقية من خلال الصحف والمجلات التي كانت تصل إليه .

يقول الشيخ إبراهيم بيوض :" وفي هذا العهد كانت تصلنا مجلة المنار للشيخ رشيد رضا، فتقرؤها في الندوة باهتمام كبير، و أعيد قراءتها متلذذا بمواضيعها الدسمة المنعشة، وبطريقة الشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا في التفسير، وكانت فائدتها لي عظيمة وعوائدها الحسنة علي لا تحصى "[1].

وافتتح الشيخ بيوض درس التفسير في غرة محرم 1353هـ بعد أن أتم تفسير جزء "عم "واختتمه يوم 25 ربيع الثاني سنة 1400هـ و أقيم له مهرجان قرآني بهيج تحت عنوان " في رحاب القرآن ".

والواقع أن منهج الشيخ بيوض في التفسير لا يختلف عن منهج المدرسة العبداوية والبادسية، فقد اعتمد على تصحيح العقيدة من خلال ما جاء به القرآن الكريم[2].

يقول الشيخ عيسى بن محمد الشيخ بلحاج:" لا يفسر الشيخ بيوض كتاب الله تقليدا أو مباهاة، وإنما يقصد بتفسيره إصلاح المجتمع، وتهذيب النفوس، وتتميم مكارم الأخلاق، وتقوية الإيمان، وتصحيح العقيدة، وتثقيف العقول، وإفادة الناس جميعا بما في القرآن من أحكام وحكم وآداب وأخلاق.

وكان الشيخ رحمه الله يرى القرآن كتاب هداية وإرشاد في الدرجة الأولى، وأنه أكبر سلاح يجهز به على أعداد الدين ودعاة الرذيلة، والمتشبثين بالبدع والخرافات والتقاليد البالية ....."[3]

وجعل الشيخ بيوض من تفسير القرآن عمدته في الدعوة إلى الله، ونشر أخلاق القرآن وإصلاح المجتمع .

يقول رحمه الله :" جعلت تفسير كتاب الله عمدتي في الدعوة إلى الله، وكنا حربا على الاستعمار الذي يجند شبابنا جبرا، ويمنعنا من التعليم الحر جبرا، ويعمل كل وسيلة للتعطيل ..... ورأيت أن انفع شيء لذلك هو كتاب الله، فشرعت في التفسير "[1].

---

[1]- في رحاب القرآن (تفسير سورة الإسراء): إبراهيم عمر بيوض..ص 33

[2]- ينظر الإمام إبراهيم بيوض وجهاده الإسلامي :بكير سعيد أعشت .ص94

[3]- في رحاب القرآن (تفسير سورة الإسراء): إبراهيم عمر بيوض.ص 33

ويقول كذلك في هذا الشأن كما قال قبله زميله في الإصلاح الشيخ ابن باديس :" إننا والحمد لله نربي تلامذتنا على القرآن من أول يوم، ونوجه أنفسهم إلى القرآن في كل يوم، وغايتنا التي ستتحقق إن شاء الله، أن يكوّن القرآن منهم رجالا كرجال سلفهم، وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلق هذه الأمة آمالها، وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا"[2].

أما عن منهجه في التفسير، فيحدد الشيخ منهجه قائلا :" أما إعداد الدرس، درس التفسير فإني أقرأ الآية وأفكر فيها ..... وأقرأ تفسير الآيات من المنار، أقرأه بإمعان، وأرجع إلى بعض التفاسير كروح المعاني 'للألوسي' والتفسير الكبير' للرازي' والتيسير للشيخ أطفيش، وتحت ضلال القرآن 'للسيد قطب' ..... ومع مطالعتي لهذه المراجع، فإن الله عز وجل يفتح علي في التفسير بأشياء كثيرة يفهمني إياها، وأحس في وقت الدرس بقوة فكرية وانفعال لا أكون عليها في الأحوال العادية، وغرضي من تفسير القرآن هو تربية الناس بالقرآن وتثقيفهم، و وعضهم ومعالجة أمراض النفوس كلها بالقرآن، فهو شفاء لها "[3]

خلاصـــة :

وخلاصة القول مما سبق ذكره في هذا الفصل نوجزه في النقاط الآتية :

- يمتاز التفسير في هذا العصر بتلونه باللون الأدبي الاجتماعي ونعني بذلك أن التفسير لم يعد يظهر عليه ذلك الطابع الجاف الذي يصرف الناس عن هداية القرآن، وإنما ظهر عليه طابع آخر جديد وهو معالجة النصوص القرآنية معالجة تقوم أولا وقبل كل شيء على إظهار مواضع الدقة في التعبير القرآني، ثم تصاغ بعد ذلك المعاني التي يهدف القرآن إليها في أسلوب شيق أخاذ، ثم يطبق النص القرآني على ما في الكون من سنن الاجتماع .
- يعد هذا الاتجاه كرد فعل على ما أحدثه الاستعمار في البلاد الإسلامية من فصل بين العلم والدين، وما ترتب عليه من شيوع الجهل والبدع بين المسلمين .

---

[1]- المرجع نفسه.ص 33

[2]- المرجع نفسه.ص 33

[3]- الإمام إبراهيم بيوض وجهاده الإسلامي :بكير سعيد أعشت. ص 93- 94

- يركز صاحب التفسير ذي الاتجاه الاجتماعي على علل مجتمعات المسلمين، ومعالجة أمراضها ومشكلاتها المختلفة اقتصادية، اجتماعية، تربوية وعلمية وقبل كل هذا إصلاح عقيدة الناس على أساس القرآن الكريم.
- بدأت هذه النهضة الدينية الأدبية الاجتماعية مع الأستاذ"جمال الدين الأفغاني" ثم حمل لوائها بعده تلميذه "محمد عبده" وتلاميذه "محمد رشيد رضا"، "محمد مصطفى المراغي" ...
- كما نجد كذلك روادا برزوا في هذا الجانب في المغرب العربي أمثال الشيخ "محمد الطاهر بن عاشور" في تونس، الشيخ "عبد الحميد بن باديس" في الجزائر و الشيخ "عبد الله كنون" في المغرب .
- يقوم منهج المدرسة العقلية الاجتماعية في التفسير على عدة أسس ارتضوها منها القول بالموحدة الموضوعية في القرآن الكريم، وكذلك في السورة القرآنية، تحكيم العقل والإصلاح الاجتماعي.
- للمدرسة الاجتماعية في التفسير مزايا ومحاسن تحمد عليها كما لها عيوب ومساوئ تأخذ عليها،و أخطاء و انحرافات يجب التحذير منها.
- ظهر اللون الاجتماعي الإصلاحي في التفسير في الجزائر نظرا للأوضاع الحرجة التي كانت تعيشها الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية.
- ظهر المفسرون الجزائريون في هذا اللون محاولة منهم إصلاح أوضاعهم المزرية وذلك من خلال التوجه لتفسير كتاب الله عز وجل ومحاولة إيجاد حلول للمشاكل التي تتخبط فيها أمتهم.
- مدرسة الإصلاح في الجزائر وباعتبار انتمائها إلى مدرسة الإصلاح في المغرب العربي ليس فيها ما يذم فهي لم تتابع مدرسة الإصلاح في المشرق فيما شذت فيه من آراء.

الفصل الثاني :ابن باديس وتفسيره مجالس التذكير

تمهيد

المبحث الأول : ترجمة للشيخ عبد الحميد بن باديس

المبحث الثاني : مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبيـــر

المبحث الثالث :أهداف التفسير عند الشيخ عبد الحميد بن باديس

المبحث الرابع : طريقة ابن باديس في توجيه النص القرآني

خلاصة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد :

ما أظلمت دنيا المسلمين يوما إلا وارتفع في سمائها نجم يتألق يهدي التائهين سواء السبيل ،وما اشتدت الخطوب في عالم العرب المسلمين يوما إلا وظهر رائد يصدق قومه الهداية ،ويسير بهم نحو الدرب القويم.

وقد عرفنا ما وصلت إليه الجزائر المجاهدة الصابرة في حكم الاستعمار و المستعمرين, حيث بلغ اليأس منتهاه، وآل وضع الأمة الجزائرية إلى تخلف حضاري لم يسلم منه دين الأمة ولا معتقداتها ،وشهد الجزائريون بهذا تأخرا وانحطاطا في كافة المجالات وابتعدوا كثيرا عن الدين وعن ركب الحضارة والتقدم ، وفي وسط هذه الظلمة الحالكة ظهر ذلك الإنسان المسلم المؤمن ، فأشرقت له دنيا الجزائر ،والتفت حوله فئة من المجاهدين الصابرين ، كأنهم كانوا مع موعد مع قدر أمتهم ،وكان عليه وعليهم شق الطريق وسط صعوبات لا نهاية لها .

ذلك هو الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس ....

المبحث الأول : ترجمة للشيخ عبد الحميد بن باديس

الإمام عبد الحميد بن باديس شخصية فذة ،وعبقرية فريدة ،تعددت مواهبه وتنوعت نشاطاته ،كان سياسيا محنكا وخطيبا مفوها ،لغويا بارزا ،مربيا مصلحا ،شريف النفس ،نبيل الحسب والنسب ،مستقيم السلوك ، ثابت المبدأ ،زاهدا عن الألقاب. فقد كان مفخرة للجزائر والأمة العربية الإسلامية ،ارتقى بفكره إلى مصاف رجال التجديد في العالم الإسلامي.

المطلب الأول : نشأته وتكوينه العلمي

الفرع الأول : مولده ونشأته الأولى

ولد عبد الحميد بن محمد بن المصطفي بن مكي بن باديس في الحادي عشر من شهر ربيع الثاني سنة 1307 هـــ الموافق للرابع من ديسمبر 1889م بعاصمة الشرق الجزائري ولاية قسنطينة ، فكان الابن البكر لوالديه.

والده مصطفي بن مكي بن باديس من حملة القرآن ،عرف بدفاعه عن مطالب السكان المسلمين بعمالة قسنطينة خصوصا والجزائر عموما ،باعتباره عضوا بالمجلس الجزائري الأعلى والمجلس العمالي لعمالة قسنطينة .

والدته زهيرة بنت محمد بن عبد الجليل بن جلول،من عائلة اشتهرت بالتدين والإقبال على العلم .

فابن باديس ينحدر من عائلة فاضلة عريقة في النسب ،معروفة بالعلم والثراء والجاه ،وكانت منذ القدم ذات نفوذ ومسيرة للسياسة والحكم في المغرب الإسلامي ونبغ من هذه العائلة شخصيات تاريخية لامعة منها : "بلكين بن زيري بن مناد" المقلب بأبي الفتوح وسيف الدولة ،و "المعز ابن باديس" الذي كان يفتخر به الشيخ ابن باديس ولا عجب في ذل

ك فهو بمثابة الخليفة له في مقاومة البدع والظلال ،إذ كان جده يناضل الإسماعيلية الباطنية وبدع الشيعة في إفريقيا وغيرهم.

كما اشتهر من هذه العائلة في العصر الحديث "حميدة ابن باديس " عم عبد الحميد كان نائبا عماليا في أواخر القرن 19 م .

و"مصطفي بن باديس " والد عبد الحميد والذي تولى عدة مناصب سياسية [1].

ويحدثنا زميله الشيخ محمد البشير الإبراهيمي عن نسبه العريق فيقول:" وبيت ابن باديس في قسنطينة بيت عريق في السؤدد والعلم،وينتهي نسبه في سلسلة كعمود الصبح إلى العز ابن باديس مؤسس الدولة الصنهاجية الأولى ،التي خلّفت الأغالبة على مملكة القيروان ، ومدت ظلها على شرق الجزائر حينا من الدهر" [2]

من هذه الأسرة العريقة انحدر عبد الحميد بن باديس،وفي هذا البيت الكريم نشأ وترعرع معززا مكرما ،لا ينقصه شيء من متاع الحياة الدنيا ،وكان أبوه يحبه حبا جما ويعطف عليه ويتوسم فيه النباهة ،وهو الذي سهر على تربيته وتوجيهه التوجيه الذي يتلاءم مع فطرته ومع تطلعات العائلة ،كما كان الابن من جهته يجل أباه ويقدره ويبره 3 .

1- ينظر الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية : الزبير ابن رحال .دارالهدى .عين مليلة الجزائر .د.ط د.ت .ص3-5 ، كذا الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح والتربية في الجزائر: تركي رابح . المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر .ط.4 .ص 160

2- تفسير ابن باديس : عبد الحميد بن باديس .ت :محمد الصالح رمضان وتوفيق شاهين ،دار الفكر .د.ت. ط.3 (1399ه1979/5م).ص 707

3-ينظر إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس :عبد القادر فوضيل ومحمد الصالح رمضان ،دار الأمة . برج الكيفان الجزائر.ط.1(1998). ص263-27

وفي هذا الشأن يقول ابن باديس :" إن الفضل يرجع أولا إلى والدي الذي رباني تربية صالحة ووجهني وجهة صالحة ،ورضي لي العلم طريقة أتبعها ومشربا أرده ،وفالني وأعاشني وبراني كالسهم، وراشني وحماني من المكاره صغيرا وكبيرا، وكفاني كلف الحياة"[1].

وقد تلقى عبد الحميد بن باديس تعليمه على الطريقة التقليدية فحفظ القرآن الكريم أولا وسنه يبلغ ثلاثة عشرة عاما على يد الشيخ "محمد المداسي" من شدة إعجاب المؤدب بذكائه وسيرته الطيبة قدمه ليصلي بالناس صلاة التراويح ثلاث سنوات متتابعة بالجامع الكبير بمدينة قسنطينة.

و لم يلتحق عبد الحميد بن باديس بالمدارس الفرنسية كغيره من أبناء العائلات الكبيرة في ذلك الوقت، لأن والده فضل أن يربيه تربية إسلامية خالصة.

وبعد الانتهاء من حفظ القرآن سنة 1903م دخل الشاب في طور جديد من أطوار دراسته فتخيره والده أن يسلك طريق أجداده وطريقا آخر ،فاختار طريق سلفه وهو طريق العلم والجهاد .

فاختار له والده احد علماء مدينة قسنطينة المشهورين بالعلم والتقوى والصلاح وهو الشيخ "حمدان لونيسي" كي يلقنه العلوم العربية والإسلامية ،فأخذ يعلمه بجامع "سيدي محمد النجار" ، ويوجهه وجهة علمية و أخلاقية ، وكان ابن باديس يعترف له بالفضل ولما كان له تأثير في نفسه[2].

وانقطع تدريس الشيخ الجليل للإمام بهجرته إلى المدينة المنورة تحررا من ضغط الاستعمار عليه و حفظا لدينه وسمعته ورغب ين باديس أن يسافر معه لكن والده منعه وصرفه عن ذلك.

ولما بلغ ابن باديس الخامس عشر من عمره زوجه أبوه ببنت عمه فأنجب منها ولدا سماه "عبده إسماعيل " ولكنه لم يعش طويلا وتوفي صغيرا لم يتجاوز 17 عاما ،وعلاقته الزوجية مع ابنة عمه لم تدم طويلا فانتهت بوضع ابن باديس حدا لها بالطلاق ليتفرغ بعد ذلك للرحلة والدراسة[3].

1- مجلة الشهاب .مج14.ج.4-5.عدد جوان و جويلية سنة 1938.ص288-291

2- ينظر عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره.ت :عمار طالبي . ج.1.ص73-74 ،كذا الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر: تركي رابح.ص.162-163 ، كذا التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962: عمار بوحوش.دار الغرب الإسلامي .بيروت .ط:1(1997م).ص 247-248

3- جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر :عبد الرشيد زروقة ،دار الشهاب .بيروت . ط:1 (1420هـ/1999م) .ص80-81 ،كذا عبد الحميد بن باديس مفسرا :حسن عبد الرحمان سلوادي.ص40

الفرع الثاني: رحلته إلى تونس

ثم جاء دور الرحلة في حياة الشيخ عبد الحميد بن باديس فسافر إلى مدينة تونس سنة 1908م ، وسنه إذ ذاك تسعة عشرة عاما وانتسب إلى جامع الزيتونة ،وانتظم في سلك الطلبة وشرع في الدراسة بنفس نهمه وكان لا يفكر إلا في العلم والمعرفة .

وأخذ يتلقى الثقافة العربية الإسلامية وبأخذ عن جماعة من كبار علماء الزيتونة أمثال العلامة المفكر " محمد النخلي القيرواني" أحد رجال الإصلاح الديني ،والشيخ "محمد الطاهر بن عاشور" الذي كان له تأثير كبير في تكوين الشيخ عبد الحميد بن باديس اللغوي والشغف بالأدب العربي والاعتزاز به ، والشيخ " بلحسن النجار" مفتي تونس ومن كبار علمائها .

ومن أساتذته أيضا الشيخ " الخضر بن الحسين "الجزائري الأصل والذي درس بجامع الزيتونة وحضر له الشيخ عبد الحميد دروسا في المنطق كما أخذ عنه دروسا في التفسير.

ومنهم كذلك الشيخ "أبو محمد بلحسن بن الشيخ المفتي" والشيخ " محمد الصادق النيفر" ، و سعد العياض السطايفي" المصلح المجدد ، و"محمد بن القاضي" و "البشير صقر" وغيرهم كثير[1].

ولكن أساتذته اللذين تأثر بهم تأثرا كبيرا هما الشيخان "محمد النخلي ومحمد الطاهر بن عاشور" اللذان فتحا أمامه آفاقا جديدة من الحياة وميادين من العمل, وظل يذكرهما ،كما لا ننسى أستاذه بقسنطينة "حمدان لونيسي " الذي كان يذكره بالتقدير .

وقد نوه الشيخ ابن باديس بالشيخين "حمدان لونيسي ومحمد النخلي" في الخطاب الذي ألقاه في الاحتفال بختمه تفسيره إذ قال – بعد أن أشاد بفضل والده في تربيته وتوجيهه توجيها صالحا- وبفضل مشايخه اللذين علموه وخطوا له مناهج العمل في الحياة :" أذكر منهم رجلين كان لها الأثر البليغ في تربيتي وفي حياتي العلمية، وهما من بين مشايخي اللذين تجاوزا بي حد التعليم المعهود من أمثالهما لأمثالي إلى التربية والتثقيف ، والأخذ باليد إلى الغايات المثلى في الحياة .

---

[1]- عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره.ت :عمار طالبي .ج.1 .ص 75-76 ،كذا المصلح المجدد الإمام ابن باديس لهذا حاولوا اغتياله :محمد الصالح الصديق.ديوان المطبوعات الجامعية.ابن عكنون الجزائر.دت.د.ط.ص20-21

أحد الرجلين الشيخ حمدان لونيسي القسنطيني نزيل المدينة المنورة ودفينها وثانيهما محمد النخلي المدرس بجامع الزيتونة المعمور رحمهما الله [1]".

ثم ذكر الأستاذ الإمام لهاذين الشيخين خصوصيتين ظل بهما مدينا لهما مدى الحياة ،أولاهما وصية أوصاه بها الشيخ حمدان وهي ألا يقرب الوظيفة ولا يرضاها ما حيي ،ولا يتخذ علمه مطية لها كما كان يفعله أمثاله في ذلك الوقت [2]،وثانيهما لا يقل أثرها عن الوصية الأولى وعبر عنها الإمام ابن باديس بقوله : " إني كنت متبرما بأساليب المفسرين وإدخالهم لتأويلاتهم الجدلية واصطلاحاتهم المذهبية في كلام الله ،فيضيق صدري من اختلافهم فيما لا اختلاف فيه من القرآن ،وكانت على ذهني بقية غشاوة من التقليد واحترام آراء الرجال حتى في دين الله وكتاب الله ، فذاكرت يوما الشيخ النخلي فيما أجده في نفسي من التبرم والقلق ،فقال لي : اجعل دهنك مصفاة لهذه الأساليب المعقدة وهذه الأقوال المختلفة وهذه الآراء المضطربة يسقط الساقط ويبقى الصحيح وتستريح "[3].

وكان الشيخ عبد الحميد بن باديس مدة دراسته بالزيتونة مثالا للطالب المجد الذي تغرب عن وطنه ليعود إليه مسلحا بالعلم ليحارب الجهل والتخلف والاستعمار فيه ،ويحرر العقول من الزيغ والضلال ،وينشر الوعي ويصحح المفاهيم الخاطئة في الدين والحياة.

فمكث الشيخ ينهل من معين العلم في جامع الزيتونة مدة أربع سنوات تحصل خلالها على شهادة العالمية سنة 1911م وعمره ثلاثة وعشرون سنة ،ثم درس سنة كاملة في جامع الزيتونة ـــولا شك أن البيئة الثقافية الاجتماعية التي احتك بها والعلاقات التي كانت له مع بعض العلماء أثر في تكوينه وشخصيته واتجاهه العقلي[4].

الفرع الثالث :عودته إلى الجزائر

في عام 1912 م عاد ابن باديس بعد أن أكمل دراسته بجامع الزيتونة إلى بلاده ونيته معقودة على التعليم الذي يراه أساس النهوض بالشعوب والأمم ،وفي هذا الصدد يقول الإمام ابن باديس : " وقفلت راجعا إلى

---

[1]- عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره.ت :عمار طالبي .ج.1 .ص75-76

[2]- ينظر المصلح المجدد الإمام ابن باديس لهذا حاولوا اغتياله .ص 21-22

[3]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود .دار الرشيد.الجزائر .ط1 (1430هـ/2009م).ج.1.ص

[4]- ينظر المصلح المجدد الإمام ابن باديس لهذا حاولوا اغتياله .ص. 22 ، كذا الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية : الزبير ابن رحال. ص 11-12

مسقط رأسي وعمري يومئذ ثلاثة وعشرون سنة ،ولم يسعني وأنا أحمل شهادة التطويع من معهد علمي إسلامي كبير إلا أن أختار ميدان التعليم والتفرغ له لأنه أساس النهوض بالشعوب والأمم "[1].

فشرع ابن باديس فور وصوله يلقي دروسا بالجامع الكبير من كتاب الشفاء " للقاضي عياض" ، ولكن السلطات الفرنسية منعته بتحريض وسعي من مفتي المدينة "محمد بن موهوب" وهنالك وجد ابن باديس في نفسه رغبة في الاتجاه إلى المشرق فقرر السفر إلى بيت الله الحرام[2].

أما عن السبب أو الأسباب التي دفعته إلى اتخاذ هدا القرار فنجد تباين وإختلاف في وجهات النظر عند الدارسين اللذين تعرضوا لهذا الموضوع .

فالدكتور عمار طالبي يذكر أن دافع سفره كان ' الحج إلى بيت الله الحرام وللقاء شيخه حمدان لونيسي '[3] ، ويظهر أنه استند في تعليله إلى العلاقة الوثيقة التي كانت بين الإمام ابن باديس وشيخه لونيسي ،وشدة تأثره به، وكذا إلى عزمه الهجرة مع شيخه عندما أراد السفر لولا تدخل والده ومنعه من ذلك .

أما الدكتور تركي رابح فيعلل هذا السفر بتطلع ابن باديس 'إلى القيام برحلة طويلة إلى بيت الله الحرام وزيارة أقطار المشرق الإسلامي '[4].

الفرع الرابع: رحلته إلى المشرق العربي

عقد الشيخ عبد الحميد بن باديس النية على السفر إلى مكة ،فاتجه إلى الحجاز سنة 1912 م ومكث بالمدينة المنورة ثلاثة أشهر ألقى خلالها دروسا عديدة بالمسجد النبوي ،والتقى خلال إقامته بالبقاع المقدسة بعدد من كبار العلماء، وممن التقى بهم أستاذه حمدان لونيسي والشيخ " حسن أحمد الهندي" ، وخلال هذا اللقاء أشار عليه الشيخ حمدان بالهجرة إلى الحجاز بينما نصحه الشيخ حسين الهندي بالرجوع إلى موطنه لحاجة أهل بلده إلى علمه وفكره.

وقد أعجب الشيخ ابن باديس برأي شيخه حسن الهندي وعمل بنصيحته ،يقول الشيخ ابن باديس: " أذكر أنني لما زرت المدية المنورة واتصلت فيها بشيخي حمداني لونيسي المهاجر الجزائري ، وشيخي حسين أحمد

---

[1]- ينظر المصلح المجدد الإمام ابن باديس لهذا حاولوا اغتياله .ص.23

[2]- ينظر عبد الحميد بن باديس مفسرا :حسن عبد الرحمان سلوادي.ص 41

[3]- عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره.ت :عمار طالبي .ج.1.ص 80

[4]- الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح والتربية في الجزائر : تركي رابح .ص 171

الهندي، أشار علي الأول بالهجرة إلى المدينة المنورة وقطع كل علاقة لي بالوطن ،وأشار علي الثاني- وكان عالما حكيما- بالعودة إلى الوطن وخدمة الإسلام فيه والعربية بقدر الجهد ،فحقق الله رأي الشيخ الثاني ورجعنا إلى الوطن بقصد خدمته ،فنحن لا نهاجر،نحن حراس الإسلام و العربية والقومية بجميع مدعماتها في هذا الوطن"[1].

وممن التقى بهم في هذه الرحلة صديق دربه الشيخ "البشير الإبراهيمي" ،فلازمه طيلة إقامته في المدينة المنورة ، وكان يقضيان وقتهما يبحثان ويدرسان أوضاع الجزائر المتردية من جميع النواحي ، ويفكران في وسائل العمل من أجل النهوض بها من الكبوة التي أوقعها بها الاستعمار ورجال الطرقية .

يقول الشيخ الإبراهيمي مصورا لنا لقاءه بالشيخ ابن باديس في المدينة المنورة :"كان من تدابير الأقدار الإلهية للجزائر ، ومن مخبآت الغيوب لها أن يرد علي بعد استقراري بالمدينة المنورة سنة وبضعة أشهر أخي ورفيقي في الجهاد بعد ذلك الشيخ عبد الحميد بن باديس ،أعلم علماء الشمال الإفريقي ولا أغالي ،وباني النهضات العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية للجزائر ... كنا نؤدي صلاة فريضة العشاء الأخيرة كل ليلة في المسجد النبوي ، ونخرج إلى مترلي فنسمر مع الشيخ ابن باديس منفردين إلى آخر الليل حين يفتح المسجد فندخل مع أول داخل لصلاة الصبح ،ثم نفترق إلى الليلة الثانية إلى نهاية ثلاثة أشهر التي أقامها الشيخ بالمدينة المنورة ؛كانت هذه الأسمار المتواصلة كلها تدبيرا للوسائل التي تنهض بها الجزائر ووضع البرامج المفصلة لتلك النهضات الشاملة التي كانت كلها صورا ذهنية تتراءى في مخيلتنا ،وصحبها من حسن النية وتوفيق الله ،ما حققها في الخارج بعد بضع عشرة سنة...."[2]

وطاف ابن باديس عند عودته من البقاع المقدسة بعدة أقطار عربية فزار المسجد الأقصى ، وسوريا ولبنان ومصر ،والتقى ببعض رجال العلم والفكر والأدب فيها منهم العلامة الشيخ "بخيت المطيعي " مفتي الديار المصرية ،كما زار الأزهر الشريف ووقف على أساليب الدراسة فيه[3].

---

[1]- ينظر عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية :محمود قاسم ،دار المعارف .القاهرة .ط:2. د.ت.ص 16-17

[2]- جريدة البصائر :العدد226 ،يوم الجمعة 03 شعبان 1372 هـ ،الموافق لـ 17 أفريل 1953م .

[3]- ينظر الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية : الزبير ابن رحال.ص.14 ، كذاعبد الحميد بن باديس حياته وآثاره.ت : عمار طالبي .ج.1.ص81، كذا النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين :محمد رجب البيومي . ج.1.ص112-113

وهكذا فإن ابن باديس أتم دراسته بالرحلة في البلاد الإسلامية ومحادثة العلماء, وبالطبع فإن هذه الرحلة أطلعته على الأوضاع الاجتماعية والسياسية والثقافية في البلاد الإسلامية ، وخبر أحوال الناس مما وسع أفلقه وبصره بطريق الخلاص والثورة الفكرية.

المطلب الثاني : شخصيته وعوامل تكونها

الفرع الأول :شخصيته

شخصية ابن باديس شخصية متعددة الجوانب متنوعة المواهب ،فقد توفرت لها مؤهلات من النادر أن تجتمع في شخصية واحدة.

يقول الشيخ البشير الإبراهيمي :"... باني النهضتين العلمية والفكرية بالجزائر, وواضع أساسها على صخرة الحق وقائد زحوفها المغيرة إلى الغايات العليا ،وإمام الحركة السلفية ومنشأ مجلة " الشهاب "مرآة الإصلاح وسيف المصلحين ومربي جيلين كاملين على الهداية القرآنية والهدي المحمدي ، وعلى التفكير الصحيح ، ومحيي دروس العلم بدروسه الحية ،ومفسر كلام الله على الطريقة السلفية في مجالس انتظمت ربع قرن ،وغارس بدور الوطنية الصحيحة وملقن مبادئها على البيان ،وفارس المنابر الأستاذ الرئيس عبد الحميد بن باديس أول رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،وأول مؤسس لنوادي العلم والأدب وجمعيات التربية والتعليم "[1].

فشخصية ابن باديس شخصية باهرة صادقة تملي قوتها وعظمتها على الخصوم والأصدقاء معا ، مما اجتمع لها من صدق اللهجة وقوة الحجة وفصاحة اللسان وبلاغة البيان وشرف النفس ونبالة الحسب والنسب واستقامة السلوك.

وابن باديس عالم ورع وفقيه مجتهد في أمور الدين مساير لمقتضيات العصر وظروف الحياة ،ومعلم موهوب مجدد في أساليب التعليم ،وصاحب مذهب في تفسير كلام الله ،وزعيم من زعماء الفكر الإصلاحي والنضال السياسي ،له آراء ومواقف في الدين والأخلاق والسياسة ،ثم هو كاتب بارع وخطيب بليغ وشاعر وإن كان مقلا وصحفي ناجح.

ومن يتتبع حياته ويدرس جوانب شخصيته يلمس بوضوح هذه الجوانب المختلفة, فهو يجمع إلى جانب القدرة على الكتابة البليغة الهادفة والخطابة المؤثرة وقول الشعر الوطني الإمامة في العلم والدين ،والزعامة في النضال

---

[1]– الرجال أعمال : محمد البشير الإبراهيمي (جريدة البصائر،العدد:64 ،سنة 1948م)

السياسي والإصلاح الاجتماعي ،يزين كل ذلك سعة الإطلاع وعمق التفكير ، ومتانة في الخلق ،واستقامة في السلوك وذكاء حاد ،ووعي كامل بمشكلات العصر وإدراك شامل لوضعية شعبه وما ينبغي أن يكون عليه إذا أخذ بأسباب الحياة ،وكان رحمه الله قائد ركب ومحرر شعب ،ولقد صحح مفاهيم الحياة الإسلامية التي اهتزت بعنف أمام ضربات الاستعمار المتتالية في وقت ساد فيه الجهل وعم فيه الخمود ،وانتشرت الخرافة وانحطت كرامة الإنسان العربي وأهدرت قيمة المسلم .

وزاد ابن باديس هذه المفاهيم تحديدا ووضوحا بسلوكه المثالي ،وتفكيره المتزن والمتوازن, وبحكمته وحنكته مع التوفيق الإلهي .

وهكذا كانت سجايا ابن باديس تملأ الزمان والمكان ،عظمة العلماء وهيبة الحكماء وزهد الأغنياء في قوة الودعاء ،ووداعة الأقوياء ،فكان الرجل الذي أجمع الجميع على حبه وتقديره ،وحتى الأعداء اللذين كانوا يحاربونه ، كانوا مع ذلك يجلونه ويهابونه [1].

ويصف لنا الدكتور عمار طالبي شخصية ابن باديس بقوله :" إن شخصية عبد الحميد غنية ومعبرة عن أزمة المجتمع الإسلامي ،لا تماثلها إلا شخصية جمال الدين الأفغاني في ثرائها وشمولها، وتعبيرها عن جميع جوانب المشكلات الاجتماعية والأخلاقية والدينية والعلمية والسياسية التي يتخبط فيها العالم الإسلامي[2].

هذه ملامح وجيزة عن شخصية الإمام عبد الحميد بن باديس تلك الشخصية العجيبة المجددة للنفوس البالية والباعثة للضمائر الخامدة والقلوب الهامدة .

الفرع الثاني : عوامل تكوّنها

أما فيما يخص عوامل تكون هذه الشخصية الفذة فقد تضافرت مجموعة من المؤثرات والعوامل على تكوين شخصيته ،سواء من الناحية النفسية أو الفكرية أو الأخلاقية أو الوطنية والتي جعلت منه رجلا له مقامه الرفيع في الجزائر وفي العالم الإسلامي ،وقد أشار إليها في خطاب له في وفود المحتفلين بمناسبة ختمه لتفسير القرآن ، وأرجع إليها الفضل فيما بلغه من مكانة علمية وسياسية مرموقة في الجزائر ،ويمكن أن نجمل هذه العوامل فيما يلي .

---

[1]- ينظر إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس :عبد القادر فوضيل ومحمد الصالح رمضان .ص49 ،كذا الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر : علي مراد .ترجمة محمد بحياتم ،دار الحكمة .الجزائر.ط2(1999م) .ص 98-99

[2]- عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره.ت :عمار طالبي .ج.1.ص90-91

العامل الأول : التوجيه الأسري

لعب التوجيه الأسري دورا بارزا في تكون شخصية ابن باديس وترأس هذا التوجيه والده الذي رباه ووجهه وجهة دينية صالحة ،ونمى في نفسه محبة العلم والإقبال على القرآن الكريم ،واختار له طريق العلم على ما عداه ،وانتقى له معلمين ممتازين يجمعون بين العلم والتقوى والصلاح والاستقامة الخلقية ،وأسبغ عليه رعايته وهو صغير ،وعاشه وبراه كالسهم وكفاه مؤونة الحياة وهو كبير ، وحماه من كيد الكائدين ،ووقاه من بطش الإدارة الاستعمارية ووفر له كل أسباب الحياة كي يتفرغ لأداء رسالته على الوجه الأكمل[1].

يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس مؤكدا دور أبيه في تكوين شخصيته :" إن الفضل يرجع أولا إلى والدي الذي رباني تربية صالحة ،ووجهني وجهة صالحة ،ورضي لي العلم طريقة أتبعها ومشربا أرده ،ووقاني وبراني كالسهم ورشاني وحماني من المكاره صغيرا وكبيرا ،وكفاني كلف الحياة "[2].

العامل الثاني : البيئة العلمية والدراسية

أما العامل الثاني فيرجع إلى البيئة العلمية والدراسية التي نشأ فيها ،وإلى المعلمين والشيوخ اللذين نمو استعداده وتعاهدوه بالرعاية والتوجيه .

وقد تحدث ابن باديس عن الأثر الطيب الذي تلقاه في ريعان شبابه من هؤلاء المربين [3]فقال :" ثم الفضل لمشايخي اللذين علموني العلم ،وخطوا لي مناهج العمل في الحياة و لم يبخسوا استعدادي وحبه"[4].

ومن هؤلاء الأساتذة الأستاذ 'حمدان لونيسي' ،و 'محمد النخلي' ،ومن الأساتذة اللذين أثروا فيه وكونوا جانبا من أهم جوانبه وهو جانب الأدب وتذوق الآثار الفنية الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ،بقول ابن باديس :" وإن إنس فلا أنسى دروسا قرأتها من ديوان " الحماسة " على الأستاذ بن عاشور ،وكانت أول ما قرأت عليه ،فقد

---

[1]- ينظر الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر: تركي رابح.ص175

[2]- الشهاب .مج14 .العدد: 4-5.(جوان 1938م ربيع الثاني وجمادى 1357هـ).ص 289

[3]- عبد الحميد بن باديس مفسرا :حسن عبد الرحمان سلوادي.ص 451

[4]- الشهاب .مج14 .العدد: 4-5.(جوان 1938م ربيع الثاني وجمادى 1357هـ).ص 289

حببني في الأدب والتفقه في كلام العرب وبث فيّ روحا جديدا في فهم المنظوم والمنثور ،وأحيت مني الشعور بعز العروبة والاعتزاز بها كما أعتز بالإسلام "[1].

وغيرهم من أساتذته اللذين علموه مباشرة أو ممن تأثر بهم بطريق غير مباشر.

العامل الثالث : مؤازرة زملائه و إخوانه العلماء

والعامل الثالث يتمثل في مؤازرة زملائه و إخوانه في جمعية العلماء اللذين ساندوه في الأعمال التي قام بها من أجل النهضة الجزائرية ،وتحملوا معه المشاق والأتعاب ،واحتضنوا معه الحركة الإصلاحية السلفية التي بدأها قبل الحرب العالمية الأولى حتى أينعت وازدهرت فعمت الجزائر من أدناها إلى أقصاها في الفترة مابين الحربين العالميتين[2].

يقول ابن باديس :" إذا كنت أستمد القوة والحياة فإنما أستمدها ممن أولوني شرف الثقة والإخلاص لديني ولأمتي ، وأخص منهم الأسود الكبار وهم إخواني الأقوياء من رجال العلم اللذين أجدني مهما وقفت موقفا إلا وجدتهم معي كالأسود ."[3]

لذلك كان هؤلاء العلماء من زملائه ورفقاءه في جمعية العلماء المسلمين عاملا قويا من عوامل تكوين شخصيته وبروزها على الشكل الذي عرفها الناس به ،صلبة في الحق ثابتة على المبدأ ،قوية الإيمان بالله ونصره ، لا تتغير ولا تتزعزع في وجه العواصف مهما اشتد هيجانها و طمى سيلها ،كما كانوا ساعدا قويا له وعضدا له في كل المهمات ، وسندا قويا له في جميع المواقف السياسية التي وقفها دفاعا عن عروبة الجزائر وإسلامها وقوميتها ، وفيما قام به من أعمال جليلة في ميدان التربية والتعليم و الإصلاح الديني والاجتماعي .[4]

ويشرح لنا ابن باديس تأثير هذا العامل في شخصيه بقوله :". ..ثم لإخواني العلماء الأفاضل اللذين آزروني في العمل من فجر النهضة إلى الآن ، فمن حظ الجزائر السعيد ومن مفاخرها التي تنيب بها على الأقطار أنه لم يجتمع في بلد من بلدان الإسلام فيما رأينا وسمعنا وقرأنا مجموعة من العلماء وافرة الحظ من العلم ،مؤتلفة القصد والاتجاه، مخلصة النية ،متينة العزائم ،متحابة في الحق ، مجتمعة القلوب على الإسلام والعربية ،وقد ألف بينها العلم والعمل

---

[1]- شيخ الإسلام بتونس :عبد الحميد بن باديس ، البصائر ، العدد:16 (الجمعة 2 صفر 1355هـ الموافق لـ24 أفريل 1636م).ص01

[2]- ينظر الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر: تركي رابح.ص.176-177

[3]- الشهاب ،عدد أوت 1939 ، مج 15.ج.7 ، ص.346

[4]- ينظر الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر: تركي رابح.ص.177-179

مثلما اجتمع للجزائر في علمائها الأبرار ،فهؤلاء هم اللذين قوي بهم زنادي ،وتأثل بطريقهم تلادي ،أطال الله أعمارهم ورفع أقدارهم ".[1]

العامل الرابع : تجاوب الأمة مع دعوته

ومن أهم العوامل التي أثرت في شخصية ابن باديس من كان يعرفه من أبناء الشعب الجزائري وما ينطوي عليه من أصول الكمال واستعدادات كبيرة للخير [2]، فالأمة الجزائرية في جملتها لم تكن قط مفرطة في تمسكها بالإسلام ،أو مستسلمة للمستعمر ،وإنما كانت تتقي شره وتداريه مضطرة عند اللزوم [3].

وقد كان هذا العامل شحنة قوية دفعت ابن باديس إلى الانطلاق في مجالات الإصلاح ،وقد عمل ابن باديس ما وسعه طيلة حياته من أجل رعاية وتنمية هذه الخصال النبيلة في أبناء الجزائر ،ومحاولة تغليبها على عوامل السلبية والأنانية والفردية واللامبالاة حتى تستطيع الجزائر أن تتغلب على واقعها الفاسد الذي وصلت إليه بعد قرن من الاحتلال الغاشم للوطن [4].

يقول ابن باديس واصفا الأمة الجزائرية :" أمة معوانة على الخير منطوية على استعدادات الكمال وأنها ذات نسب عريق في المحامد والفضائل وتعتبر الطينة الجزائرية طينة علم وذكاء إن واتتها الظروف "[5].

ويقول كذلك :" ... هذه الأمة التي ما عمِلت يوما – علم الله – لإرضائها لذاتها ،وإنما عملت وما أزال أعمل لإرضاء الله ،بخدمة دينها ولغتها ولكن الله سددها في الفهم وأرشدها إلى صواب الرأي ،فتبين قصدي على وجهه، وأعمالي على حقيقتها فأعانت ونشطت بأقوالها وأموالها وبفلذات أكبادها ،فكان لها بذلك كله من الفضل في تكويني العملي أضعاف ما كان لتلك العناصر في تكويني العلمي "[6].

العامل الخامس :تأثره بالقرآن الكريم

---

[1]– الشهاب ،عدد جوان وجويلية سنة 1938م ، مج 14.ج.4-5. ص 288-291

[2]– ينظر الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر: تركي رابح.ص79

[3]– ابن باديس وعوامل نجاحه في أداء رسالته :أحمد ابن دياب ، مجلة الأصالة .السنة الخامسة(ربيع الثاني 1396هـ/أفريل 1976م) ، ص 113

[4]– ينظر الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر: تركي رابح.ص.179

[5]– الشهاب ،عدد: ماي 1929م، مج:5،ج:5 ،ص 27-33

[6]– المرجع نفسه، عدد جوان وجويلية سنة 1938م ، مج:14،ج.4-5، ص288-291

والعامل الأخير والذي يفوق جميع العوامل الأخرى ،والذي كرس له ربع قرن من حياته هو القرآن الكريم الذي صاغ نفسه وهز كيانه ،واستولى على قلبه فاستوحاه في منهجه طوال حياته ،وترسم خطاه في دعوته ، وناجاه ليله ونهاره يستلهمه ويسترشده ويتأمله ويستمد علاج أمراض القلوب وأدواء النفوس ،ويذيب نفسه ويبيد جسمه الهزيل في سبيل إرجاع الأمة الجزائرية إلى الحقيقة القرآنية ،ومنبع الهداية الأخلاقية والنهوض الحضاري [1].

وقد صور ابن باديس تأثير القرآن في نفسيته وتكوين شخصيته بقوله :" ثم الفضل أولا وأخيرا لله ولكتابه الذي هدانا لفهمه والتفقه في أسراره ،والتأدب بآدابه ،وإن القرآن الذي كون رجال السلف لا يكثر عليه أن يكون رجالا في الخلف ،لو أحسن فهمه وتدبره ،وحملت الأنفس على منهاجه ،وإذا لم يكن في حياتي العلمية من لافت للقرآن إلا تلك الكلمة التي سمعتها من الشيخ النخلي ،وقد فعلت فعلها في نفسي وأوصلتني في فهمي للدرجة التي تحمدونها اليوم ،فإننا والحمد لله نربي تلامذتنا على القرآن من أول يوم ،ونوجه نفوسهم إلى القرآن في كل يوم ، وغايتنا التي ستتحقق أن يكون القرآن منهم رجالا كرجال السلف ،وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلق هذه الأمة آمالها وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا وجهودها "[2].

هذا وقد انفرد الأستاذ 'الزبير بن رحال' بإضافة عامل سادس أشار إليه بعد ذكره للعوامل الخمسة السابقة العامل ،وهذا العامل هو استعداده الفطري الذي ينم عن عبقرية لها جذورها في آبائه وأجداده [3].

فكان لهذه العوامل كلها مجتمعة أثرها الواضح في تكوين شخصية ابن باديس من النواحي النفسية ،الفكري والأخلاقية ،وتبوئه تلك المكانة المرموقة في الجزائر خاصة والعالم الإسلامي عامة .

المطلب الثالث :مكانته العلمية

يقف ابن باديس علما على مرحلة النضال في الجزائر ،فبعد مائة عام من الاحتلال والمقاومة وقف ابن باديس ليرسم الخطة المثلى للمقاومة ،إنها ليست في المعركة العسكرية فقطعا لن تستطيع الجزائر أن تقف أمام قوات فرنسا وأسلحتها الحديثة في ذلك الوقت ،ولن تكون في النضال السياسي القائم على الخطط والمفاوضات والوعود البراقة الخادعة ،وإنما جوهر النضال وحقيقته كما فهمه ابن باديس هو في التربية الروحية والاجتماعية وحماية اللغة

---

[1]- ينظر عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره.ت :عمار طالبي .ج.1 .ص76

[2]- الشهاب، عدد جوان وجويلية سنة 1938م ، مج:14،ج.4-5 ،ص291

[3]- ينظر الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية : الزبير ابن رحال.ص18

العربية من جور الأجنبي ،الذي خطط للقضاء عليها ،والدعوة للوحدة العربية وتحرير الفكر العربي من شوائب التقليد وقيود المرتزقة والطرقيين اللذين كانوا أسلحة ضد وطنهم في صف الاستعمار وشوكة في جنب الدعوة إلى الحرية والمقاومة .

كان هذا هو العمل الديني الذي تبلور في عقل ابن باديس بعد أن جال جولته الطويلة في المشرق ، والتقى بأعلام الفكر والوطنية والحرية ،وقرأ آثار جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ،وكون فكرة واضحة عن العمل النافع وانطلق في عمله الإصلاحي من خلال التدريس والصحافة وإلقاء الفتاوى[1].

الفرع الأول : الجهود العملية التي قام بها ابن باديس

أولا التدريس

يعتبر جانب المعلم المربي من أبرز جوانب شخصية ابن باديس وأقواها ،فقد وقف على التربية والتعليم معظم نشاطاته [2] ؛وقد بدأ ابن باديس التدريس والتعليم في جامع الزيتونة بعد تخرجه منه حيث جرت العادة أن يدرس النبغاء من الطلبة في الجامعة بعد انتهاء دراستهم فيها ،كما ألقى عدة دروس في المسجد النبوي أثناء إقامته بالمدينة المنورة ،وبعد عودته إلى الجزائر سنة 1332هـ استأنف التدريس بعزيمة قوية ونشاط متقد واجتهاد متميز وفق خطة إصلاحية متعددة الأوجه ، تنطلق أساسا من التعليم والتثقيف ثم تتوسع لتشمل مجالات أخرى [3].

يقول ابن باديس :" لما قفلنا من الحجاز وحللنا بقسنطينة عام 1332 هـ ،وعزمنا على القيام بالتدريس، أدخلنا في برنامجنا دروسا لتعليم اللغة العربية وآدابها ،والتفسير والحديث والأصول ، ومبادئ التاريخ والجغرافيا والحساب وغيرها ،ورأينا لزوم تقسيم المتعلمين إلى طبقات ،واخترنا للطبقة الصغرى منهم بعض الكتب الابتدائية التي وضعتها وزارة المعارف المصرية ،وأحدثنا تغييرا في أسلوب التعليم ،وأخذنا نحن نحث على تعلم جميع العلوم

---

[1]- ينظر الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا :أنور الجندي .دار القومية .القاهرة.د.ط. (1385هـ/1965م).ص 54

[2]- ينظر ابن باديس وعروبة الجزائر :محمد الميلي .وزارة الثقافة .الجزائر .د.ط.2007 .ص 192

[3]- ينظر المصلح المجدد الإمام ابن باديس لهذا حاولوا اغتياله .ص 24

باللسان العربي والفرنسي ،وتحبيب الناس في فهم القرآن وندعو الطلبة إلى الفكر والنظر في الفروع الفقهية ،والعمل على ربطها بأدلتها الشرعية وترغيبهم في مطالعة كتب الأقدمين ،ومؤلفات المعاصرين"[1].

وهذه الخطة التي اتبعها تتألف من مجالين :تعليم الطلاب المتفرغين لتلقي العلم ،تعليم العامة وتثقيفهم هذا بالنسبة للتعليم الخاص بالكبار.

أما التعليم الموجه لصغار الكتاتيب فقد أوكل أمره لبعض طلابه ،بعد أن خط لهم النهج الذي ينبغي أن يسيروا عليه .

وهكذا بدأ التدريس هذه المرة ومعه إذن قانوني بهذا ،فنظم دروسا لعامة الناس وأخرى خاصة بالطلبة الوافدين يلقي بعضها في "الجامع الأخضر" وبعضها في مسجد "سيدي قموش "، ولا يتقاضى على عمله هذا من الحكومة ولا من غيرها أجرا .

وكان من دروس العامة تفسير القرآن والحديث النبوي الشريف من الموطأ ،أما الدروس الموجهة للطلبة فتختلف حسب مستوى كل طبقة ،ويركز فيها على العلوم الدينية واللغوية والتاريخ الإسلامي ،والتوحيد والمنطق وغير ذلك من العلوم.

وقد جعل من هذا الجامع الذي أصبح قبلة الوافدين على طلب العلم فيما بعد معهدا علميا ينتسب إليه طلبة العلم وفق شروط تنظيمية ،ويتلقون فيه فنون المعرفة وفق البرنامج المسطر لكل مستوى من المستويات الأربعة ،التي تمثل مرحلة تعليمية بكاملها يحصل الطالب بعدها على تقدير اعتباري يخول له الانتقال إلى تونس لإكمال دراسته أو الانتصاب للتدريس ؛فكان الشيخ ابن باديس يشغل نهاره كله وجزءا من ليله[2] .

ثم أسس بعدها سنة 1926م أول نواة للتعليم الابتدائي ،حيث أنشأ مدرسة بمسجد "سيدي بومعزة"، وأطلق عليها اسم " المكتب العربي" ،وأسند إدارتها للشيخ مبارك الميلي بعد تخرجه من جامع الزيتونة ،ثم نقلها إلى مقر الجمعية الخيرية لاتساعه ،ووسع نطاق عملها ،وهذه المدرسة خاصة بالأطفال اللذين بلغوا سن التعليم و لم يجدوا مكانا لهم في المدارس الحكومية أو اللذين يدرسون في هذه المدارس ولكنهم بحاجة لتعلم لغتهم ومعرفة دينهم وتاريخهم [3].

---

[1] – إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس :عبد القادر فوضيل ومحمد الصالح رمضان .ص33

[2] – إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس :عبد القادر فوضيل ومحمد الصالح رمضان.ص.34- 35

[3] – المرجع نفسه .ص33-35

وقد تفرغ ابن باديس للتعليم حتى لم يبق له من الشغل سواه واستمر يحيي دوارس العلم بدروسه الحية ،و لم يحد عن هذه الطريق إلا أن وافته المنية .

ثانيا :الصحافة والإفتاء

أدرك ابن باديس ما للصحافة من أهمية في بناء نهضة الجزائر وإحياء مقوماتها ،فتوجه إليها مند وقت مبكر من حياته النضالية ،وأعطاها أكثر من عشرين سنة من عمره ،واتخذ منها منبرا لنشر أفكاره الإصلاحية، وفضح من خلالها أساليب المستعمر وجرائمه التي يرتكبها في حق الشعب الجزائري [1]،وهاجم من خلالها أصحاب الطرق الصوفية ،ومحاربة الأوضاع الفاسدة ،وتنبيه الناس إلا ما أحدثه مشائخ الطرق من بدع وضلالات لا تنتمي إلى الدين .

فبدأ ابن باديس يشتغل إلى جانب التعليم بالكتابة في الصحف ،وكانت جريدة " النجاح" المجال الذي بدأ منه ممارسة العمل الصحافي الهادف ،كان ذلك سنة 1919م ولما رآها تلاين الحكومة وتخضع لإرادتها تخلى عن الكتابة فيها وبدأ التفكير في إنشاء صحافة عربية مستقلة خاصة به ،فمهد لذلك بإنشاء المطبعة الإسلامية الجزائرية مع ثلة من أقرب الناس إلية ليضمن لصحيفته جانبا من الاستقلالية .

وفي سنة 1925م أقبل ابن باديس على تأسيس أول صحيفة والتي كانت منبرا لأفكاره الإصلاحية وهي جريدة "المنتقد" التي كانت شعارها "الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء" ،ولكنها لم تعمر طويلا نظرا لشدة لهجتها في الإنقاذ ، إذ أوقفتها إدارة الاستعمار ،فعوضها ابن باديس بجريدة أخرى هي "الشهاب" التي تحولت بعد أربع سنوات إلى مجلة شهرية ،واستمرت تواصل رسالتها ولكن بلهجة معتدلة وأسلوب مرن إلى أن توقفت من تلقاء نفسها في بداية الحرب العالمية الثانية .

ونظرا للمرونة التي اصطنعها الشيخ في أسلوب معالجة القضايا السياسية،ضمن لها العيش الطويل، مما جعله يحقق أهدافه من غير أن تفطن الإدارة الاستعمارية لما كانت تبثه وتدعو إليه [2].

ولما أنشأت جمعية العلماء المسلمين جرائدها في الثلاثينات مثل "السنة, الشريعة،الصراط, البصائر لم يتخلف ابن باديس عن الكتابة فيها ،رغم إشرافه الكامل على "الشهاب "رئاسة وتحريرا؛ وبهذه العزيمة وهذه العبقرية عمل الشيخ ابن باديس في ميدان الصحافة.

---

[1]– ينظر الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية : الزبير ابن رحال.ص.4-47

[2]– إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس :عبد القادر فوضيل ومحمد الصالح رمضان .ص38

أما فيما يخص جانب الإفتاء فقد بدأ ابن باديس الفتوى مع انتصابه للتدريس ،إلا أن هذا الأمر توسع واشتهر عند قيامة الصحافة الإصلاحية فكانت الأسئلة الفقهية ترد عليه من كافة القطر الجزائري فيجيب عليها في صفحات الشهاب والبصائر ،وكانت تدور هذه الأسئلة حول العقائد العبادات والمعاملات .

ثالثا :ابن باديس والسياسة

رغم اشتغال ابن باديس بالتعليم والتفرغ له، إلا أنه كان ممن لا يهابون الخوض في أمور السياسة منطلقا في ذلك من نظرته الشاملة للإسلام الذي لا يفرق بين السياسة والعلم.

ويعتبر الفكر السياسي من أبرز الجوانب التي تلفت نظر الباحث في شخصية ابن باديس، وقد كان يهتم بالمشاكل السياسية ويتناقش فيها ويتحدث إلى الجماهير عنها ،لكنه لم يكن يقتصر في تناولها على الجانب الآلي بل كان يتجاوز ذلك إلى تحليل كل الأبعاد العميقة التي لا تظهر للعين مباشرة ،وكان وهو يتعرض لقضية قائمة لا يفوته أن يستخلص المبادئ العامة التي تقوم عليها ،ويصوغها صياغة تصلح معها بأن يكون منهاجا كاملا وليس مجرد مقال عابر أو خطبة سياسية [1].

ومن مواقفه المشهورة في هذا المجال دعوته إلى عقد مؤتمر إسلامي بالجزائر للحيلولة دون تنفيذ مؤامرة إدماج الشعب الجزائري المسلم في الأمة الفرنسية ،والتي كان ينادي بها بعض النواب ورجال السياسة الموالين لفرنسا ، ورغم أن غالبية اللذين حضروا هذا المؤتمر كانوا من أنصار سياسة الإدماج ،إلا أن ابن باديس ورفاقه استطاعوا توجيه قراراته للاعتراف بالشخصية الجزائرية المستقلة عن فرنسا .

وتظهر مواقف ابن باديس السياسية الأخرى في المقالات المتعددة التي ضمّنتها جرائد ومجلات الجمعية ،والتي تناول فيها ما يجري على الساحة العربية والإسلامية من أحداث.

الفرع الثاني :ثناء العلماء على ابن باديس

لعل من أبلغ الظواهر الدالة على مكانة الشيخ عبد الحميد بن باديس بين علماء عصره،ذلك الثناء الذي خصه به معاصروه ومن بعدهم من المؤرخين والعلماء والمفكرين ونذكر منها ما يلي .

[1]- ينظر ابن باديس وعروبة الجزائر :محمد الميلي .ص21-22

أولا: مقولة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

قال فيه :"باني النهضتين العلمية والفكرية بالجزائر ،وواضع أسسها على صخرة الحق ،قائد زحوفها المغيرة إلى الغايات العليا، وإمام الحركة السلفية ،ومنشأ مجلة الشهاب مرآة الإصلاح وسيق المصلحين ، ومربي جيلين كاملين على الهداية القرآنية والهدي المحمدي وعلى التفكير الصحيح.

ومحي دروس العلم بدروسه الحية ،ومفسر كلام الله على الطريقة السلفية في مجالس انتظمت ربع قرن ، وغارس بذور الوطنية الصحيحة وملقن مبادئها ،عالم البيان وفارس المنابر الأستاذ الرئيس الشيخ عبد الحميد بن باديس ،أول رئيس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،وأول مؤسس لنوادي العلم والأدب وجمعيات التربية و التعليم "[1].

هذه شهادة حية لصديق الشيخ الذي سار برفقته في مشوار العمل الإصلاحي،و هي أعظم دليل على عظم شخصية ابن باديس ومكانته الرفيعة.

ثانيا :مقولة الأستاذ احمد توفيق المدني

قال فيه الأستاذ احمد توفيق المدني " اتخذ العلم سلاحا ،وتسربل العقيدة وشاحا ،فنفخ في الأمة روح الأمل، وبذر فيها بذور العمل ، وتقدم عملاقا في ميادين الكفاح دون وهن أو وجل فسطع النور من فمه وقلمه ، وتقشعت السحب وارتفع صوت الحق ،ووهنت حجة المبطلين وتلاشت أكاذيب وترهات الدجالين في السياسة والدين ،وأخذ شعبنا العملاق يسير منذ تلك الأيام قدما نحو هدفهم السامي ،مستنيرا بتلك المبادئ ،سالكا ذلك الطريق المستقيم ،طريق الفدائية في العلم والعقيدة ،وطريق الفدائية في القراع والجهاد ،ذلك هو الرجل العظيم الذي غرس فأكلنا ، والذي بنا فسكنا ، والذي عبد الطريق فسلكنا ،والذي فجر نور الهدى واليقين فاستضأنا ،إي وربي ذلك الرجل العظيم هو عبد الحميد بن باديس"[2].

---

[1]- الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية : الزبير ابن رحال،ص 110

[2]- مجلة الأصالة ،ع:46 .(السنة السادسة ربيع الثاني 1397هـ ،أفريل 1917 م)،ص 58-59

ثالثا :مقولة محمد البهي [1]

قال فيه الأستاذ محمد البهي " الإمام عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء بالجزائر ،وباعث النهضة الإسلامية العربية فيها وقائد الثورة ضد الاستعمار الفرنسي في هذه البلاد العزيزة ،واحد من العلماء المصلحين والمفكرين الرواد في الوطن الإسلامي العربي ،ومع الأسف لم يكونوا كثرة في العدد وإن كانوا قوة في الأثر.

إن عبد الحميد بن باديس لم يكن شخصا وإنما كان قبسا من نور الله كشف به ظلام الاستعمار في الجزائر، وهدى به قوما كادت تظلهم ظلمته وتبئسهم محنته ،وأصبحوا بذلك أقوياء بعد ضعف ووحدة بعد فرقة وأصحاب أمل في الحياة بعد يأس منها "[2].

رابعا :مقولة أنور الجندي

"فهو الخطيب الذي يهز المشاعر والأرواح ،ويسيطر على الجموع ،وهو الكاتب الدقيق العبارة ، النفي الأسلوب ، الواضح الفكرة ،وهو الصحفي والمدرس والرحالة [3] ".

وقال أيضا :" لم تصرفه الصحافة عن التدريس وما من نظرية ظهرت في التربية والتعليم أو كشوف العلم والفكر إلا استوعبها ،وأبدى رأيه فيها ،وما من صحيفة في المشرق أو المغرب إلا نظر قيها ،واستخلص منها ما ينفع بني جنسه ووطنه ،ودعوته ،وهو الذكي القطن الفاهم لتيارات سياسة الغرب قي الشرق ،وما تحمل في أطوائها من زاوية دعوته ،ومن زاوية أمر العرب والمسلمين، وذلك راجع إلى خبرة عميقة بالسياسة الاستعمارية في الجزائر ، يتعقب أخطائها عن علم وبصيرة ،ويفند مزاعم المستعمرين ،ما اتصل منها بالإسلام أم باللغة العربية ،أو بتفوق العنصر الأوروبي على العنصر العربي الإسلامي "[4].

خامسا : مقولة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور

[1]- وزير الأوقاف ووزير شؤون الأزهر سابقا

[2]- الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية : الزبير ابن رحال.ص 107

[3]- الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا :أنور الجندي ص 46

[4]- المرجع نفسه. ص 46

" المصلح الفذ والعلامة الذي ما أنجبت الجزائر – منذ أحقاب – مثله إلا قليلا "[1]

هذه بعض أقوال أهل العلم في الشيخ عبد الحميد بن باديس ،ومن أراد الاستزادة فعليه الرجوع إلا كتاب " الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية " للباحث " الزبير بن الحال " . والذي يحوي الكثير من مقولات أهل العلم في الشيح ابن باديس والتي لم يتسع المقام لذكرها هنا خشية الإطالة .

المطلب الرابع : وفاته وآثاره

الفرع أول :وفاته

لقد عاش ابن باديس طوال حياة وفيا لفكرة اعتنقها ومبدأ آمن به ،وفكرة الشيخ ومبدؤه اللذان لم يحد عنهما حتى آخر رمق في حياته ،هما الإسلام والعروبة ،وقد عبر عنها في كلمته التي ألقاها بمناسبة ختم القرآن حيث قال :"إنني أعاهدكم على أن أقضي بياضي على العربية والإسلام ،كما قضيت سوادي عليهما ،و إنها لواجبات وأني سأقصر حياتي على الإسلام والقرآن ولغة والإسلام والقرآن هذا عهدي لكم "[2].

وبقي ابن باديس محافظا على هذا العهد ،وفيا له ،واستمر يواصل النضال العلمي والاجتماعي والسياسي يعلم، ويرشد ويعظ ويحرر ويتنقل ويتعبد،ويتأمل ويحقق،لا يهدأ له بال بالليل ولا بالنهار ،ولم يشفق على نفسه ولا على جسمه ولا ينال لصحته ، في سبيل مبدأ أعظم ،وأمة يسوؤه حالها ويدمي نفسه احتلالها ويدفعه للبدل والسهر مآلها ،و آماله وآمالها ،أفنى ذاته في سبيل عقيدة ،وقضى من أجل رسالة،فجاءه الأجل المحتوم ،وانتقل إلى الرفيق الأعلى في مساء الثلاثاء قي ربيع الأول 1359هـ / 16 أفريل 1940م فتحركت قسنطينة بأكملها لتشييع جنازته ،ودفن في روضة أسرته بحي الشهداء قرب مقبرة قسنطينة [3] ، رغم وصيته التي أوصى فيها بدفنه قي مقبرة شعبية عامة [4].

قضى بن بادبيس وانطلقت وحامت الأقوال حول وفاته : أنه مات مسموما ،وقيل أنه مات بسرطان الأمعاء، وقيل أنه مات بسل العظام .

---

[1]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج1. .ص 38

[2]– عبد الحميد بن باديس مفسرا :حسن عبد الرحمان سلوادي.ص36

[3]– ينظر عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره.ت :عمار طالبي .ج.1.ص94-95

[4]– ينظر الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر: تركي رابح.ص195

أما الأستاذ الزبير بن رحال فذكر سببا آخر لوفاته حيث يقول :" أخبرني الأستاذ عبد الحق بن باديس أن سبب وفاة شقيقه عبد الحميد بن باديس لم يكن بالسم ولا مرض كان يعاني منه ،و إنما مات ميتة طبيعية ، وأخبرني أن الشيخ كان نحيل الجسم و لم يكن يعطي لنفسه قسطا من الراحة ،فيومه يبدأ مع صلاة الصبح ولا ينتهي إلا في ساعة متأخرة من الليل وهذا لمدة 25 سنة قضاها بأيامها ولياليها في التدريس والتفسير ، وإلقاء المحاضرات ودروس الوعظ والإرشاد ،و الكتابة في الصحافة ، وإدارة الأعمال الإدارية ،وكثرة السفر الدائم بالوعظ عبر أنحاء القطر ، فالإرهاق والتعب والزهد في الحياة ،وثقل المسؤولية التي كان يشعر بها اتجاه الأمة الجزائرية هي السبب المباشر لوفاته عندما حان وقت تسليم الروح إلى خالقها " [1].

ومع اختلاف هذه الروايات حول وفاته ،قد كانت إقامته قبل وفاته محددة من قبل الإدارة الفرنسية في مدينة قسنطينة ،ليس له أن يبرحها إلى غيرها من نواحي البلاد ،مما يجعل وفاته غير طبيعية [2].

وعندما شاع خبر وفاته في الجزائر ،بكاه المواطنون بكاء حارا كما بكاه عارفوه ومقدرو علمه وجهاده في سبيل الجزائر والإسلام والعروبة في كل من المغرب وتونس وليبيا والمشرق العربي ، والعالم الإسلامي ، وحزنت عليه الجزائر حزنا شديدا [3].

"لقد قضى رحمه الله كل حياته المباركة في جهاد مستمر كالزمان وثبات لا يتزحزه كالجبل ، وإيمان لا يتغير كالحق، وقلب صادق كالطهر ،ما أحجم عن غايته يوما ولا عاقه عن أداء واجبه عائق ،وعد أو وعيد ،ولا نال من نفسه الأبية ترغيب ولا ترهيب ،بل ظل يواصل كفاحه الشامل حتى النفس الأخير من عمره الطافح بجلائل الأعمال ،العامر بحميد الخصال ومما يجعله بحق رجلا عظيما "[4].

الفرع الثاني : آثاره

يقول الشيخ الإبراهيمي :" يموت العظماء ،فلا يندثر منهم إلا العنصر الترابي ،الذي يرجع إلى أصله ،وتبقى معانيهم الحية في الأرض قوة تحرك ،ورابطة تجمع،ونورا يهدي ،وعطرا ينعش وهذا هو معنى العظمة وهذا هو

---

[1]– الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية : الزبير ابن رحال.ص 129

[2]– ينظر جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر :عبد الرشيد زروقة .ص 103

[3]– ينظر الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر: تركي رابح.ص 127

[4]– البصائر .ع33. الاثنين 16 جمادى ال ثانية 1279هـ / 26 أفريل 1948م .ص 6. الروح الاستقلالية أو عظمة الشيخ ابن باديس :عبد الرحمان شيبان

معنى كون العظمة خلودا ،فإن كل ما يخلفه العظماء من ميراث هو أعمال يحتديها من بعدهم ، وأفكارا يهتدون بها في الحياة وآثارا مشهودة ينتفعون بها ، وأمجادا يعتزون بها ويفتخرون ...."[1].

وخلال حياته القصيرة (51 سنة) ، وبالرغم من المهام الكثيرة التي كان يقوم بها من إلقاء للدروس والمحاضرات ورئاسة الجمعية وكثرة تنقلاته ورحلاته التي شملت ربوع التراب الوطني ، وقلت الإمكانيات وكثرة العراقيل التي اعترضت طريق دعوته ،فإن ابن باديس قد ألف في العديد من القضايا الدينية والتربوية والسياسية مضمنا كتاباته آرائه في الموضوعات التي كانت مطروحة في عصره ،وفيها جميعا لم ينعزل عن قضايا شعبه ومجتمعه، إذ كان البعد الاجتماعي والبعد الديني يلتقيان في نسق واحد ،يظل خلاله وعي الإمام حاضرا يقظا، وقد كانت المقالة الصحفية وسيلته الأولى في كل ما كتب حتى في التفسير القرآني .

وبقيت هذه المقالات مبعثرة حتى تصدى لجمعها نفر من تلامذته ،وكان أول من فعل ذلك " أحمد بو شمال الذي نشر جزءا من تفسير ابن باديس سنة 1848م ،وطبعته المطبعة الإسلامية الجزائرية ،التي كانت تطبع مجلات ابن باديس وصحفه .

- ✓ وأعيد نشر هذا التفسير وأضفيت إليه إضافات هامة من قبل محمد الصالح رمضان وتوفيق محمد شاهين سنة 1964م .
- ✓ ثم طبع مرة أخرى سنة 1971 م بعد أن زيدت عليه شروحات وتعليقات تتعلق بحياته ونشأته وآراء بعض الباحثين فيه.
- ✓ وفضلا عن التفسير فقد قام محمد رمضان وتوفيق شاهين أيضا بنشر ثلاثة كتب لابن باديس بعد جمعها من مجلة الشهاب وهي :العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والسنة النبوية ، الهدي المحمدي ، رجال السلف ونساؤه.
- ✓ كما حقق ابن باديس كتاب العواصم والقواصم لأبي بكر بن العربي وعلق عليه وطبعه على نفقته الخاصة .
- ✓ وكان ابن باديس قد نشر في حياته رسالة ألفها ردا على شيخ الطريقة العلوية الصوفية تحت عنوان " رسالة جواب عن سوء مقال "، وطبعتها المطبعة الإسلامية بالقسنطينة سنة 1939م مع تقاريظ عشرة من العلماء في المغرب العربي .

---

[1]- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي : الإبراهيمي .ت : أحمد طالب الإبراهيمي .دار الغرب الإسلامي .بيروت .ط:1 (1997م) .ج.3 (عيون البصائر).ص 588

✓ ثم قامت وزارة الشؤون الدينية بجمع آثار الإمام المبعثرة في مختلف الصحف والمجلات عندما أسندت هذه المهمة إلى الأستاذ عبد الرحمان شيبان [1].

✓ وأخيرا قام باحث جاد هو الدكتور عمار طالبي بعد حوالي ربع قرن من وفاة ابن باديس بجمع آثاره في أربعة أجزاء ضخمة [2].

يشتمل الجزء الأول والثاني منها على الآثار المتعلقة بالتفسير وشرح الحديث ، ويشتمل الثالث والرابع على المقالات الاجتماعية ،التربوية ،السياسة ،الأخلاقية والدينية .

ويخبرنا الدكتور عمار طالبي انه قضى ما يزيد عن 03 أعوام في جمع هذه الآثار وترتيبها فيقول : " فإنني قضيت ما يزيد عن ثلاث سنوات في جمع وترتيب آثار ابن باديس ،مما جعلني أسافر إلى بعض البلاد العربية للعثور على مالا يوجد في الجزائر مما أتى عليه تخريب القوات الاستعمارية وإحراقها لكنوز الفكر الإسلام..."[3].

ثم يضيف قائلا :" كما أني لا أزعم أنه قد أتيح لي أن أعثر على جميع آثار ابن باديس ،لأنه قد أملى إملاءات كثيرة على طلابه ولا تزال مخطوطة أو مبعثرة أو مفقودة ،وحتى المطبوع من آثاره لم أجمعه كله ،فإن أغلب أعداد جريدة المنتقد لم أعثر عليها ما عدا ثلاث أعداد(7.2.1) .

والظاهرة التي ينبغي التنبيه عليها أن الشيخ لا يمضي جميع ما يكتب ،ولهذا فإن البحث يضطر للاجتهاد اعتمادا على أسلوب المؤلف وروحه ،وقد أتيح لي أن أطلع على جميع أعداد جريدة الشهاب ، قبل تحويلها إلى مجلة ، وكان لا يكتب فيها إلا نادرا "[4]

- ويمكن أن نلخص هذه الآثار فيما يلي

1- تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير .
2- من هدي النبوة أو مجالس التذكير من كلام البشير النذير.
3- رجال السلف ونساؤه.
4- القصص الهادف.

---

[1]- ينظر عبد الحميد بن باديس مفسرا :حسن عبد الرحمان سلوادي.ص 54-57

[2]- ينظر المصلح المجدد الإمام ابن باديس لهذا حاولوا اغتياله :محمد الصالح الصديق. ص 236

[3]- عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره.ت :عمار طالبي .ج.1.ص 96

[4]- المرجع نفسه.ت :عمار طالبي .ج.1.ص 96-97

5- مبادئ الأصول.

6- العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

7- رسالة جواب عن سوء مقال .

8- العواصم والقواصم لأبي بكر بن العربي المالكي تحقيقا وتقديما .

9- تحفة المستهدي في إثبات خروج المهدي ،توجد الورقة الأولى من هذه الرسالة المخطوطة في مكتبة الشيح نعيم النعيمي رحمه الله تعالى ،كما ذكره محقق مجالس التذكير أبو عبد الرحمان محمود .

10- التأفين لمنكر التأبين ،يقول المحقق أبو عبد الرحمان محمود :" وقفت على نسختين خطيتين منها،و عند أحينا الدكتور جمال عدون نسخة ثالثة وهو يعمل على تحقيقها.

11- كما جمعت مقالاته في الشهاب والبصائر وغيرهما ، ونشرت ضمن آثاره غير مرة.[1]

مضى رحمه الله فتجلت عظمته ككل عظيم فيما ترك من آثار ،وقام به من أعمال خدم بها هذه الأمة في ميادين الحياة كلها .

المبحث الثاني : مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير

عبد الحميد بن باديس مفسر قدير للقرآن الكريم ،كرس ربع قرن من حياته لتفسير القرآن ،وكان تفكيره منصبا عل أن يجعل من التفسير مبدأ انطلاقة للنهوض بالأمة الجزائرية ،وأساس هديه في الدراسات العلمية والإصلاح الديني والتربوي ،إيمانا منه بأنه لا فلاح للمسلمين إلا بالرجوع إلى هدي القرآن والاستقامة على طريقته.

المطلب الأول : تفسير ابن باديس للقرآن

ختم ابن باديس تفسير القرآن درسا على الطريقة السلفية في خمسة وعشرين سنة ،حيث شرع في تفسيره عام 1913م وانتهى منه في آخر فصل الربيع من عام 1938م.

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. .ج.1. من مقدمة التحقيق .ص 39-40

وقد أقيمت احتفالات ضخمة في مدينة قسنطينة لمدة أسبوع ابتهاجا بهذه المناسبة التاريخية ،حضرها وفود تمثل جميع جهات القطر الجزائري ،وألقيت فيها محاضرات وخطب ومسامرات وقصائد شعرية ،وألقي ابن باديس في يوم الاحتفال تفسيره لسورتي المعوذتين كعادته، وقام الشيخ البشير الإبراهيمي بجمع ما ورعته ذاكرته وأمكنه تقييده من معنى درس الختم في تفسير هاتين السورتين .[1]

وكان الشيخ عبد الحميد بن باديس يرى أن في تدوين التفسير بالكتابة مشغلة عن العمل المقدم ،لذلك آثر البدء بتفسيره درسا ،تسمعه الجماهير فتعجل من الاهتداء به ما يتعجله المريض المنهك من الدواء وما يتعجله المسافر العجلان من الزاد , وكان يستطيع أن يجمع بين الحسنيين لولا أنه كان مشغولا مع ذلك بتعليم جيل وتربية أمة ومكافحة أمية ، ومعالجة أمراض اجتماعية ،ومصارعة استعمار يؤيدها ،فاقتصر على تفسير القرآن درسا ينهل منه الصادي ، ويتزوده منه الرائح والغادي ،وعكف عليه إلى أن ختمه في خمس وعشرين سنة [2].

يقول ابن باديس :" شغلنا بتأليف الرجال عن تأليف الكتب " [3].

و لم يكتب ابن باديس أماليه في التفسير و لم يكتب تلامذته الكثيرون شيئا منها وبالرغم من ذلك كله فقد حرر ابن باديس تفسيرا لمجموعة متفرقة من الآيات كان ينشرها كمقدمة في مجلة الشهاب التي كانت تصدر في قسنطينة تحت عنوان "مجالس التذكير"[4].

يقول ابن باديس :"نفسر في هذا الباب من مجلة الشهاب ما فيه تبصرة للعقول وتهذيب للنفوس" .

وهذه المجالس نموذج صادق من فهمه للقرآن وتفسيره له ،كما أنها نموذج من أسلوبه الخطابي وأسلوبه الكتابي.

يقول البشير الإبراهيمي :" فإن من دواعي الأسف أنه لم ينتدب من مستمعي هذه الدروس من يقيدها بالكتابة، ولو وجد من يفعل ذلك لربحت هذه الأمة ذخرا لا يقوم بمال ،ولا اضطلع هذا الجيل بعمل يباهي به جميع الأجيال ،وليتمخض لنا ربع قرن عن تفسير يكون حجة هذا القرن على القرون الآتية.

---

[1]- ينظر عبد الحميد بن باديس مفسرا :حسن عبد الرحمان سلوادي.ص. 62

[2]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج.1.ص.12

[3]- عبد الحميد بن باديس مفسرا :حسن عبد الرحمان سلوادي.ص. 63

[4]- ينظر الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر (عبد الحميد بن باديس):محمد طهاري .دار النعمان .برج الكيفان الجزائر .د.ط.د.ت.ص.26-27

ومن قرأ تلك النماذج القليلة المذكورة في الشهاب باسم مجالس التذكير ،علم أي علم ضاع ،وأي كنز غطى عليه الإهمال "[1].

- ومما ينبغي الإشارة إليه أنه يوجد اختلاف في أسلوب ابن باديس التفسيري بين المشافهة والكتابة في الشهاب.

يقول الشيخ أحمد حماني :" كان له في كل منها أسلوب وطريقة ،يحس بذلك كل من استمع إليه يلقيه ارتجالا أو قرآه مكتوبا بقلمه ،ومن جمع بينهما سماعا وقراءة يتيقن أنه في الدرس الملقى أبلغ منه وأعظم تأثيرا منه في المكتوب والمقروء وإن كان فيه موفقا عظيم التوفيق "

- ✓ وقد تصدى السيد أحمد بو شمال عضد الإمام المفسر وصفيه ،وكاتبه والمؤتمن على أسراره لهذه المجالس العامرة وجردها من مجلة الشهاب ،ونشرها كتابا مستقلا تحت عنوان "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير " ،قياما بحق الوفاء للإمام ابن باديس وإحياء لذكراه بأشرف أثر من آثاره .[2]

فجاء هذا الكتاب ورغم صغر حجمه تحفة فنية صغيرة ،لكنها عالية القدر ،يتمنى قارئه لو أن الأستاذ الإمام أتم تفسير القرآن كله كتابة ،كما أتمه درسا بتلك الطريقة وبذلك التحليل.

- ✓ ثم أعاد نشر هذه الافتتاحيات وأضاف إليها إضافات هامة ،وعلق عليها الأستاذان محمد الصالح رمضان ومحمد توفيق شاهين سنة 1964 م ،وتحتوي هذه الدروس على تفسير آيات متفرقة من سور مختلفة وهي:

الإسراء (31 آية) ،الفرقان(528 آية) ، النمل (12آية) ،يس (08 آيات)،النحل (أية واحدة) ، الذاريات (أية واحدة) ،الأنبياء (أية واحدة) ، الحج (أية واحدة) ،يوسف (أية واحدة) ، المائدة (آيتين) ، النور (آيتين)، مريم (أية واحدة) ،طه (أية واحدة) ،المؤمنون (أية واحدة)، وأخيرا المعوذتين بصورة كاملة وهو التفسير الذي سمعه وسجله الشيخ البشير الإبراهيمي من درس الختم [3].

- ✓ ثم قامت وزارة الشؤون الدينية في الجزائر بطبعه مرة أخرى سنة 1983م ،تم خرجت إلى الوجود طبعة جديدة وهي للدكتور عمار طالبي في الجزء الأول من كتابه " ابن باديس حياته وآثاره " ،صدرت الطبعة الأولى منه سنة 1968م والطبعة الثانية سنة 1983م.

---

[1]– عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره.ت :عمار طالبي .ج.2.ص 150

[2]– ينظر مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج.1. من مقدمة البشير الإبراهيمي . ص 14

[3]– عبد الحميد بن باديس مفسرا :حسن عبد الرحمان سلوادي.ص 64

- ✓ وتوجد طبعة أخرى لتفسير الشيخ عبد الحميد بن باديس بعنوان " تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير" ،طبعته دار الفكر والذي تميز بوجود مقدمة للأستاذ محمد البهي وزير أوقاف وشؤون الأزهر سابقا ،وكلمة الطبعة الأولى للأستاذين توفيق محمد شاهين ومحمد الصالح رمضان سنة 1964م ، تليهما كلمة الطبعة الثانية لهما أيضا سنة 1971م ،بعدها مقدمة للشيخ الإبراهيمي ،وتميزت هذه النسخة عن النسخ السابقة بنوع من التنظيم والمنهجية .
- ✓ كما نشرته دار الكتب العلمية ببيروت سنة 1416هـ/ 1995م وعلق عليها وخرج آياتها وأحاديثها "أحمد شمس الدين" [1].
- ✓ والنسخة التي بين أيدينا والتي سنعتمد عليها في بحثنا هذا هي طبعة" دار الرشيد- الجزائر" ،علق عليها وخرج آياتها وأحاديثها "أبو عبد الرحمان محمود".

وتتألف من جزأين وتتميز هذه النسخة باحتوائها على تصدير وتقديم بقلم الشيخ البشير الإبراهيمي ، ومقدمة للتحقيق بقلم المحقق أبو عبد الرحمان محمود ،كما تحتوى على ترجمة موجزة للشيخ عبد الحميد بن باديس، وهي طبعة مرتبة وجيدة الإخراج .

- إذن فقد ظهر تفسير ابن باديس قي عدة طبعات وأشكال ،وهو من حيث الحجم لا يمثل عملا ضخما موسعا، ولكنه من حيث القيمة يظهر عظيما ،ويرجع ذلك إلى اهتمام ابن باديس بالربط بين معاني القرآن والحياة المعاصرة والدعوة للنهضة والأخذ بأسباب الحياة.

فتفسيره ليس لفظيا قائما على بيان اللغة والأدبيات القرآنية ،ولا على ما ورد في القرآن من آثار وأخبار ومواعظ ،وإنما هو تفسير لهداية المسلمين المعاصرين إلى ما قي القرآن من حث على العمل والنهوض والاستعداد للتقدم والحياة المثلى في الدنيا والآخرة .

وظهر ابن باديس في تفسيره هذا بسيره على منهج السلف الصالح, متمسكا بالمذهب المالكي ،ولم يسر فيه على الطريقة التقليدية -أي كان تفسيره منتظما شاملا- ولكنه اقتصر فيه على أجزاء متفرقة ،فهو تفسير جزئي اتخذ من القرآن وسيلة لتوضيح الأفكار المعاصرة من أجل بناء مجتمع إسلامي في نطاق المدنية الإسلامية المتلائمة مع روح العصر[2].

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. .ج.1. من مقدمة التحقيق .ص 32

[2]- ينظر تاريخ الجزائر الثقافي :أبو القاسم سعد الله. .ج7.ص 20-22

وهكذا فإن تفسير ابن باديس يعد مصدرا أساسيا للفكر الإصلاحي في الجزائر ،ولذلك يحتفظ هذا التفسير بقيمته الخاصة رغم ما قد يوجه إليه من نقذ أحيانا.

المطلب الثاني :منهجه ومصادره في التفسير

الفرع الأول: منهجه في التفسير

يقول الشيخ الإبراهيمي واصفا لنا أسلوب الشيخ ابن باديس في التفسير :" أسلوب سلقي الترعة والمادة ، عصري الأسلوب والمرمى يستمد من آيات القرآن وأسرارها أكثر مما يستمد من التفاسير وأسفارها"[1].

وأسلوبه كذلك سهل ممتنع ،يمتاز بالسلاسة والعذوبة ،والسهولة ،لا يبحث فيه صاحبه عن الكلمات البراقة والمحسنات البديعية ،ولا يتكلف الربط بين الأفكار بل إنها تنساب قي يسر وسهولة ،كما يمتاز كذلك بالإيجاز والتركيز وقوة العبارة ،وقصر الجمل وعمق المعاني ،وهذه المزايا تتاح لما استوعبته قريحته من أمهات كتب التراث التي درسها ودرسها،ككتاب الأمالي وديوان الحماسة، وديوان المتنبي، ودلائل الإعجاز،وأسرار البلاغة وغيرها، وكما تأثر أسلوبه أيضا بالقرآن الكريم الذي كان دائم التلاوة والدراسة له[2].

يقول الشيخ البشير الإبراهيمي أسلوب :" كان للأخ الصديق ابن باديس رحمه الله ذوق خاص في فهم القرآن كأنه حاسة زائدة خص بها يوقده – بعد الذكاء المشرق القريحة الوقادة والبصيرة النافذة- بيان ناصع ، واطلاع واسع ،ودرع فسيح في العلوم النفسية و الكونية، وباع مديد في علم الاجتماع ورأي سديد في عوارضه وأمراضه يمد ذلك كله بشجاعة في القول لم يرزقهما إلا الأفداد المعدودون في البشر،وله في القرآن رأي بنى عليه كل أعماله في العلم والإصلاح والتربية والتعليم، وهو أنه لا فلاح للمسلمين إلا بالرجوع إلى هديه والاستقامة على طريقته، وهو رأي الهداة المصلحين من قبله" [3].

- ✓ أما فيما يخص منهجه في التفسير فقد بين لنا الشيخ ابن باديس منهجه وذلك في خطبته التي افتتح بها درسا من دروس التفسير بقوله :"أما بعد فقد عدنا والحمد لله تعالى إلى مجالس التذكير من دروس التفسير نقطف أزهارها، ونجني ثمارها بيسر من الله وتيسير، على عادتنا في تفسير الألفاظ بأرجح معانيها اللغوية،وحمل

---

[1]– عبد الحميد بن باديس مفسرا :حسن عبد الرحمان سلوادي.ص 50

[2]– المرجع نفسه.ص 50-51

[3]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود .ج.1. من مقدمة البشير الإبراهيمي .ص 11

التراكيب على أبلغ أساليبها البيانية ، وربط الآيات بوجوه المناسبات،معتمدين في ذلك على صحيح المنقول وسديد المعقول،مما جلاه أئمة السلف المتقدمون أو غاص فيه أئمة الخلق المتأخرون رحمة الله عليهم أجمعين[1].

✓ ويمكن أن نلخص الخطوات التي يتبعها ابن باديس عند تفسيره للآيات القرآنية في النقاط التالية:

1- تمهيد يضع القارئ في جو النص القرآني المراد تفسيره، ثم يبين مناسبة الآية لما قبلها أو يذكر قضية لها صلة بموضوع الآيات، ويذكر سبب النزول إن وجد.

2- و يتحدث الشيخ بعد ذلك عن معاني المفردات القرآنية والتراكيب اللغوية والنحوية، وشرحها شرحا يساعد القارئ على فهم مضمون النص بيسر ووضوح.

3- وبعد التمهيد وشرح المفردات وتحليل التراكيب يبين المعنى الذي يمثل موضوع التفسير بإيجاز غير مخل،في بضعة أسطر يوضح فيها المعنى المراد،دون أن يدخل في التفصيلات وقد يذكر أكثر من معنى وقد يرجح بينها .

4- يستخرج بعد ذلك ما في الآية أو الآيات من حقائق كونية ،اجتماعية ،خلقية ،نفسية ، سياسية،اقتصادية ،تاريخية وتشريعية مبينا ومفصلا ما يحتاج إلى تفصيل[2].

واعتمد ابن باديس خلال تفسيره القرآن على القواعد الآتية :

1- تفسير القرآن بالقرآن.

2- تفسير القرآن بالسنة.

3- تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

4- تفسير القرآن بالسيرة النبوية.

5- تفسير القرآن بالقصص القرآني.

6- تفسير القرآن بمقتضى الحال .

7- تفسير القرآن بالعلوم الحديثة.

8- تفسير القرآن بناءا على الأحداث السياسية والاجتماعية [3].

---

[1]- المرجع نفسه.ج.1.،.ص 92 -93

[2]- ينظر المفسرون مدارسهم ومناهجهم :فضل حسن عباس .دار النقاش .الأردن .ط.1(1426هـ/2007م) .ص 601-609

[3]- مناهج المفسرين في العصر الحديث بين النظرية والتطبيق :منصور كافي ،دار العلوم للشر.عنابة .ص 159

الفرع الثاني : مصادره في التفسير

أما من حيث المصادر التي اعتمد عليها فإن ابن باديس يقرر بنفسه هذه المصادر بعدما أبان منهجه بقوله:"وعمدتنا فيما نرجع إليه من كتب الأئمة تفسير" بن جرير الطبري" الذي يمتاز بالتفاسير النقلية السلفية، وبأسلوبه الترسلي البليغ في بيان معنى الآية القرآنية وترجيحاته لأولى الأقوال عنده بالصواب .

وتفسير" الكشاف" الذي يمتاز بذوقه البياني في الأسلوب القرآني وتطبيقه فنون البلاغة على آيات الكتاب والتنظير لها بكلام العرب ،واستعمالها في أفانين الكلام .

وتفسير " أبي حيان الأندلسي" الذي يمتاز بتحقيقاته النحوية واللغوية وتوجيهه للقراءة .

وتفسير "الرازي " الذي يمتاز ببحوثه في العلوم الكونية ،مما يتعلق بالجماد والنبات والحيوان والإنسان ،وفي العلوم الكلامية ومقالات الفرق والمناظرة والحجاج .

إلى غير هذا مما لا بد من مراجعته من كتب التفسير والحديث وغيرها مما يقتضيه المقام"[1].

- ✓ ويقرر في مواضع أخرى من تفسيره أنه يستند أولا وقبل كل شيء إلى كتاب الله عز وجل وإلى ما صح من بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وبيان السلف الصالح من الصحابة والتابعيين ،ومن العبارات التي كان يرددها كثيرا في هذا المجال .

  قوله :"وما أكثر ما نجد في القرآن بيان القرآن "[2].

  وقوله :"وما أحسن التفسير عندما تعضده الأحاديث الصحاح"[3].

- ✓ ويظهر أيضا من خلال تفسيره تأثره بأبي بكر بن العربي الإشبيلي الأندلسي في كتابه " العواصم والقواصم" والذي شغف به واستنسخه بنفسه من مخطوط استعاره من جامعة الزيتونة بتونس ،ثم قام بتحقيقه ونشره، ويبدو هذا التأثر واضحا وخاصة فيما يتعلق بمنهج بن العربي في دراسة العقائد الإسلامية والاستدلال عليها بالقرآن الكريم والحديث النبوي .

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. .ج1.ص 92

[2]- المرجع نقسه .ص.ج 2 .ص 17

[3]- المرجع نقسه .ص.ج 2.ص 69

وقد استعان ابن باديس كذلك بعشرات المؤلفات والتصانيف مما جلاه أئمة السلف المتقدمون أو غاص عليه علماء الخلف المتأخرون ،وذلك بعد عرضها على قلبه وعقله ،فما أعجبه منها أقره وما لم يطمئن إليه نبذه وأعرض عنه [1].

ومن خلال ما تقدم يتضح لنا أن القرآن الكريم والسنة النبوية هما المصدران الأساسيان اللذان كان ابن باديس يعتمد عليهما في تفسيره، إضافة إلى باقي المؤلفات و التصانيف ،مما يجعل تفسيره كما وصفه الشيخ الإبراهيمي سلفي النزعة والمادة ،عصري الأسلوب والمرمى يستمد من آيات القرآن وأسرارها أكثر مما يستمد من التفاسير وأسفافرها.

المطلب الثالث : الخصائص ذات الغرض الإصلاحي في تفسير ابن باديس

يمتاز تفسير ابن باديس بخصائص ذات غرض إصلاحي مثل خاصية التحذير ،خاصية التوجيه ،خاصية الإقتداء، خاصية التعليم وغيرها .

وهذه الخصائص تبدو واضحة جلية في تفسيره ،حيث أن ابن باديس كان يرشد إليها بواسطة عناوين فرعية جزئية مثل : ترغيب، التحذير ، أدب واقتداء وغيرها ،وهذه الخصائص تعد أدوات منهجية يحرك بها ابن باديس اتجاهه الإصلاحي في تفسير كتاب الله.

وسأقوم بذكر بعض هذه الخصائص مع ذكر أمثلة موضحة لكل خاصية منها من تفسير مجالس التذكير .

الفرع الأول : خاصية تنزيل النص القرآني على قضايا المجتمع

وهي خاصية اقتضتها طبيعة التفسير الإصلاحي الاجتماعي عند الشيخ ابن باديس ،فمنطلقه من الواقع المعيش لدى الشعب الجزائري والإسلامي ومعالجة أزماته وأمراضه .

[1]– عبد الحميد بن باديس مفسرا :حسن عبد الرحمان سلوادي.ص. 66

وقد طبق ابن باديس هذه الخاصية في مواضع كثيرة من تفسيره ،فكلما عرضت له قضية من قضايا المجتمع : دينية، أخلاقية ،اجتماعية أو سياسية ،يشخص أمراض المجتمع تشخيصا دقيقا من خلال النص المناسب لتلك القضية، ثم يقوم بوصف الدواء المناسب لها من خلال النص القرآني .

وتظهر براعة ابن باديس في هذه الخاصية في جعل المتلقي يشعر وكأن النص يعنيه هو بذاته ،يتأثر به ويستدعي اهتمامه أكثر ويقوم بتطبيق ما أمر به .

وقد اخترت نموذجا تطبيقيا لهذه الخاصية من تفسير ابن باديس وهو :

النموذج المختار :

فتحت عنوان "دعاء غير الله :من دعا غير الله فقد عبد ما دعاه وهو في عبادته من الخاسرين "،فسر ابن باديس قوله تعالى :{ **قُلِ ادعُوا الَّذينَ زَعَمتُم مِن دونِهِ فَلا يَملِكونَ كَشفَ الضُّرِّ عَنكُم وَلا تَحويلًا ﴿٥٦﴾**} الإسراء: 56

فبعد أن شرح ابن باديس مفردات هذه الآية وتراكيبها انتقل إلى المعنى الإجمالي لها حيث يقول :"قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك اللذين اتخذوا آلهة من دون الله فعبدوها: أدعوا معبوداتكم هذه التي زعمتموها آلهة من دون الله عندما يترل بكم الضر ،وانظروا هل تستطيع تلك المعبودات الباطلة أن تكشف وتزيل عنكم ذلك أو أن تحوله عنكم إلى غيركم ،فإنكم تجدونها عاجزة عن ذلك ،غير قادرة على شيء منه ،وإنما يقدر على ذلك الإله الحق ،وهو الله الذي خلقها وخلقكم ،فاعبدوه هو وادعوه هو ،وأقلعوا عن عبادة ودعاء ما سواه "[1].

ثم انتقل ابن باديس ذكر الأحكام الواردة في هذه الآية ،والاستنتاج الذي استنتجه منها ،ثم وتحت عنوان "تطبيق" يقول :" إذا علمت هذه الأحكام انظر إلى حالتنا معشر المسلمين الجزائريين وغير الجزائريين،تجد السواد الأعظم من عامتنا غارقا في هذا الضلال ،فتراهم يدعون من يعتقدون فيهم الصلاح من الأحياء والأموات يسألونهم حوائجهم من دفع الضر وجلب النفع وتيسير الرزق ،وإعطاء النسل ،وإنزال الغيث ،وغير ذلك مما يسألون، ويذهبون إلى الأضرحة التي شيدت عليها القباب ،أو ظلمت بها المساجد ،فيدعون من فيها،ويدقون قبورهم،وينذرون لهم ،ويستثيرون حميتهم بأنهم خدامهم وأتباعهم فكيف يتركونهم ، ويهددونهم بقطع الزيارة، وحبس النذور ،وتراهم هنالك في ذل وخشوع وتوجه قد لا يكون في صلاة من يصلي منهم .

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج1. .ص 294-295

فأعمالهم هذه من دعائهم وتوجههم كلها عبادة لأولئك المدعوين وإن لم يعتقدوها عبادة ،إذ العبرة باعتبار الشرع لا باعتبارهم .

فيا خسرتنا على أنفسنا ؟ كيف لبسنا الدين لباسا مقلوبا حتى أصبحنا في هذه الحالة السيئة من الضلال ؟"[1].

فابن باديس في هذا المقام بعد أن بين معنى الآية وجد تشابها بين عمل المشركين في عصر النبوة واللذين اتخذوا من دون الله آلهة فعبدوها ، وعمل المسلمين الجزائريين وغير الجزائريين في عصر ابن باديس،واللذين يدعون من يعتقدون فيهم الضر والنفع من الأحياء والأموات .

فكلا الظاهرتين متشابهتين وهي عبادة غير الله واعتقاد النفع والضر في غير الله تعالى ،رأى أن هذا النص مناسب لهذا المرض السائد في المجتمع الجزائري فعرضه على النص القرآني ودعا الناس إلى اجتنابه وبين ما يترتب عنه من عقاب عند الله تعالى وذلك من خلال عنوان فرعي آخر "تحذير وإرشاد" حيث يقول تحته:"فليحذر قراؤنا من أن يتوجهوا بشيء من دعائهم لغير الله وليحذّروا غيرهم منه ،ولينشروا هذه الحقائق بين إخوانهم المسلمين بما استطاعوا عسى أن يتنبه الغافل ،ويتعلم الجاهل ،ويقلع الضالون عن ضلالهم ،ولو بطريق التدريب، وبذلك يكون قراؤنا قد أدوا أمانة العلم وقاموا بفريضة النصح وخدموا الإسلام والمسلمين" [2].

الفرع الثاني : خاصية الإرشاد

تظهر هذه الخاصية في تفسير ابن باديس بشكل واضح وذلك في شكل عناوين جزئية مثل :إرشاد ، إرشاد وتحذير، أمر وإرشاد وغيرها .

والهدف من هذه الخاصية إرشاد الناس وتوعيتهم وبيان سبيل الهداية في كل مجالات الحياة الدينية والأخلاقية والاجتماعية في شكل نصائح وتوجيهات بأسلوب بسيط يفهمه الجميع من أجل الاستفادة،وخدمة لغرضه التفسيري الإصلاحي الاجتماعي .

وهذه بعض النماذج التطبيقية على هذه الخاصية في تفسير ابن باديس.

النموذج الأول :

---

[1]- المرجع نفسه .ص 298

[2]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. .ج 1..ص 299

تحت عنوان" من وعد الله للصالحين "،يفسر ابن باديس قوله تعالى : { **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾** } الأنبياء :105.

وتحت عنوان فرعي "موعظة وإرشاد " يقول ابن باديس :" فعلى الأمم التي تريد أن تنال حظها من هذا الوعد أن تصلح أنفسها الصلاح الذي بينه القرآن، فأما إذا لم يكن لها حظ من ذلك الإصلاح ،فلا حظّ لها من هذا الوعد و إن دانت للإسلام .

ولله سنن نافذة بمقتضى حكمته ومشيئته في ملك الأرض وسيادة الأمم ،يأتي الملك من يشاء، ويترع الملك ممن يشاء ،ويعز من يشاء،ويذل من يشاء .

من أخذ بنوع من تلك السنن بلغت به وبلغ بها إلى ما قدر له من عز وذل ،وسعادة وشقاء، وشدة ورخاء، وكل محاولة لصدها عن غايتها – وهو آخذ بها – مقضي عليها بالفشل ،سنة الله ،ومن ذا يبدلها أو يحولها ؟ { **وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّـهِ تَبْدِيلًا** }الأحزاب : 62، الفتح: 23 ،{ **وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّـهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾** } فاطر:43 ، ثم { **لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذا جاءَ أَجَلُهُم فَلا يَستَأخِرونَ ساعَةً وَلا يَستَقدِمونَ ﴿٤٩﴾** } يونس:49"[1].

من خلال هذا النص يتبن لنا أن ابن باديس أرشد الأمة الإسلامية عامة والأمة الجزائرية خاصة إلى كيفية وراثة الأرض ،وهي إصلاح نفسها الصلاح الذي بينه الله تعالى في القرآن الكريم ،و أنها لن يكون لها نصيب من هذا الوعد إذا لم يكن لها حظ من هذا الإصلاح ،وأن هذه سنة من سنن الله لا تتبدل ولا تتغير.

النموذج الثاني :

وعند تفسير ابن باديس لقوله تعالى :{ **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾**} الفرقان 27-29.

يقول تحت عنوان " إرشاد " :"لما كان خليل المرء بهذه المنزلة فعليك أن تختار من تخال فلا تخال إلا من حسنت سريرته واستقامة سيرته ،وغلب الصواب على أقواله وأعماله ،ليكون دليلك إلى الخير وسائقك إليه، مع محافظتك على إرادتك وتميزك معه على كل حال "[2].

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. .ج.1 .ص 400-401

[2]- المرجع نفسه .ج.2 .ص 40

يتضح لنا من خلال هذا النص أن ابن باديس أرشد الناس ونبههم إلى منزلة خليل المرء ،وأنه يجب على الإنسان أن يختار من يخالل ،ثم بين لهم ونبههم إلى صفات الخليل الزكي الصادق الذي يجب أن يصاحبه المرء ، وهو من حسنت سريرته واستقامة سيرته ،وغلب الصواب على أقواله وأعماله .

✓ و لم يقف ابن باديس عند هذا الحد بل بين العلامة التي يمكن أن نميز بها بين أخلاء السوء وأخلاء الخير .

فيواصل قائلا تحت عنوان "علامة " : "إذا أردت أن تعرف شر خلانك ،وأحقهم بهجرك له وابتعادك عنه ، فانظر فيما يرغبك هو فيه وما يرغبك عنه .

فإذا وجدته يرغبك عن القرآن وعما جاء به القرآن ،فإياك وإياه فتلك أصدق علامة على خبثه وسوء عاقبة قربه، فابتعد عنه في الدنيا قبل أن تعض على يديك على صحبته في الأخرى.

وإذا وجدته يرغبك في القرآن وما جاء به القرآن، فذلك الخليل الزكي الصادق ،فاستمسك به وحافظ عليه .

وإن خلّة أسّست على الرجوع إلى القرآن ،والتحابّ على القرآن ،والتناصح بالقرآن لخلة نافعة دنيا وأخرى ، لأنها أسست على أساس التقوى ،وقد قال الله تعالى :{ **الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴿٦٧﴾** } الزخرف: 67"[1].

وغيرها من الأمثلة الكثيرة [2] في تفسير ابن باديس والتي تدل على تطبيقه لهذه الخاصية

الفرع الثالث : خاصية الإقتداء

إن وجود القدوة الصالحة أمام الإنسان من أكبر العون له على أن يسلك في حياته وفي تعاملاته أحسن أنواع السلوك وأنبل أنواع الأخلاق ،إذ كثيرا ما تعتري الإنسان ظروف تجعله ينسى أو يتناسى السلوك الحسن والخلق الجميل ليواجه موقفا مضادا ليس بحسن ولا جميل ،فإذا وجد الإنسان – في هذه الظروف- أمامه القدوة الصالحة التي يتمثلها ويقتدي بها سهل عليه إتباع السلوك الراشد الحميد [3].

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج.1.ص 41

[2]- ينظر مجالس التذكير .ج 1.ص.210-425،وانظر .ج 2.ص 137-164-186-203-231-297-320

[3]- ينظر سلسلة مفردات التربية الإسلامية (التربية الخلقية) :علي عبد الحليم محمود .دار التوزيع والنشر الإسلامية. مصر. ط.1(1415هـ/1995م). ج 2.ص 59

وتعد التربية بالقدوة إحدى أهم أساليب التربية ،ولهذا نجد ابن باديس كان حريصا على إعطاء نماذج للإقتداء بها أثناء تفسيره للقران الكريم ،مبينا أخلاق ومحاسن المقتدى بهم ،أو أعمالهم ،سواء كان هذا المقتدى به رسولا أو أحد الشخصيات التاريخية صحابة كانوا أو علماء .

يقول ابن باديس في مقدمة كتابه " رجال السلف ونساؤه" :" هذا باب جديد فتحناه في الشهاب أردنا منه أن يطلع القراء على تراجم بعض رجالنا ونساؤنا من سلفنا الصالح ،وما لهم من صفات اكتسبوها من الإسلام، وما كان منهم من أعمال في سبيله ،ففي ذلك ما يثبت القلوب ويعين على التهذيب ،ويبعث على القدوة وينفخ روح الحياة ،وما جيء سلف إلا بحياة سلف ،وما حياة السلف إلا بحياة تاريخهم ودوام ذكرهم ، ولسنا هنا لتتبع الأخبار واستيعاب الحوادث ،وإنا نقتصر على ما يحّصل أصل القصد...."[1]

وتظهر خاصية الإقتداء واضحة جلية في تفسير ابن باديس من خلال تلك العنوانين الجزئية في تفسيره مثل : أدب وإقتداء ،إقتداء ،اهتداء و إقتداء ، إقتداء وتأسي ....

وسأذكر نموذجين تطبيقيين لهذه الخاصية للتوضيح أكثر.

النموذج الأول :

يقول ابن باديس عند تفسيره لقوله تعالى:{ **وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴿٣٣﴾**} الفرقان:33 ، تحت عنوان فرعي "إقتداء" لنقتدي بالقرآن فيما نأتي به من كلام في مقام الحجاج أو مقام الإرشاد ،فلنتوخى دائما الحق الثابت بالبرهان أو بالعيان ، ولنفسره أحسن التفسير ،ولنشرحه أكمل الشرح ، ولنقربه إلى الأذهان غاية التقريب وهذا يستدعي صحة الإدراك ،وجودة الفهم ،ومتانة العلم ،لتصور الحق ومعرفته، ويستدعي حسن البيان ،وعلوم اللسان ،لتصوير الحق وتجليته والدفاع عنه .

فللإقتداء بالقرآن في الإتيان بالحق وأحسن بيان ،علينا أن نحصل هذه كلها ونتدرب فيها ونتمرن عليها حتى نبلغ إلى ما قدر لنا منها ،هذا ما على أهل الدعوة والإرشاد وخدمة الإسلام والقرآن.

---

[1]– رجال السلف ونسائه :عبد الحميد بن باديس .ت :محمد الصالح رمضان وتوفيق محمد شاهين .الشركة الجزائرية. الجزائر.د.ط.د.ت.ص 8-9

فأما ما على عموم المسلمين من هدا الإقتداء :فهو دوام القصد إلى الإتيان بالحق وبدل الجهد في التعبير بأحسن لفظ وأقربه ،ومن أخلص قصده في شيء وجعله من وكده (دأبه و قصده) أعين – بإذن الله تعالى– عليه"[1].

فابن باديس هنا أعطى نموذجا للإقتداء به وهو القرآن الكريم ومنهجه في إظهار الحق بالحجاج والبرهان ، ويدل على هذا تصريحه بفعل الإقتداء في قوله :" لنقتدي بالقرآن.."

فبعدما بين ابن باديس منهج القرآن بالحجاج والبراهين ،دعا أهل الدعوة باتخاذه أسلوبا قي دعوتهم إلى الله ولا يكون هذا إلا بصحة الإدراك وجودة الفهم ومتانة العلم .

ثم بين لعموم الناس ما يجب عليهم من هذا الإقتداء ،فبين لهم أنه يكون بدوام القصد في الإتيان بالحق وبدل الجهد في التعبير بأحسن لفظ وأقربه .

النموذج الثاني :

فسر ابن باديس قوله تعالى :{ **فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴿٢٢﴾**} النمل :28 ،فذكر أولا كعادته الألفاظ والتراكيب الواردة في الآية ثم انتقل لبيان معناها ،ثم ذكر عدة عناوين جزئية استنبطها من هذه الآية :توجيه ، استنباط ، عزة العلم وسلطانه ،مدرك عقيدة، تحقيق تاريخي.

وتحت عنوان فرعي آخر " أدب وإقتداء" يقول ابن باديس :" قد سمع سليمان هذا من الهدهد وأقرّه عليه، فلصغير أن يقول للكبير وللحقير أن يقول للجليل :علمت ما لم تعلم ،وعندي ما ليس عندك ،إذا كان من ذلك على يقين وكان لقصد صحيح .

ومن أدب من قيل له ذلك ولو كان كبيرا جليلا ،أن يقبل ذلك ، ولا يبادر بردّه ،وعليه أن ينظر فيه ليعرف مقدار صدق قائله فيقبله أو يردّه بعد النظر والتأمل ، إذ قد يكون في أصغر مخلوقات الله وأحقرها من يحيط علما بما لم يحط مثل سليمان عليه الصلاة والسلام في علمه وحكمته واتساع مدركاته وكفى بمثل هذا زاجرا لكل ذي علم عن الإعجاب بعلمه ،و الاغترار بسعة اطّلاعه ،والترفع عن الاستفادة ممن دونه "[2].

---

[1]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود .ج 2 .ص 63

[2]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج 2 .ص 234

جاءت خاصية الإقتداء في هذا النموذج مقترنة بلفظ "أدب" و لم تأتي مفردة ، وبين ابن باديس هنا أدب نبينا سليمان عليه الصلاة والسلام وهو ومن هو في سماع ذلك الطائر الصغير " الهدهد"في مملكته العظيمة ،فأعطى لنا ابن باديس نموذجا للإقتداء به وهو" فعل سيدنا سليمان " ،وبين حسن فعله هذا ليقتدى به.

و لم يصرح ابن باديس هنا بفعل الإقتداء مباشرة ولكن يستخلص ذلك من كلامه ومن عنونته " أدب وإقتداء"، فبين أنه من حق الصغير الحقير أن يقول للجليل الكبير أنه علم ما لم يعلم به هو ،وبين أن من أدب الكبير أن يتقبل ذلك ممن هو أقل منه درجة إقتداء بفعل سيدنا سليمان عليه السلام.

وتفسير ابن باديس مليء بنماذج كثيرة لتطبيقه لهذه الخاصية لا يسعنا المقام لذكرها كلها ولكن تكتفي بالإحالة إليها [1].

الفرع الرابع : خاصية التعليم

ابن باديس من خلال تفسيره للقرآن كان في مقام تعليم وتلقين المتلقين باعتباره مفسرا معلما فجاء تفسيره متصفا بهذه الخاصية "خاصية التعليم" والتي تتناسب مع طبيعة تفسيره الإصلاحي الاجتماعي.

وهذه الخاصية تبدو جلية في تفسير ابن باديس حيث جاءت عناوين فرعية كثيرة بمسمى :تعليم ،كما جاءت كذلك مقترنة بألفاظ أخرى مثل عبرة وتعليم ، تعليم وقدوة.....

كما ظهرت هذه الخاصية كذلك تحت عناوين أخرى كان قصد ابن باديس منها تعليم الناس أمور دينهم ودنياهم مثل فقه شرعي ،سلوك ،فقه قرآني ،عقيدة ،سبيل النجاة ، أحكام وغيرها.

وانتقل الآن إلى الجانب التطبيقي مع نموذجين من تفسير ابن باديس لبيان هذه الخاصية فيه

النموذج الأول :

تحت عنوان فرعي "تعليم " وعند تفسير ابن باديس لقوله تعالى :{ **لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴿٧﴾} يس :07 ، يقول :" أرأيت كيف أن الله تعالى لم يجاز الخلق على مقتضى علمه فيهم وهو العلم الذي لا يتخلف ،وإنما جعل جزاؤهم على أعمالهم ،فهذا تعليم لنا كيف تكون معاملتنا بعضنا لبعض ، فلا نجازي على مجرد الظن بل ولا على مجرد اليقين ،وإنما تكون المجازاة بعد صدور الأعمال .

---

[1]- ينظر مجالس التذكير .ج.1.ص.108-136-140-145 ،وينظر ج 2.ص 32-50-62-72-173-197-210-275-277

فرّب شخص قدّرت فيه الخير أو الشر ففعل ضدّ ما قدرت ،فلو جازيته قبل الفعل لما طابق جزاؤك موضعه ولا نال كل ما لا يستحقه ،فالحكمة والعدل والمصلحة في ربط المجازاة بالأعمال ،وهذا ما كان من الله في مجازاة خلقه، وهذا ما ينبغي أن نربط به المجازاة بيننا "[1].

فالملاحظ من خلال هذا النص أن ابن باديس كان في مقام المفسر المعلم حيث أنه علمنا كيفية التعامل مع بعضنا البعض لا تكون هذه الأخيرة مبنية على مجرد الظن ولا على مجرد اليقين ،وإنما تكون بعد صدور الأفعال، فالمجازاة ترتبط بالأعمال .

وقد صرح ابن باديس بفعل التعلم بقوله :"فهذا تعليم لنا ...."،وهذا دليل على قصده تعليم السامع كيفية المجازاة على الأعمال .

النموذج الثاني

وتحت عنوان فرعي آخر" فقه قرآني" وعند تفسير ابن باديس لقوله تعالى :{ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا** ﴿٦٢﴾الفرقان 62 ،يقول :" حياة الإنسان من بدايتها إلى نهايتها مبنية على هذه الأركان الثلاثة الإرادة،و الفكر،و العمل، وهي المذكورات في هذه الآية ،لأن التذكر بالتفكر، والشكر بالعمل ؛فاستفادة الإنسان مما خلقه الله له وجعله لأجله لا تكون إلا بهذه الثلاثة.

وهذه الثلاثة متوقفة على ثلاثة أخرى لابد للإنسان منها : الفعل متوقف على البدن ،والفكر متوقف على العقل، والإرادة متوقفة على الخلق.

فالتفكير الصحيح من العقل الصحيح ،والإرادة القوية من الخلق المتين ،والعلم المقيد من البدن السليم .

فلهذا كان الإنسان مأمورا بالمحافظة على هذه الثلاثة :عقله وخلقه وبدنه ، ودفع المضار عنها ،فيثقف عقله بالعلم، ويقوم أخلاقه بالسلوك النبوي ،ويقوي بدنه بتنظيم الغذاء وتوقي الأذى والتريض على العمل "[2].

علم ابن باديس السامعين من خلال هذا النص أن حياة الإنسان مبنية على ثلاثة أركان : الإرادة والفكر والعمل، وأن هذه الأركان الثلاثة متوقفة على ثلاثة أخرى :فالعمل متوقف على البدن ،والفكر متوقف على العقل،والإرادة متوقفة على الخلق.

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 2 .ص 289

[2]- المرجع نفسه.. ج 2 .ص 78-79

ثم علمهم كيفية المحافظة على هذه الأمور الثلاثة ،و لم يصرح ابن بادبيس في هذا المثال بفعل التعلم لكن هذا ما يستشف من كلامه فهو في مقام تعليم المستمعين له .

الفرع الخامس : خاصية العبرة

تكررت هذه الخاصية في تفسير ابن باديس عدة مرات ،ووردت كذلك مركبة مثل:عبرة وتحذير ،عبرة وتعليم، للعبرة والقدوة ،وغيرها ،وكان الغرض منها الدعوة إلى الاعتبار واستخلاص الدروس من قصة أو واقعة ما ذكرت في الآية المفسرة ، أو ذكرها ابن باديس في سياق الدرس ،للاستفادة من إيجابياتها والتعلم من سلبياتها .

ومما ينبغي الإشارة إليه أن خاصية الإقتداء يمكن اعتبارها ضمن هذه الخاصية لأن الإنسان إذا اعتبر بموقف أو ظاهرة ما ،فتأثر بها يسارع إلى الإقتداء بها.

وسأذكر نموذجا تطبيقيا لهذه الخاصية من تفسير ابن باديس ثم أتعرض له بالتحليل

النموذج المختار :

ذكر ابن باديس تحت عنوان "للعبرة والقدوة " ما يلي :" قد ألهم الله الحيوانات إلى ما قد يخفى عن بعض العقلاء، ومضى منا كلام عن هذا فيما تقدم من هذه الآيات الكريمة.

وهذا الهدهد بين الهداهد ألهم إلهاما خاصا يقتضيه تخصيصه بهذا الموقف واتصاله بسليمان عليه الصلاة والسلام، وزمن الأنبياء زمن خرق العوائد وظهور الآيات ،وقد كان في حسن بيانه ،وترتيب أخباره ، وبديع تهديه، عبارة بالغة لأولي الألباب .

فقد تحصن بالعلم ،ونوه بالنبأ اليقين ،وفصل النبأ فشرح حاليها الدنيوية والدينية ،وتنقل من تشويق إلى تشويق أبلغ منه ،كان متثبتا فيما أخبر ،بارعا فيما صور ،مستدلا فيما قرر وفيما أنكر ،بصيرا بكيد الشيطان للإنسان، متفطنا لإنبناء الضلالات بعضها على بعض،خبيرا بترتيب الأدلة وحسن الاستنتاج.

وفيما ذكر الله لنا من هذه العبر البالغة من هذا الحيوان الأعجم حث لنا على أن نسلك عندما نخبر ونبين ،أو نبحث وننظر ، أو نستدل ونرتب ونعلل أن نسلك هذا المسلك.

وإذا كان الله تعالى قد بعث غرابا ليتعلم منه ابن آدم كيف يواري سوءة أخيه ،فكذلك ذكر لنا أمر هذا الهدهد الممتاز بين الهداهد لنقتدي به ،تنبيها لنا على أخذ العلم من كل أحد ،والاستفادة من كل مخلوق، والشعور دائما بالنقص للسلامة من شر أدواء الإنسان : العجب والكبر والغرور"[1].

ففي قول ابن باديس :" وفيما ذكر الله لنا من هذه العبر البالغة" تصريح منه بخاصية العبرة ،وكذلك عنونته لهذا النص " للعبرة و القدوة" ، وكان غرضه هنا استخلاص الدروس من قصة الهدهد وتحصنه بالعلم عند سليمان عليه السلام ،وطريقته في شرح النبأ العظيم الذي جاء به من مملكة سبأ ،وذلك للاستفادة من هذه القصة والاعتبار بفعل هذا الطائر الصغير.

الفرع السادس: خاصية الترغيب والترهيب

وهي خاصية تتناسب مع طبيعة التفسير الإصلاحي الاجتماعي فترغيب الناس فيما وعدهم الله به من عظيم أجره وترهيبهم من عظيم عذابه من شانه أن يدفعهم لتطبيق أوامره والكف عن نواهيه .

وجاءت هذه الخاصية في تفسير ابن باديس في عدة مواضع منفصلة عن بعضها البعض يعني خاصية الترغيب وحدها وخاصية الترهيب وحدها ،كما جاءت الخاصيتين مقترنتين في موضع واحد "ترغيب وترهيب"[2].

وسأعطي نموذجين لهذه الخاصية لمزيد من البيان و الشرح.

النموذج الأول :

يقول ابن باديس عند تفسيره لقوله تعالى :{ **وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّـهِ مَتَابًا﴿٧١﴾** } الفرقان:71 ، وتحت عنوان "ترغيب" ما يلي :"دعا الله بهذا عباده المذنبين حتى لا يتسرب القنوط إلى قلوبهم ،وهو محرم عليهم ،ولا يحول بينهم وبين خالقهم ذنب وإن عظم ،ورغبهم في التوبة بأنها رجوع إلى الله وكفى ،وأن الرجوع إليه فيه من الخير والشر فوق ما تصوره الألفاظ فما أحلمه من رب كريم وما أرحمه بعباده المذنبين .

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. .ج 2 .ص 247

[2]- المرجع نفسه.ج.1 .ص 325

فهذا داعي الله فأجيبوه ،وهذا باب الله فلجوه ،فإنكم مهما رجعتم إليه لا تطردوا ،ومهما قصدتم إليه تقبلوا وتكرموا.

اللهم فكما فتحت لنا بابك ،فوفقنا إليه ،وتب علينا لنتوب ،إنك أنت التواب الرحيم "[1].

رغب ابن باديس المذنبين برحمة الله بهم ،ورغبهم في التوبة والرجوع إليه ، وبين ما فيها من الخير والشرف، وخاصية الترغيب واضحة هنا من خلال العنوان الفرعي " ترغيب" وكذلك من خلال كلام ابن باديس والذي صرح فيه بالترغيب في قوله :" ورغبهم في التوبة ....."

النموذج الثاني :

تحت عنوان " ترهيب" يقول ابن باديس :" كل ما دعا إليه الإسلام من عقائد وأخلاق وأعمال ،فهو مما تقبله الفطر السليمة ، وتدركه العقول بالنظر الصحيح ،فمن قابل دعوة الإسلام بالإعراض والعناد وخالف فطرته وعاكس عقله ،كان حقيقا بهذا العقاب الشديد من طمس البصيرة والطبع على القلب .

فذكر الله لنا هذه العقوبة بهذا التمثيل البليغ الذي صورها في أبشع وأفظع صورة ،ليحذرنا من الإعراض عن الحق والعناد له ،ويخوفنا بعاقبة ذلك على أهله "[2].

بين ابن باديس أن كل ما دعا إليه الإسلام هو مما تقبله الفطر السليمة ،وتدركه العقول بالنظر الصحيح ، ثم بين عقوبة الإعراض والعناد لدعوة الإسلام ،وهي العقاب الشديد من طمس للبصيرة وطبع على القلب ترهيبا للسامعين من هذه العقوبة وتحذيرا لهم من الإعراض عن الحق .

الفرع السابع: خاصية التوجيه

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 2.ص 152

[2]- المرجع نفسه.ج 2 ..ص 292

نعني بهذه الخاصية توجيه الأنظار والعقول وتنبيهها لقضايا هامة في حياة المتلقي ،وتقديمها في شكل توجيهات ونصائح ،وتكررت هذه الخاصية كثيرا في تفسير ابن باديس مما يتناسب وطبيعة التفسير الإصلاحي الاجتماعي عنده ، فهو يستغل معطيات الواقع المعيش وتغيراته لإعطاء هذه التوجيهات والنصائح.

وهذه الخاصية بمكان في تفسير ابن باديس فنلاحظها تكررت مرات عدة مفردة وفي مواضع أخرى مركبة مقترنة بخصائص أخرى مثل :توجيه وإرشاد ، توجيه الترتيب ،توجيه واستنباط ، وغيرها .

وكما جرت العادة في دراسة هذه الخصائص اخترت نموذجين تطبيقيين لإثراء هذه الخاصية.

النموذج الأول :

يذكر ابن باديس توجيها في تفسيره لقوله تعالى :{ **وَإِن مِن قَرِيَةٍ إِلّا نَحنُ مُهلِكوها قَبلَ يَومِ القِيامَةِ أَو مُعَذِّبوها عَذابًا شَديدًا كانَ ذلِكَ فِي الكِتابِ مَسطورًا** ﴿٥٨﴾ }الإسراء: 58، حيث يقول:" الطور الأخير للأمم[1] هو الذي ذكر فيه الآيات كثيرا دون الطور الأول[2] والثاني [3].

ووجه ذلك انه هو الطور الذي ينتشر قيه الفساد ،ويعظم فيه الظلم ،وينتهي قيه الإعذار للأمة ،ويحل فيه أجلها، فيتزل بها ما تستحقه ن الهلاك أو العذاب.

فكرر ذكر هذا الطور لزيادة التحذير منه ،والتخويف من سوء عاقبته ، الحث على تدارك الأمر فيه ، بالإقلاع عن الظلم والفساد ،والرجوع إلى طاعة الله ،وإعمال يد الإصلاح في الشؤون ،فيرتفع العذاب بزوال ما كان لتزوله من أسباب....."[4] .

وجه ابن باديس عقول المتلقين إلى قضية مهمة وهي سبب ذكر الطور الثالث للأمم كثيرا في القرآن دون الطور الأول والثاني وذلك لأن الطور الثالث هو الذي ينتشر فيه الفساد ويعظم الظلم فيحل أجل الأمة ،فيه يتزل بها ما تستحق من هلاك وعذاب .

---

[1]–الطور الأخير للأمم :هو ابتداؤها في التقهقر والضعف والانحلال ،إلى أن يحل بها الفناء والاضمحلال ،إما بانقراضها من عالم الوجود وإما باندراسها من عالم السيادة والاستقلال

[2]– الطور الأول :نشأتها،واستجماع قوتها ونشاطها وتقدمها في ميدان الحياة

[3]–الطور الثاني :ابتداء أخذها في التقدم والانتشار وسعة النفوذ ،وقوة السلطان إلى استكمالها قوتها

[4]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. .ج.1 .ص.308-309

ثم وجههم إلى كيفية تجنب هدا الهلاك والعذاب وذلك بالإقلاع عن الظلم والفساد والرجوع إلى طاعة الله سبحانه وتعالى ،وإعمال الإصلاح في جميع الشؤون .

فابن باديس فهم أن واقع الجزائريين في فترة الاستعمار والعذاب الذي هم فيه سببه انتشار الفساد والظلم، فوجه مخاطبيه إلى كيفية التخلص مما هم فيه وذلك بالإقلاع عن الظلم والفساد وإصلاح جميع شؤون حياتهم .

النموذج الثاني :

نأخذها خاصية التوجيه المركبة .

يقول ابن باديس تحت عنوان " توجيه واستنباط" وذلك عند تفسيره لقوله تعالى :{ **لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾**}النمل :21. " ليس في الأمة ما يفهم خصوص نتف الريش من لفظ العذاب الشديد، وإنما فهم بن عباس رضي الله عنه و أئمة من التابعين ذلك بالنظر العقلي والاعتبار،فإن نتف ريشه يعطل خاصية الطيران فيه فيتحول من حياة الطير إلى حياة دواب الأرض ،وذلك نوع من المسخ ،وقد علم أن المسخ في القرآن أشنع عقوبة في الدنيا ،فلهذا فسروا العذاب بنتف الريش.

والإنسان خاصيته التفكير في أفق العلم الواسع الرحيب ،فمن حرم إنسانا –فردا أو جماعة- من العلم ،فقد حرمه من خصوصيته الإنسانية وحوله إلى عيشة العجماوات ،وذلك نوع من المسخ ،فهو عذاب شديد ،وأي عذاب شديد؟ "[1]

انطلق ابن باديس من قصة الهدهد والعذاب الذي توعده به سليمان عليه السلام ،ووجه أنظار الناس وعقولهم إلى قضية خطيرة في المجتمع الجزائري إبان الاستعمار وهي حرمان الناس من العلم والتعلم واعتبر ذلك نوعا من المسخ لأن من حرم إنسانا من العلم فقد حرمه من خصوصيته الإنسانية وحوله إلى عيشة العجماوات، وقال أن هذا عذاب شديد ، وقد أصاب ابن باديس في قوله هذا إلى حد بعيد.

الفرع الثامن: خاصية التنبيه:

تكررت هذه الخاصية كثيرا في تفسير ابن باديس ،وكان غرضه منها تنبيه المتلقي إلى قضايا هامة ليلفت انتباهه إليها ،إما لتطبيقها أو تركها وتجنب مخاطرها .

[1]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. .ج.2 .ص.229-230

وجاءت هذه الخاصية في تفسير ابن باديس مفردة[1] كما جاءت مقترنة بخاصية أخرى[2] مثل ،تنبيه وتحذير، تنبيه وإلحاق .

وسأذكر مثالا تطبيقيا على هذه الخاصية :

النموذج المختار :

يقول ابن باديس وتحت عنوان " تنبيه وتحذير" :"كل عمل لا يحل فهو خيانة وإن كان بأدنى إشارة ،وقد نبه الله على هذا بقوله :{ **يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ** }غافر :19،وهي مسارقة النظر إلى ما لا يحل ،والإشارة بطرف العين فيما يحرم .

وأعظم الخيانة بعد الكفر خيانة العامة ،لأن الذنب يعظم بعظم أثره وانتشار ضرره .

ولهذا جاء ما جاء من الوعيد الشديد فيمن ولي أمرا من أمور المسلمين فغشهم و لم ينصح لهم .

فحق على المسلم أن يحذر من الخيانة ،دقيقها وجليلها ،وخصوصا ما اتصل بالناس منها ،ويتنبه من أقل كلمة وأدنى إشارة توقعه في خطرها "[3].

صرح ابن باديس بخاصية التنبيه من خلال عنوانه "تنبيه وتحذير" .

نبه ابن باديس في قوله هذا الناس إلى قضية هامة وخطيرة وهي خيانة العامة واعتبر أنها خيانة عظمى بعد الكفر بالله تعالى نظرا لما يترتب عليها من آثار وأضرار .

تم حذرهم من هذا الفعل القبيح دقيقه وجليله لعظم الوعيد المترتب عنه .

الفرع التاسع: خاصية التحذير

فسر ابن باديس القرآن في عصر سادت فيه الانحرافات الخلقية والعقدية والدينية ،وكان غرضه إصلاح هذا الواقع من خلال تفسير كتاب الله

---

[1]- ينظر مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود .ج.2 .ص.305

[2]- ينظر مجالس التذكير .ج.1.ص.340-304 ،وينظر مجالس التذكير .ج.2.ص.231-321-325

[3]- المرجع نفسه..ج 1..ص 409

فجاء تفسيره متميزا بخاصية التحذير من هذه الانحرافات ومن عواقبها ونتائجها على الفرد والمجتمع ،سواء في العاجلة أم الآجلة .

ووردت هذه الخاصية على شكل عناوين فرعية مفردة [1] أو مركبة [2] مقترنة بمتغيرات أخرى.

وسأختار نموذجا تطبيقيا من تفسير ابن باديس وأقوم بتحليله لبيان هذه الخاصية أكثر

النموذج المختار:

يقول ابن باديس تحت عنوان فرعي " تحذير من تحريف " :" رأى بعض الناس المدينة الغربية المسيطرة اليوم على الأرض- وهي مدينة مادية في نهجها وغايتها ونتائجها،فالقوة عندها فوق الحق والعدل والرحمة والإحسان- فقالوا:إن رجال هذه المدينة هم الصالحون الذين وعدهم الله بإرث الأرض .وزعموا أن المراد بـــ(الصالحين) في الآية[3] الصالحون لعمارة الأرض .

فيا لله للقرآن .وللإنسان. من هذا التحريف السخيف ! كأن عمارة الأرض هي كل شيء ولو ضلت العقائد ، و فسدت الأخلاق ،واعوجت الأعمال،وساءت الأحوال ،وعذّبت الإنسانية بالأزمات الخانقة،وروّعت بالفتن والحروب المخربة الجارفة، وهدّدت بأعظم حرب تأتي على الإنسانية من أصلها والمدينة من أساسها.

هذه هي بلايا الإنسانية التي يشكو منها أبناء المدينة المادية التي عمرت الأرض وأفسدت الإنسان ،ثم يريد هذا المحرّف أن يطبق عليها آية القرآن :كتاب الحق والعدل والرحمة والإحسان. وإصلاح الإنسان ليصلح العمران.

فأما الصالحون فهو لفظ قرآني قد فسره القرآن [4] كما قدمناه ،وقد شرف أهله بإضافتهم إلى الله في قوله (عبادي) ،فحمله على الصالحين لعمارة الأرض تحريف للكلام عن مواضعه أبشع التحريف وأبطله ،فليحذر المؤمن منه ومن مثله من تحريفات المبطلين والمفتونين"[5].

---

[1]- ينظر مجالس التذكير .ج 1.ص 149-360 ، وينظر مجالس التذكير .ج. .ص 39-66-244-294-306-322

[2]- ينظر مجالس التذكير .ج 1.ص 299-303-386-399-432، وينظر مجالس التذكير .ج 2.ص 164-186

[3]- الآية 105 من سورة الأنبياء وهي قوله تعالى : { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿105﴾ }

[4]- الصالحون :أهل العقائد الصحيحة والأخلاق الكريمة والأعمال المستقيمة اللذين ينفعون العباد والبلاد.

[5]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود .ج 1 .ص 399-400

جاءت خاصية التحذير في هذا النموذج مركبة ،وعنون ابن باديس لهذا القول " تحذير من تحريف " ،ونجد أنه انطلق من مفهوم شائع بين الناس وهو أن رجال المدينة الغربية المسيطرة على الأرض هم الصالحون اللذين وعدهم الله بإرث الأرض .

ثم بين أن هذا المفهوم الشائع تحريف لكلام الله عن مواضعه ،وأن المدنية المادية التي تعمر الأرض وتفسد الإنسان ولا تهتم بأخلاقه وعقائده وأعماله هي عمارة فاسدة ولا تجر إلا البلايا والمحن على هذه البشرية.

ثم بين أن الصالحين اللذين وعدهم الله بعمارة أرضه هم أهل العقائد الصحيحة والأخلاق الكريمة والأعمال المستقيمة .

ثم حذر مخاطبيه من مثل هذه التحريفات الخطيرة للفظ الصريح وهو قوله : " فليحذر المؤمن منه ومن مثله من تحريفات المبطلين والمفتونين ".

هذه هي الخصائص ذات الغرض الإصلاحي التي أمكن حصرها من تفسير ابن باديس ،والتي تتناسب مع طبيعة تفسيره الإصلاحي الاجتماعي ،والتي جاءت في شكل عناوين جزئية مختارة بعناية فائقة ودقة كبيرة ، يتسنى للقارئ من خلالها التعرف المسبق على محور الحديث المنطوي تحت تلك العناوين، فكانت بمثابة خصائص صريحة أمكن تحديدها وحصرها .

المبحث الثالث :أهداف التفسير عند الشيخ عبد الحميد بن باديس

لم تكن غاية ابن باديس عندما تصدى لتفسير كتاب الله عز وجل رغبة في الدخول في زمرة المفسرين والانخراط في صفهم ،وإضافة أشياء لم يهتدي إليها من سبقه ،ولم تكن الرغبة في إتباع طريقة تختلف عن طريقتهم في التفسير وغير ذلك من الغايات التي يسعى إليها كل مفسر لكتاب الله .

ولكن غايته التي قصدها هي أن يفسر القرآن الكريم تفسيرا سلفيا ،وأن يظهر للناس فهما للقرآن كفهم السلف الصالح ثم يقوم هو بنفسه على تربية الناس على هذا الفهم وحملهم على العمل به لتغيير واقعهم وإصلاح مجتمعهم.

فابن باديس درس حالة المجتمعات الإسلامية عامة ،وحالة المجتمع الجزائري خاصة ،فخرج بنتيجتين أساسيتين :

أولهـــما : أن سبب تخلف المسلمين دينيا ودنيويا هو هجر القرآن الكريم وتعاليمه

وثانيهمـــا: أنه ليس هنالك حل لهذه المعضلة ولا نجاة ولا فلاح إلا بالعودة إلى القرآن الكريم ،لأن العودة إلى القرآن لا تتم إلا بالإيمان الذي لا يخالطه شك أن القرآن هو المخلص ،ثم العمل على فهمه كما فهمه السلف، وأن تحمله نفوس كنفوسهم .

فكانت الغاية التي قصدها ابن باديس من تفسيره تتلخص قي ثلاث نقاط :

- ✓ إشعار الناس أن القرآن هو المخلص الوحيد لما يعانونه تم العمل على ردهم إليه بكل الطرق والوسائل.
- ✓ أما الطريق للعودة إلى القرآن لا يكون إلا بأن يفهم فهما كما همه السلف الصالح ويطبق بتطبيقهم له.
- ✓ أن يفسر هو- ابن باديس- القرآن تفسيرا حديثا على الطريقة السلفية ،فيخرج للناس فهما للقرآن كفهم السلف الصالح ،ثم يربي الشعب الجزائري عليه ويحملهم على العمل به ،ثم يكون منهم رجالا كرجال السلف.

يقول ابن باديس :" إن القرآن الذي كون رجال السلف لا يكثر عليه أن يكون رجالا في الخلف لو أحسن فهمه وتدبره وحملت الأنفس على منهاجه".

إذن وكما ذكرنا سابقا فتلك هي الغاية والهدف الرئيسي الذي سطره ابن باديس عندما تصدى لتفسير كتاب الله العزيز ،وأما الأهداف التي سأفصل القول فيها من خلال هذه المطالب فهي منطوية وداخلة تحت هذا الهدف الأساسي ومتفرعة عنه .

المطلب الأول : الرجوع إلى الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح

جعل ابن باديس منهج الدعوة إلى الله والطريق إلى إصلاح الأمة، وإعادة مجدها وتمكينها مستمدا من المصادر الشرعية المعروفة الكتاب والسنة النبوية وما كان عليه السلف الصالح ،وقد صرح ابن باديس بهذا في غير موضع من تفسيره لكتاب الله ،قال في إحدى المواضع :" فعلى الأمم التي تريد أن تنال حظها من هذا الوعد (التمكين) أن تصلح من أنفسها الصلاح الذي بينه القرآن ،فأما إذا لم يكن لها حظ من ذلك الصلاح فلا حظ لها من هذا الوعد ،وإن دانت للإسلام ..."[1].

[1]- ينظر مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1 .ص 401

ويرى ابن باديس أن كل البلاء المنصب على المسلمين والمتمثل في التخلف الديني والدنيوي،والاستعمار، والتفرق إنما هو ناتج عن مخالفة السنة النبوية والهدي المحمدي ،وما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم – في تنفيذ شرع الله وتطبيق أحكامه وتمثيل الإسلام تمثيلا عمليا- تلك المخالفة هي سبب كل بلاء لحق المسلمين حتى اليوم[1].

يقول ابن باديس :"لقد شعر المسلمون عموما بالبلايا والمحن التي لحقتهم ،وفي أولها سيف الجور المنصب على رؤوسهم ،وأدرك المصلحون منهم أن سبب ذلك هو مخالفتهم عن أمر نبيه صلى الله عليه وسلم،فأخذت صيحات الإصلاح ترتفع في جوانب العالم الإسلامي في جميع جهات المعمورة، تدعو الناس إلى معالجة أدوائهم ، بقطع سببها واجتثاث أصلها ،وما ذلك إلا بالرجوع إلى ما كان عليه محمد عليه الصلاة والسلام وما مضت عليه القرون الثلاثة المشهود لها منه بالخير في الإسلام .

وقد حفظ الله علينا ذلك بما إن تمسكنا به لن نضل أبدا – كما في الحديث الصحيح- الكتاب والسنة .

وذلك هو الإسلام الصحيح الذي أنقذ الله به العالم أولا ،ولا نجاة للعالم مما هو فيه اليوم إلا إذا أنقذه الله به ثانيا"[2].

ولهذا كان من أهدافه رحمه الله في التفسير إرجاع الناس إلى الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح في الاعتقاد والقول والعمل ،فهو دائم الدعوة والنداء إلى الرجوع إلى هذا الأصل ،كما بنى عمله في الإصلاح من الناحية التطبيقية عليه ،وحرص على بيان أن طريق الخلاص وسبيل النجاة هو الرجوع إلى الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح .

يقول ابن باديس :"إن الحاجة إلى إرشاد الله وتوفيقه دائمة متجددة ،فكل عمل من أعمال الإنسان ، وكل حال من أحواله هو محتاج إلى هداية الله ودلالته ليعرف ما يرضاه الله منه مما لا يرضاه ..... فالعبد محتاج دائما إلى الرجوع إلى كتاب الله وما ثبت من سنة نبيه ليهتدي إلى ما يرضي الله مما شرعه له من أحواله وأفعاله، وإلى ما يدفع عنه شبهاته وينقذه من شهواته ،ومحتاج إلى التوسل بذلك الرجوع إليهما وذلك الإتباع لهما إلى الله، ليفتح له أبواب المعرفة ويمد له أسباب التوفيق"[3].

---

[1]- ينظر المرجع نفسه .ج 1.ص 431

[2]- . مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس. ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1.ص 433-434

[3]- المرجع نفسه.ج 1 .ص 117

ويقول كذلك :" تمر على العبد أحوال يكون فيها متحيرا مرتبكا كمن يكون في ظلام ،منها حالة الكفر والإنكار، وليس لمنكر الحق المتمسك بالهوى والمقلد للآباء من دليل يطمئن به ولا يقين بالمصير الذي ينتهي إليه.

ومنها حال الشك ،ومنها حالة اعتراض الشبهات ، ومنها حالة ثوران الشهوات ،وكما أن الله يرشد ويوفق من اتبعوا رضوانه طرق السلامة والنجاة بالرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن ،كذلك يخرجهم بهما بإتباعهما والاهتداء بهما من ظلمات الكفر والشك والشبهات والشهوات وما فيها من حيرة وعماية إلى الحالة التي تطمئن إليها القلوب كما تطمئن في النور عندما يسطع يبدد سدول الظلام ،وبإتباعهما فقط تطمئن القلوب بالإيمان واليقين ،فتضمحل أمامها الشبهات وتكسر سلطان الشهوات "[1] .

كما يبين ابن باديس أن سبيل النجاة هو الرجوع إلى القرآن والسنة والإعتضاد بأنظار العلماء الراسخين وذلك في قوله :" لا نجاة لنا من هذا التيه الذي نحن فيه والعذاب المنوع الذي نذوقه ونقاسيه إلا بالرجوع إلى القرآن :إلى علمه وهديه وبناء العقائد والأحكام والآداب عليه والتفقه فيه ،وفي السنة النبوية شرحه وبيانه والاستعانة على ذلك بإخلاص القصد وصحة الفهم والإعتضاد بأنظار العلماء الراسخين ،والإهتداء بهديهم للفهم عن رب العالمين"[2].

ويقرر ابن باديس كذلك أننا مأمورون بتطبيق هذا الذين كما أمرنا بإتباع سبيل الرسول التي جاء بها من عند الله وهي الإسلام .

يقول ابن باديس:" كما علينا أن نتبع سبيل الرسول عليه وآله الصلاة والسلام التي جاء بها من عند الله تعالى وهي الإسلام ،كذلك علينا أن نتبع سبيله في القيام بشرائع الإسلام علما وعملا بأبواب العبادات،وأحكام المعاملات ،وفي تطبيق أصول الإسلام وفروعه على الحياة العامة والخاصة ،وهذه هي التي كان عليها وكان عليها أصحابه وأهل القرن الثاني من التابعين وأهل القرن الثالث من أتباع التابعين ،تلك القرون المشهود لها بالخيرية على غيرها بلسان معصوم ،وكما أن من عدل عن الإسلام و لم يسلك سبيله وقع في ظلال الكفر ، كذلك من عدل عن السنة و لم يسلك سبيلها وقع في ظلال الابتداع"[3] .

---

[1]- المرجع نفسه .ج.1.ص 115

[2]-. مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 2 .ص 48

[3]- المرجع نفسه.ج 2.ص 38

إذن فابن باديس وفي كل محاولاته الإصلاحية يضع نصب عينيه ضرورة الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعمل السلف الصالح .

المطلب الثاني : الدعوة والإصلاح

احتل موضوع الدعوة والإصلاح قسما كبيرا من تفسير ابن باديس ،وذلك شيء طبيعي لأن الغاية الأولى من كل أعماله هي الدعوة إلى إصلاح المجتمع من كل نواحيه ،وابن باديس لما تصدى لتفسير القرآن وضع نصب عينيه قضية إصلاح المجتمع الجزائري مما طرأ عليه من فساد في شتى مجالات الحياة .

والمتصفح لتفسير ابن باديس يلاحظ اهتمامه الكبير بموضوع الدعوة وبيان أساليبها وكل ما يتعلق بها،كما نلاحظ اهتمامه بموضوع الإصلاح من كل جوانبه .

ونص ابن باديس من خلال تفسيره على أصول الدعوة والإصلاح والتي سنفصل القول فيها يما يلي .

الفرع الأول : اعتماد الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح

جعل ابن باديس منهج الدعوة إلى الله والطريق إلى إصلاح الأمة وإعادة مجدها مستمدا من المصادر الشرعية المعروفة الكتاب والسنة النبوية وما كان عليه السلف الصالح ،وصرح ابن باديس بهذا الأصل والتزامه في عدة مواضع من تفسيره [1] ،منها قوله :" فعلى الأمم التي تريد أن تنال حظها من هذا الوعد أن تصلح أنفسها الصلاح الذي بينه القرآن، فأما إذا لم يكن لها حظ من ذلك الإصلاح ،فلا حظّ لها من هذا الوعد و إن دانت للإسلام"[2].

الفرع الثاني " :اعتبار الدعوة غلى التوحيد أولى الأولويات"

اعتبر ابن باديس الدعوة إلى التوحيد هو أولى الأولويات في الدعوة إلى الله ،وذلك لأن التوحيد هو أصل الدين وهدف دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وجميع الأنبياء والمرسلين ،بل هو الغاية من خلق الإنسان والجن كما أخبر به المولى عز وجل ،ولأن التوحيد تكون به النجاة في الآخرة ،وأن تحقيقه شرط للتمكين في الدنيا ، وقد صرح ابن باديس بذلك في مواضع عدة من تفسيره للقرآن الكريم .

---

[1]- ينظر الرد النفيس على الطاعن في العلامة ابن باديس :محمد حاج عيسى ،مكتبة الإمام مالك .باب الواد .الجزائر .د.ط. (1429هـ/2008م). ص 94

[2]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. .ج 1 .ص 400-401

قال رحمه الله وعند تفسيره لقوله تعالى :{ **لَا تَجعَل مَعَ اللَّـهِ إِلـهًا آخَرَ فَتَقعُدَ مَذمومًا مَخذولًا** ﴿٢٢﴾}الإسراء:22

" هذا هو أساس الدين كله وهو الأصل الذي لا تكون النجاة ولا تتقبل الأعمال إلا به ،وما أرسل الله رسولا إلا داعيا إليه ومذكرا بحججه ، وقد كانت أفضل كلمة قالها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هي كلمة 'لا إله إلا الله ' وهي كلمته الصريحة فيه،ولا تكاد سورة من سور القرآن تخلو من ذكره والأمر به والنهي عن ضده"[1].

الفرع الثالث : اعتبار شمول الشريعة

ومن الأصول التي أقرها ابن باديس اعتقاد شمول الشريعة الإسلامية لكل ما يحتاج إليه الناس لصلاح دنياهم وأخراهم ،فلا يوجد ميدان من ميادين الحياة يمكن فصله عن الشريعة ،لا السياسة وقضايا الحكم ،ولا الاقتصاد والأمور التجارية ولا قضايا التربية وعلم الاجتماع ولا الطب .... فالدين ليس مقصورا على العبادات فحسب [2].

وفي تقرير هذه القاعدة يقول ابن باديس :" هذا شيء قليل مما في القرآن في الذكر بأنواعه الثلاثة ،إلى ما فيه من علم مصالح العباد في المعاش والمعاد ،وبسط أسباب الخير والشر ،والسعادة والشقاوة في الدنيا والأخرى ، وعلم النفوس وأحوالها وأصول الأخلاق والأحكام ،وكليات السياسة والتشريع ،وحقائق الحياة في العمران والاجتماع، ونظم الكون المبنية على الرحمة والقوة ،والعدل والإحسان ...إلى ما تقصر عن عدِّه الألسنة، وتعجز عن الإحاطة به الأفهام "[3].

ويقول في موضع آخر من تفسيره " فكل ما يحتاج إليه العباد لتحصيل السعادتين من عقائد الحق ، وأخلاق الصدق ،وأحكام العدل ،ووجوه الإحسان ،كل هذا فصل في القرآن تفصيلا كل فصل على غاية البيان والأحكام.

---

[1]-المرجع نفسه..ج 1 .ص 183.

[2]- ينظر الرد النفيس على الطاعن في العلامة ابن باديس :محمد حاج عيسى.ص 99

[3]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. .ج.1 .ص.77

وهذا دعاء وترغيب للخلق أن يطلبوا ذلك كله من القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم قي العلم والعمل ويأخذوا منه ويهتدوا به ،فهو الغاية التي ما وراءها غاية في الهدى والبيان "[1].

الفرع الرابع : طريق الإصلاح هو التعليم و العلم الصحيح هو سلاح الدعاة في معركة الإصلاح

لما كانت صور الفساد الواقعة كثيرة ومتراكمة ، ولما كان الانحراف عن دين الفطرة قد شمل كل ميدان ، كان على ابن باديس أن يتخذ خطة محكمة للعمل الدعوي تجنبه الانحراف عن الطريق ،وتحفظ جهوده من الضياع ، وقد رأى أن التوحيد هو هدف دعوة الرسل ولا سبيل إلى نشره إلا بسلوك طريق الأنبياء وطريق نبينا صلى الله عليه وسلم ،وهو قد بدأ بالتعليم ونشر مبادئ هذا الدين كما أنه كان أول ما أمر بتبليغه هو العقائد المتعلقة بالله ورسوله واليوم الآخر .

وابن باديس صرح بترجيحه العمل الدعوي المبني على الإصلاح وتعليم العقائد على العمل السياسي .

وجعل ابن باديس العلم الصحيح وسيلة و سلاحا لدعوتهم ولدعاتهم في معركة الإصلاح لأن الدعوة لا تقوم إلا على العلم ولا يكون داعيا إلى الله مصلحا إلا من كان متسلحا بالعلم الشرعي الصحيح المأخوذ من منابعه الصافية من الكتاب والسنة لأن هذا العلم هو مادة الإسلام وموضوعه [2].

يقول ابن باديس قي تفسير قوله تعالى :{ **ادعُ إِلى سَبيلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجادِلهُم بِالَّتي هِيَ أَحسَنُ إِن**} النحل: 125 " الحكمة هي العلم الصحيح الثابت المثمر للعمل المتقن ، المبني على ذلك العلم .....فالحكمة التي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعو الناس إلى سبيل ربه بها هي البيان الجامع الواضح للعقائد بأدلتها، والحقائق وبراهينها ،والأخلاق الكريمة بمحاسنها ومقابح أضدادها ،والأعمال الصالحة – من أعمال القلب واللسان والجوارح- بمنافعها ومضار خلافها "[3].

ويقول في موضع آخر :" العلم هو وحده الإمام المتبع قي الحياة في الأقوال والأفعال والاعتقادات " [4].

ويقول كذلك:" العلم الصحيح والخلق المتين هما الأصلان اللذان يبني عليهما كمال الإنسان "[5].

---

[1]- المرجع نفسه...ج1 .ص 159

[2]- ينظر الرد النفيس على الطاعن في العلامة ابن باديس :محمد حاج عيسى.ص 102- 105

[3]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. .ج 1 .ص 137- 140

[4]- المرجع نفسه .ج1 .ص 266

[5]- المرجع نفسه.ج1 .ص. 261

ثم يبين ابن باديس بعد ذلك الأثر الناتج عن ترك العلم الشرعي فقال :"ولا عمر الله ،إنه ما دخل الضلال في عقائد الناس ولا جرى الباطل والزور على ألسنتهم ولا كان الفساد والشر في أفعالهم ،إلا بإهمالهم أو تساهلهم في هذا الأصل العظيم "[1].

الفرع الخامس :إظهار الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أوجب الله على الأمة الإسلامية التآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر لحراسة مجتمعهم عن الآفات الطارئة ودوام سلامتهم في دينهم وأخلاقهم واستقامتهم في تصرفاتهم.

وهذه الوظيفة الجليلة في مجتمع المسلمين خير ضمان لاستقامتهم ودوام حراسة يقظة أخلاقهم ،من أن يتطرق إليها الخلل والفساد ،ويقوم بها جميع المسلمين كل بما يستطيع في محيطه وحسب علمه ومعرفته ،ثم يختص بها طائفة منهم استعدت لذلك وتسلحت بالعلم والمعرفة ،وبالشجاعة والإخلاص ،وهم العلماء اللذين ورثوا النبوة في القيام بالدعوة ،ورفع الله درجتهم [2].

وابن باديس دعا إلى التحلي بهذه الصفة الحميدة بقوله :" على أهل الحق أن يكون الحق راسخا في قلوبهم عقائد وجاريا على ألسنتهم كلمات ،وظاهرا على جوارحهم أعمالا ،يؤيدون الحق حيث ما كان وممن كان و يخذلون الباطل حيث ما كان وممن كان ،يقولون كلمة الحق على القريب والبعيد ،على الموافق والمخالف, ويحكمون بالحق كذلك على الجميع ويبذلون نفوسهم و أموالهم في سبيل نشره بين الناس وهدايتهم إليه بدعوة الحق وحكمة الحق وأسبابه ووسائله ،على ذلك يعيشون وعليه يموتون .

فلنجعل هذا السلوك سلوكنا وليكن من همنا ،فما وفينا منه حمدنا الله تعالى عليه ،وما قصرنا فيه تبنا واستغفرنا ربنا، فمن صدقت عزيمته ووطّن على العمل نفسه- أعين ويسر للخير -،وربك التواب الرحيم"[3].

---

[1]-المرجع نفسه.ج 1 .ص 268

[2]- ينظر صراع بين السنة والبدعة : أحمد حماني ،دار البعث .الجزائر .ط.1.(1405هـ/1984م).ص 37

[3]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. .ج. .ص.35 -351

ويرى ابن باديس أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وجوبا عينيا ،لكنه حسب العلم والاستطاعة فقال رحمه الله تعالى :" ومن الدعوة إلى الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،وهو فرض عين على كل مسلم ومسلمة بدون استثناء ،وإنما يتنوع الواجب بحسب رتبة الاستطاعة فيجب باليد ،فإن لم يستطع فباللسان ،فإن لم يستطع فبالقلب ،وهو أضعف الإيمان ،وأقل الأعمال في هذا المقام "[1].

كما بين ابن باديس أن أمر الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد أن يكون على علم وبصيرة حتى لا ينتج عن النهي عن المنكر منكر أعظم منه فيقول عند تفسيره لقوله تعالى :{ **قُل هـــذِهِ سَبيلي أَدعو إِلَى اللَّـــهِ عَلى بَصيرَةٍ أَنا وَمَنِ اتَّبَعَني وَسُبحانَ اللَّـــهِ وَما أَنا مِنَ المُشرِكينَ** ﴿١٠٨﴾ }يوسف: 108 "على كل مسلم أن يكون داعيا إلى الله :لقد كان في بيان أن الدعوة إلى الله هي سبيل محمد صلى الله عليه وسلم ما يفيد على أن أتباعه وهو قدوتهم ،ولهم فيه الأسوة الحسنة أن تكون الدعوة إلى الله سبيلهم ،ولكن لتأكيد هذا عليهم ،وبيان أنه من مقتضى كونهم أتباعه ، وأن إتباعهم له لا يتم إلا به- جاء التصريح بذلك هكذا-{**أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني** }.

فالمسلمون ،أفرادا وجماعات ،عليهم أن يقوموا بالدعوة إلى الله ،وان تكون دعوتهم على بينة وحجة وإيمان ويقين، وان تكون دعوتهم وفقا لدعوته وتبعا لها "[2].

الفرع السادس : الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة

ومن الأصول التي لا بد من بيانها في باب الدعوة إلى الله أصل 'سلوك الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ' ،الذي يجنب الدعاة وعموم الناس المبلغين من الوقوع في الإفساد ،وهم يقصدون الإصلاح ، ويعصمهم من تنفير الناس وتشويه الإسلام من حيث هم يريدون الترغيب فيه [3] ،فلهذا يشترط في الداعي إلى الله العلم بأصول الدعوة وأساليبها .

وابن باديس من خلال تفسيره دعا للتحلي بهذا الأصل عند الدعوة إلى الله عز وجل ،فيقول عند تفسيره لقوله تعالى : {**وَما أَرسَلناكَ عَلَيهِم وَكيلًا** ﴿٥٤﴾ }الإسراء:54 " وخاطب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم

1- المرجع نفسه .ج 1.ص 125

2- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج.1 .ص 124

3- ينظر الرد النفيس على الطاعن في العلامة ابن باديس :محمد حاج عيسى.ص 211-212

أنه لم يرسله وكيلا على الخلق حفيظا عليهم كفيلا بأعمالهم ،فما عليه إلا تبليغ الدعوة ونصرة الحق بالحق والهداية والدلالة إلى دين الله وصراطه المستقيم.

خاطبه بهذا ليؤكد لخلقه ما أمرهم به من قول التي هي أحسن للموافق والمخالف ،فلا يحملنهم بغض الكفر والمعصية على السوء في القول لأهلهما ،فإنما عليهم تبليغ الحق كما بلغه نبيهم صلى الله عليه وسلم ،ولن يكون أحد أحرص منه على تبليغه، حسبهم أن يكونوا على سنته وهديه"[1] .

وركز ابن باديس على قضية الأسلوب والقسوة في الكلام والجور في الأحكام في قوله :" أقوى الأحوال مظنة لكلمة السوء هي حالة المناظرة والمجادلة ،وأقرب ما تكون إلى ذلك إذا كان الجدال في أمر الدين والعقيدة، فما أكثر ما يضلل بعض بعضا ،أو يفسقه أو يكفره فيكون ذلك سببا لزيادة شقة الخلاف اتساعا ،وتمسك كلّ برأيه ونفوره من قول خصمه ،دع ما يكون عن ذلك من البغض والشر فذكّر الله تعالى عباده بأنه هو العالم ببواطن خلقه وسرائرهم وعواقب أمرهم ،فيرحم من يشاء ويعذب من يشاء بحكمته وعدله ،فلا يقطع لأحد أنه من أهل النار لجهل العاقبة ،سواء كان من أهل الكفر ،أو كان من أهل الفسق أو كان من أهل الابتداع ، كما لا يقطع لأحد بالجنة كذلك ،إلا من جاء النص بهم .

فلا يقال للكافر عند دعوته أو مجادلته أنك من أهل النار ،ولكن تذكر الأدلة على بطلان الكفر وسوء عاقبته.

ولا يقال للمبتدع : يا ضال ،وإنما تبين البدعة وقبحها ،ولا يقال لمرتكب الكبيرة : يا فاسق، ولكن يبين قبح تلك الكبيرة وضررها وعظم إثمها.

فتقبح القبائح والرذائل في نفسها ،وتجتنب أشخاص مرتكبيها ، إذ رُبّ شخص هو اليوم من أهل الكفر والضلال تكون عاقبته إلى الخير والكمال ،و رُبّ شخص هو اليوم من أهل الإيمان ينقلب –والعياذ بالله تعالى- على عقبه في هاوية الوبال "[2].

وفي هذه الجملة الأخيرة مظهر من مظاهر الحكمة في الدعوة التي ربما غفل عنها من قل علمه بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ومنهجه في الدعوة ،وهو أن يكون التركيز في العلاج على المرض في حد ذاته وعلى أعراضه، وسبيل علاجه ،وليس التركيز على جعل الكلام على أعيان المرضى لأن ذلك من أسباب التنفير .

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود..ج 1 .ص 292

[2]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج 1 .ص 292-293

المطلب الثالث: محاربة البدع والجمود الفكري

عاش ابن باديس في فترة حددت فيها النزعة الصوفية دورة المرابطين، فقد سيطرت الطرق الصوفية على الفكر الإسلامي بالجزائر سيطرة كبيرة ،فبلغ عدد الزوايا بالجزائر ثلاثمائة وتسعة وأربعون زاوية ،وحتى الفقهاء الذين عرفوا بمعارضتهم للصوفية أصبحوا بدورهم طرقيين ،فساد الظلام وخيم الجمود الفكري ،وكثرت البدع واستسلم الناس للقدر ،وهذه الظاهرة الاجتماعية أدت إلى تعطيل الفكر وشل جميع الطاقات الاجتماعية الأخرى [1]، أضف إلى كل هذا الاستعمار الفرنسي الذي عمل على نشر الخرافات بين الناس ودعا إلى الفساد بكل أنواعه .

وأمام هذه الظروف من انتشار للبدع والخرافات وطغيان الطرقية أدرك ابن باديس أنه لا يمكنه محاربة الاستعمار إلا بعد تحرير العقول والقلوب من الفكر الطرقي الذي يقف عقبة في طريق الإصلاح .

ولهذا فقد بدأ ابن باديس في دعوته لمحاربة البدع المنتشرة سواء كانت عقدية أو أخلاقية أو اجتماعية ونجده في تفسيره لكتاب الله شديد الحرص على تعقب هذه البدع وبيان قول الحق فيها .

ففي مجال العقيدة دعا ابن باديس رحمه الله إلى وجوب الرجوع إلى القرآن والسنة النبوية لأخذ العقيدة الصحيحة وذم المنهج الكلامي الذي أبعد الناس عن حقائق دينهم .

يقول ابن باديس :" أدلة العقائد مبسوطة كلها في القرآن بغاية البيان ونهاية التيسير..... فحق على أهل العلم أن يقوموا بتعليم العامة لعقائدها الدينية ،و أدلة تلك العقائد من القرآن الكريم ،إذ يجب على كل مكلف أن يكون في كل عقيدة من عقائده الدينية على علم ،ولن يجد العامي الأدلة في عقائده سهلة قريبة إلا في كتاب الله ،فهو الذي يجب على أهل العلم أن يرجعوا في تعليم العقائد للمسلمين إليه "[2].

ثم يواصل ذاما الذهاب مع أدلة المتكلمين والإعراض عن أدلة القرآن حيث يقول :" أما الإعراض عن أدلة القرآن والذهاب مع أدلة المتكلمين الصعبة ذات العبارات الاصطلاحية فإنه من الهجر لكتاب الله ،وتصعيب طريق العلم إلى عباده وهم في أشد الحاجة إليه ،وقد كان من نتيجة هذا ما نراه اليوم في عامة المسلمين من الجهل بعقائد الإسلام وحقائقه"[3].

---

[1]- ينظر عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره.ت :عمار طالبي .ج 1.ص 18-19

[2]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. .ج 1 .ص 270

[3]- المرجع نفسه.ج 1.ص 271

وفي مجال السلوك والأخلاق يرى ابن باديس أن الحجة فيه هي الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح، وأن ما في الشرع كفاية عما سواه .

يقول الشيخ ابن باديس وهو يدعو إلى الرجوع إلى هدي القرآن في هذا الباب ،وينتقد الطرق الصوفية الغالبة التي كانت سائدة في زمانه " بين القرآن مكارم الأخلاق ومنافعها، ومساوئ الأخلاق ومضارها ،وبين السبيل للتخلي عن هذه بالتحلي بتلك ،مما يحصل به الفلاح بتزكية النفس والسلامة من الخيبة بتدنيسها،فهجرنا ذلك كله، ووضعنا أوضاعا من عند أنفسنا واصطلاحات من اختراعات ،خرجنا في أكثرها عن الحنفية السمحة إلى الغلو والتنطع وعن السنة البيضاء إلى الإحداث والتبدع ،وأخلنا فيها النسك الأعجمي والتخيل الفلسفي ما أبعدها غاية البعد عن روح الإسلام وألقى بين أهلها بذور الشقاق والخصام،وآل الحال بهم إلى الخروج من أثقال أغلالها، والاقتصار على بقية رسومها للانتفاع منها ،ومعارضة هداية القرآن بها "[1].

و في مجال العبادات ذكر ابن باديس أنه لا يجوز إثبات أية عبادة من العبادات إلا ما كان ثابتا في القرآن الكريم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كما دعى كذلك إلى اجتناب العبادات المبتدعة وإعلان الحرب عليها ،والبدعة في الدين هي كل ما لم يقم دليل على شرعيته من الكتاب والسنة أو إجماع السلف الصالح سواء كان في جانب الأعمال غير الثابتة في الشرع أو في كيفية أدائها ،أو فيما يخص تخصيصها بالأزمنة والأمكنة.

وقال ابن باديس في تقرير هذا المعنى :" من أبين المخالفة عن أمره وأقبحها الزيادة في العبادة التي يتعبد الله بها على ما مضى من سنته فيها ، وإحداث محدثات على وجه العبادة في مواطن مرت عليه و لم يتعبد في مثل ذلك فيها ،وكلا هذين زيادة وإحداث مذموم ،،يكون مرتكبه كمن يرى أنه اهتدى إلى طاعة لو يهتدي إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسبق فضيلة قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وكفى بهذا وحده فتنة وبلاء"[2].

وقال كذلك وهو يتحدث عن أفضل الذكر ،وأن الثابت منه يغني عما أحدثه أهل الطرق "وقد روى عنه الأئمة من أذكار اليوم والليلة وسائر الأذكار ما فيه الكفاية و الشفاء"[3].

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. .ج 2 .ص 44

[2]- المرجع نفسه.ج 1.ص 432

[3]- المرجع 1نفسه.ج 1.ص 64

وأعلن ابن باديس أن من ركائز دعوته محاربة البدع ،كما صرح أن الابتداع هو سبب تخلف المسلمين وانحرافهم عن الدين الذي به سعادتهم وعزهم في الدنيا والآخرة.

وأعظم البدع في نظر ابن باديس بدع العقائد العملية التي تصب في معنى الشرك الأكبر والأصغر" ، يقول ابن باديس :" من الناس من يخترع أعمالا وأوضاعا من عند نفسه ويتقرب بها إلى الله ،مثل ما اخترع المشركون عبادة الأوثان بدعائها ،والذبح عليها ،والخضوع لديها ،وانتظار قضاء الحوائج منها ،وهم يعلمون أنها مخلوقة لله مملوكة له، وإنما يعبدونها – كما قالوا – لتقربهم إلى الله زلفى.

وكما اخترع طوائف من الهنود أنواع التعذيب بقتل أنفسهم وإحراقها طاعة- زعموا- وتقربا !

وكما اخترع طوائف من المسلمين الرقص والزمر ، والطواف حول القبور والنذر لها ،والذبح عنها ونداء أصحابها، وتقبيل أحجارها ،ونصب التوابيت عليها ،وحرق البخور عندها ،وصب العطور عليها .

فكل هذه الاختراعات فاسدة في نفسها ،لأنها ليست من سعي الآخرة الذي كان يسعاه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده ،فساعيها موزور غير مشكور"[1] .

وخلاصة القول أن ابن باديس اعتبر كل بدعة في أمور الدين ضلالة ،ولم يفرق بين بدعة وأخرى ،وأنه ذم كل البدع ،وأن كل ما تقوم به الطرق الصوفية من أعمال ، التي تدعي سلوك طريق الزهد والتصوف والانقطاع عن الدنيا والتفرق للعبادة هو بدعة ليس لها أصل في الكتاب ولا في السنة ،وأنه بريء منهم ومما يقومون به .

المطلب الرابع :ربط الآيات القرآنية بالواقع

الإسلام في منظور ابن باديس منهج هداية ونظام اجتماع شامل ،تنتظم ضمن فصوله أمور الحياة الدنيا ومطالب الحياة الأخرى ،لأن الإسلام في جوهره وكما فهمه أئمة السلف هو سعي جاد إلى الموائمة بين الطبيعة والإنسان وبين الحياة البشرية في جوانبها المادية ،والحياة البشرية في جوانبها الروحية ،وهو بهذا يسع الأوطان والأقوام والأجناس[2].

---

[1]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. .ج 1 172

[2]– ينظر إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس :عبد القادر فوضيل ومحمد الصالح رمضان .ص 59

يقول ابن باديس :" الإسلام دين الله الذي شرعه وارتضاه ..... فهو تشريع عام لجميع أعمال الإنسان أعمال قلبه ،وأعمال لسانه ،وأعمال جوارحه ،وجميع معاملاته الخاصة والعامة بين أفراده وأممه "[1].

إذن فنظرة ابن باديس للإسلام نظرة "دقيقة وواقعية ،ذلك أن الحقيقة الإسلامية بالنسبة إليه لا تنحصر فقط في العقائد والعبادات التي يلتزم بها الفرد التزاما شخصيا ،ولا في المعلومات والتعاليم التي تلقن للناس،ويوجه الاهتمام فيها إلى تربية وجدانهم وتقويم سلوكهم ،وتهمل فيها الجوانب المتعلقة بتنظيم حياة الناس وتدبير شؤونهم ،وتحديد المسؤوليات وأساليب التحرك داخل المجتمع ومعه والعلاقات التي تربط الفرد بغيره والمحيط الذي هو فيه"[2] .

يقول ابن باديس :" إن القرآن كتاب الدهر ومعجزته الخالدة ،فلا يستقل بتفسيره إلا الزمن ،وكذلك كلام نبينا صلى الله عليه وسلم المبيّن له ،فكثير من متون الكتاب والسنة الواردة في معضلات الكون ومشكلات الاجتماع لم تفهم أسرارها ومعانيها إلا بتعاقب الأزمنة وظهور ما يصدقها من سنن الله في الكون، وكم فسرت لنا حوادث الزمن واكتشافات العلم من غرائب آيات القرآن ومتون الحديث .... والعلماء القوامون على كتاب الله وسنة رسوله لا يتلقونها بالفكر الجامد والفهم الجامد ،وإنما يترقبون من سنن الله في الكون وتدبيره في الاجتماع ما لم يكشف لهم من حقائقهما ،ويكلون إلى الزمن وأطواره تفسير ما عجزت عنه أفهامهم "[3].

وبين لنا ابن باديس من خلال قوله هذا الارتباط الوثيق بين التفسير وبيئة المفسر ،وأحوالها الاجتماعية وظروفها المعاشة وأبعادها السياسية والثقافية .

ولهذا كله اتخذ ابن باديس القرآن الكريم مرآة يرى من خلالها الواقع الإسلامي وغيره ،فكان يتزل الآيات القرآنية على ما يجري في المجتمعات ،فيشخص من خلالها الأمراض والانحرافات ،ثم يستوحي من هذه الآيات الكريمة الدواء والعلاج المناسب ،لأن القرآن –كما يرى ابن باديس- قد حوى العلاج الكافي و الدواء الشافي لأمراض وعلل المجتمع الإنساني بكل أنواعه .

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس. ت: أبو عبد الرحمان محمود. .ج 2.ص 271

[2]- إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس :عبد القادر فوضيل ومحمد الصالح رمضان .ص 61

[3]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج 2.ص 359-363

يقول الشيخ ابن باديس:" لنطبق آياته على أحوالنا ونتزلها علينا كما كانت تتزل على الأحوال والوقائع"[1].

ويقول كذلك :"نزول الآيات في الكافرين لا يمنع من تطبيقها على من شاركهم في مثل الحال الذي أنكرته عليهم من المؤمنين"[2].

والقارئ للتفسير ابن باديس يلفت نظره النماذج الكثيرة التي كان يحاول من خلالها ربط الآيات القرآنية بالواقع المعاش ،وهذه بعض النماذج عن تطبيقه هذا

فعند تفسيره لقوله تعالى : {**حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾**} النمل :18، قال :"هذه النملة وفت لقومها وأدت نحوهم واجبها فكيف بالإنسان العاقل فيما يجب عليه نحو قومه !، هذه عظة بالغة لمن لا يهتم بأمور قومه ولا يؤدي الواجب نحوهم ،ومن يرى الخطر داهما لقومه فيسكت ويتعامى ،ولمن يقود الخطر إليهم ويصبه بيده عليهم . آه.... ! ما أحوجنا –معشر المسلمين- إلى أمثال هذه النملة !"[3].

وفي هذا المثال يظهر ما يحمله ابن باديس من هم وغم بسبب فقدان الروح القومية والوطنية عند أفراد الشعب الجزائري وفقدان روح التفكير في الصالح العام ،وانشغال كل بنفسه ،فهو هنا شخص هذا المرض المنتشر في عقلية الشعب الجزائري ،ثم أرشد إلى العلاج مما هم فيه وهو التأسي بهذا المخلوق الصغير الذي أدى واجبه نحو مجتمعه وقومه وحث شعبه على النهوض والمبادرة لدفع خطر الاستعمار .

وبصد بيانه حالة أئمة المساجد وخطبائها والمتصدرين لوعظ الناس وإرشادهم وأغلبهم موظفون عند فرنسا قال :" أكثر الخطباء في الجمعة اليوم في قطرنا يخطبون الناس بخطب معقدة مسجعة طويلة من مخلفات الماضي ،لا يراعى فيها شيء من أحوال الحاضر وأمراض السامعين ،تلقى بترنّم وتلحين ،أو غمغمة وتمطيط ، ثم كثيرا ما تختم بالأحاديث المنكرات أو الموضوعات .

وهذه حالة بدعية في شعيرة من أعظم الشعائر الإسلامية سّد بها أهلها بابا عظيما من الخير فتحه الإسلام ، وعطلوا به الوعظ والإرشاد وهو ركن عظيم من أركان الإسلام"[1].

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. .ج 2 .ص 58

[2]- المرجع نفسه.ج 1.ص 361

[3]- المرجع نفسه. ج 2.ص 217

فابن باديس وهو المصلح الاجتماعي والطبيب المداوي لأمراض مجتمعه لا يمر بمسألة خطيرة في المجتمع، ودورها عظيم في تعليم وتثقيف الناس بالدين ويتركها بدون حل وعلاج ، بل يصف الدواء والعلاج المناسب للمقام ،ومن خلال هذا المثال بين حالة الخطب في وقت في بعض المساجد وكيف أنه لا تتمثل فيها الشروط المطلوبة لنجاح الخطبة ،حاثا أئمة المساجد وخطبائها على الاعتبار بالقرآن في توخيهم في خطبهم الوقائع النازلة وتطبيقها على مقتضى الحال .

المبحث الرابع : طريقة ابن باديس في توجيه النص القرآني

يعتمد التفسير الاجتماعي الإصلاحي على الارتباط بواقع الناس وحياتهم اليومية والسعي إلى تغييرها ،مما يجعل المفسر يعمد أولا لفحص المرض والتعرف على الداء ليتمكن من وصف العلاج المناسب ،وابن باديس وخلال تفسيره لكتاب الله اعتمد على عدة طرق أثناء توجيهه للنص القرآني منها : استغلال الأحداث السياسية في الجزائر ،مراعاة العصر وأزماته ،مراعاة مقتضى الحال ،وهذا ما سنفصل فيه القول من خلال هذه المطالب بتتبع بعض النماذج التفسيرية .

المطلب الأول : استغلال الأحداث السياسية في الجزائر

اعتمد ابن باديس أثناء تفسيره النص القرآني وتوجيهه على وضعه في سياقه الزماني من أجل تحقيق أهدافه الإصلاحية.

ولما كان غرضه من التفسير هو إصلاح واقع الناس وما يسوده من فساد وانحراف في شتى المجلات ،فإن ابن باديس رعى في تفسيره ما يطرأ على هذا الواقع من أحداث مختلفة :دينية ،اجتماعية ،اقتصادية وخاصة الأحداث السياسية بالجزائر والمتعلقة بالاحتلال الفرنسي لها وسياسته الاستعمارية فيها ،فكان ابن باديس يستغل هذه الأحداث ويختار ما يتناسب معها من الآيات القرآنية ويوجهها التوجيه المناسب.

وأول ما نتحدث عنه الأحداث الدينية والتي كانت تسودها انحرافات كثيرة ،وبدع متنوعة من "خنوع وخضوع أمام القبور والقباب ،وتقديم البخور والنذور لها ،وللأشجار والأحجار،والخوف من الأرواح الشريرة، وعبادة الجن والسمع والطاعة العمياء لأصنام بشرية تأكل وتشرب ،وتبول وتتغوط، وتمرض وتموت، ومع ذلك فهي تدعو الناس لعبادتها وتزعم أن الكون في قبضتها ،ونزول المطر بيدها ،والنفع والضر من أثرها وفي قدرتها،ثم تزعم للشعب أن سلطة الدولة الاستعمارية من سلطة الله ،وسلطة الله لا تقاوم ،وأن التسليم لها تسليم لله والرضا

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج 1.ص 145

بأحكامها رضا بقدر الله ، فما عليها – أي الأمة- إلاّ أن تصبر لقضاء الله ،فإذا شاء الله جعلهم يرتحلون من عند أنفسهم، ويتركون لنا الوطن من بعدهم"[1].

وسبب كل هذه البدع والانحرافات هو جهل الجزائريين بدين الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وهذا نتيجة لما نشرته الطرق الصوفية وروجت له ،وبمساندة الاستعمار الفرنسي لها .

يقول ابن باديس :" إنا نأتي بما يبرأ منه الإسلام ونصرح بأنه من صميمه"[2].

أما الناحية الاجتماعية فكانت مسايرة للناحية الدينية ،ففساد الدين والعقيدة كان له تأثيره المباشر على العادات والتقاليد من التصرفات اليومية لأفراد الشعب الجزائري ،من فساد للأخلاق والتعاملات ،وانتشار المنكرات، يضاف إلى هذا كله ذل وهوان وفقر مذقع بالأوساط الجزائرية .

أما فيما يخص الناحية السياسية فقد سيطرت السلطات الفرنسة على معظم مراكز الإنتاج من أراضي زراعية ومعدات إنتاجية ،واستحدثت قوانين من أجل تجريد الشعب الجزائري من كل ممتلكاته ،فأحدث كل هذا اضطراب كبير في الاقتصاد الجزائري.

أما من الناحية السياسية ،والتي هي موضوع حديثنا هنا ،فإن أغلب ما يميزها هي قضية الاحتلال الفرنسي للجزائر وسياسته الجائرة بها ،ومحاولة الشعب الجزائري التحرر من سيطرته واستبداده.

والمتأمل في تفسير ابن باديس يلاحظ اهتمامه الكبير بهذه القضية الخطيرة في حياة الشعب الجزائري ،فنجد أنه في كثير من المواضع يوجه النص القرآني بما يتناسب وهذه القضايا السياسية في فترتها الزمنية .

وفيما يلي بعض النماذج من تفسير ابن باديس ،والتي راعى فيها الناحية السياسية وأحداثها في توجيه النص القرآني.

النموذج الأول :

عند تفسير ابن باديس لقوله تعالى: { **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴿٦٣﴾ } النور :63،يقول رحمه الله وتحت عنوان فرعي ' أعظم الفتنة ':"غير أن أعظم الفتنة –فيما نرى- هو ما قاله الإمام جعفر الصادق :'أن يسلط عليهم سلطان جائر' فإنه إذا جار السلطان– وهو من له

[1]- صراع بين السنة والبدعة : أحمد حماني.ص 52-53

[2]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 2.ص 32

السلطة في تدبير أمر الأمة والتصرف في شؤونها- فسد كل شيء،فسدت القلوب والعقول والأخلاق والأعمال والأحوال ،وانحطت الأمة في دينها ودنياها إلى أحط الدركات ،ولحقها من جرائه كل شر وبلاء وهلاك ،ثم يتفاوت ذلك الفساد بحسب ذلك الجور في قدره وسعته ومدة بقائه .

هذا إذا كان ذلك الجائر من جنسها ويدين – بحسب ظواهره- بدينها ،فكيف إذا لم يكن من جنسها ولا دينها في شيء.

حقا إن أعظم ما لحق الأمم الإسلامية من الشر والهلاك كله جاءها على يد السلاطين الجائرين منها ومن غيرها. وهذا ما يشهد به تاريخها في ماضيها وحاضرها.

فما أصدق كلمة جعفر الصادق وما أعمق نظرته فيها ،ومن أحق بمثلها من بيت النبوة ومعدن الحكمة ؟ عليهم الرضوان والرحمة "[1].

وإذا أمعنا النظر في هذا النص التفسيري يظهر لنا أن ابن باديس لم يفسر هذه الآية بمعزل عن الواقع، بل تعدى النص القرآني إلى الواقع الجزائري وأحداثه السياسية بشكل خاص والمجتمع الإسلامي بشكل عام.

فبعدما أشار تحت عنوان فرعي ' أعظم الفتنة '،انتقل المفسر إلى توجيه النص مع ما يتلاءم معه من أحداث الواقع الراهنة ،وهي فترة الاستعمار الفرنسي وحكمه الجائر .

ثم يلفت النظر إلى قضية سياسية خطيرة وهي السلطان الجائر – يعني المستعمر الفرنسي –دون التصريح المباشر بمسمى هذا السلطان الجائر وبلور هذه القضية في قالب وعظي إرشادي ،ابتدأه بكلمة رائعة للإمام جعفر الصادق، ثم انتقل إلى بيان المهالك التي تجر على الأمة إذا حكمها سلطان جائر من فساد للقلوب ،والعقول ، والأخلاق ،والأعمال ، والأحوال ، انحطاط الأمة في دينها ودنياها.

ثم لفت النظر إلى أمر خطير آخر وهو عدم انتماء هذا السلطان الجائر لدين وجنس هذه الأمة، فالفتنة تكون أشد وأعظم ،فهو في هذا الموضع يعّرض ويلمح للاستعمار الفرنسي ،وسلطانه الجائر في الجزائر، وعدم انتمائه لدين وجنس الشعب الجزائري ،فكان خطره وفتنته أشد وأمَر على الأمة الجزائرية .

فقد نبه ابن باديس هنا الشعب الجزائري لقضية سياسية خطيرة وهي فتنة السلطان الجائر- الاستعمار الفرنسي- في قالب سهل وبسيط ،ودون تصريح مباشر بهذا السلطان الجائر .

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج. .ص 431-432

إذن فابن باديس هنا وجه هذا النص القرآني إلى هذه القضية السياسية الراهنة ،مما يدل على قدرته البالغة على مراعاة مقتضى الحال ،والتأثير الكبير المباشر في الناس.

النموذج الثاني :

عند تفسير ابن باديس لقوله تعالى: {**وَإِن مِن قَرِيَةٍ إِلّا نَحنُ مُهلِكوها قَبلَ يَومِ القِيامَةِ أَو مُعَذِّبوها عَذابًا شَديدًا كانَ ذلِكَ فِي الكِتابِ مَسطورًا** ﴿٥٨﴾ } الإسراء:58 ،بين أسباب التحرر من قبضة المستعمر في قالب إنشائي تعريضي بعيد كل البعد عن التصريح المباشر بهذه القضية السياسية الراهنة.

فتحت عنوان ' إرشاد واستنهاض ' يقول ابن باديس :"قد ربط الله بين الأسباب ومسبباتها خلقا وقدرا ،لمشيئته وحكمته ،لنهتدي بالأسباب إلى مسبباتها ،ونجتنبها باجتناب أسبابها .

وقد عرفنا في الآيات المتقدمة بأسباب الهلاك والعذاب ،لنتقي تلك الأسباب فنسلم أو نقلع عنها فننجو، فإن بطلان السبب يقتضي بطلان المسبب"[1].

ثم بين ابن باديس العلاج المناسب لرفع العذاب بقوله :" فالإيمان والتقوى هما العلاج الوحيد لنا من حالتنا لأننا إذا التزمناهما نكون قد أقلعنا عن أسباب العذاب "[2].

ثم بين لنا ابن باديس كيفية النهوض بهذا العلاج القرآني ذلك بقوله :" ولا ننهض بهذا العلاج العظيم إلا إذا قمنا متعاونين أفرادا وجماعات ،فجعل كل واحد ذلك نصب عينيه ، وبدأ به في نفسه ،ثم فيمن إليه ثم فيمن يليه من عشيرته وقومه ،ثم جميع أهل ملته ،فمن جعل هذا من همه وأعطاه ما قدر عليه من سعيه ،كان خليقا أن يصل إلى غايته أو يقترب منها .

ولنبدأ من الإيمان بتطهير عقائدنا من الشرك ،وأخلاقنا من الفساد وأعمالنا من المخالفات ولنستشعر أخوة الإيمان التي تجعلنا كالجسد الواحد ،ولنشرع في ذلك غير محتقرين لأنفسنا ،ولا قانطين من رحمة ربنا ،ولا مستقلين لما نزيله كل يوم من الفساد.

فبدوام السعي واستمراره يأتي ذلك القليل من الإصلاح على صرح الفساد العظيم من أصله"[3].

---

[1] – مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1.ص 310

[2] – المرجع نفسه .ج.1.ص 311

[3] – مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج.1.ص 312

ثم يؤكد ابن باديس أن في القرآن والسنة وعمل السلف الصالح كل ما يحتاجه الإنسان للنهوض بهذا العلاج بقوله:" وليكن دليلنا في ذلك وإمامنا كتاب ربنا ،وسنة نبينا ،وسيرة صالح سلفنا .ففي ذلك كله ما يعرفنا بالحق ، ويبصرنا في العالم ،ويفقهنا في الدين ،ويهدينا إلى الأخذ بأسباب القوة والعز ،والسيادة العادلة في الدنيا ، ونيل السعادة الكبرى في الآخرة .وليس هذا عن العاملين ببعيد ، وما على الله بعزيز"[1].

إذا نظرنا إلى قول ابن باديس هذا نستنتج أنه تعدى تفسير الآية إلى الواقع السياسي الجزائري و الإسلامي المعيش في تلك الفترة ، فبعد أن بين وجود نوعين من القرى: الأولى مقضي عليها بالهلاك و الاستئصال،و هذه انتهى أمرها بالموت، وفات عنها العلاج مثل قوم ثمود وعاد من الأمم البائدة.

أما الثانية فهي المقضي عليها بالعذاب الشديد هذه لا تزال بقيد الحياة فتداركها ممكن ،وعلاجها متيسر مثل الأمم الإسلامية الحاضرة والجزائر طبعا منها .

ثم انتقل إلى توجيه النص القرآني مع ما يتلاءم والأحداث السياسية الراهنة في المجتمع الجزائري ،وهي فترة الاستعمار .

فوضع عنوانا فرعيا كما ذكرنا سابقا 'إرشاد واستنهاض ' من أجل لفت الأنظار إلى قضية سياسية هامة هي قضية ' التحريض على التحرر من قبضة المستعمر الفرنسي ' دون التصريح المباشر بها ،وذكر ذلك

في قالب إرشادي وعظي يصعب على المستعمر فهم مغزاه .

فبدأ أولا بإعادة التذكير بأسباب العذاب والهلاك ، وأنه لا نجاة منها إلا بانتفاء أسبابها، ثم ضرب لنا مثلا بأمة أقلعت عن أسباب العذاب فارتفع عنها وهي قوم يونس .

ثم بين العلاج الأنسب لانتفاء العذاب وهو الإيمان والتقوى ،ثم بدأ توجيهه للنص القرآني وربطه بالواقع الجزائري وبين أن الإيمان والتقوى هما العلاج الوحيد لحالة الشعب الجزائري ،ثم انتقل إلى الدعوة وبأساليب متنوعة -كالنهي والأمر- إلى النهوض بهذا العلاج العظيم الذي أرشد إليه القرآن من خلال الوحدة والتعاون وتطهير العقائد من الشرك والأخلاق من الفساد ،والأعمال من المخالفات ،وعدم اليأس والقنوط ،والتقليل من شأن أعمال الإصلاح وإن كانت يسيرة ،وأن يكون دليلهم في كل هذا كتاب ربنا وسنة نبينا وسيرة سلفنا الصالح

[1]- المرجع نفسه .ج 1.ص 310-311

، فالقرآن والسنة وعمل السلف الصالح هي منابع الحق والعلم والدين ،وأن الأخذ بها أخذ بأسباب القوة والعز والسيادة و،والسعادة الكبرى في الآخرة .

فبين ابن باديس أسس وركائز حركة التحرر ،وأسباب نجاحها في أسلوب سهل واضح ،ويظهر ابن باديس من خلال تحليله هذا صادق النية ،سديد الرأي ،قادرا على مراعاة مقتضى الحال والتأثير في الناس بقوة شخصيته.

وأخيرا نراه وباستخدام أسلوب الترغيب يبعث الأمل في قلوب الناس وروح العمل فيهم بقوله :" وليس هذا عن العاملين ببعيد ، وما على الله بعزيز" .

ويتضح لنا من خلال النموذجين السابقين ،واللذان ذكرناهما على سبيل المثال لا الحصر تأثير الأحداث السياسية في توجيه ابن باديس للنص القرآني توجيها يتناسب مع هذه الأحداث من أجل تحقيق أهدافه الإصلاحية .

المطلب الثاني : مراعاة العصر وأزماته

كان غرض ابن باديس كغيره من المفسرين من ذوي النزعة الاجتماعية الإصلاحية إبراز جانب الهداية في القرآن الكريم وتقديمه للناس بأسلوب أدبي شيق يستميل عواطفهم ويجذبهم نحوه ،لتنزيل القرآن على واقع الناس وعلاج المشاكل التي يتخبطون فيها سواء كانت اقتصادية ،اجتماعية ،تربوية أو علمية ،وقبل كل هذا محاولة إصلاح عقيدة الناس حسب ما أمر به القرآن الكريم .

وهذا النوع التفسيري لم يعد يظهر عليه ذلك الطابع الجاف الذي يصرف الناس عن هداية القرآن ، بل تلون بلون جديد وهو معالجة النصوص القرآنية معالجة تقوم أولا وقبل كل شيء على إظهار مواضع الدقة في التعبير القرآني ثم بعد ذلك تصاغ المعاني التي يهدف القرآن إليها في أسلوب شيق أخاذ بسيط بعيد عن العبارات المغلقة والاصطلاحات العلمية المختلف فيها ،ثم تطبيق النص القرآني على ما في الكون من سنن الاجتماع ونظم العمران.

وابن باديس في تفسيره القرآن اتبع هذا المنهج ،حيث نجد أنه لا يهمل الجانب اللغوي مما يقتضيه التفسير الظاهر للقرآن ،وتقديم أسباب النزول أو المناسبة إن وجدت ،وشرح المفردات وإعطاء المعنى العام واستخراج

الأحكام الشرعية إن وجدت ،غير أنه لا يطيل في عرض القضايا الخلافية بل نجده مباشرة يتعداها إلى عرض أزمات العصر ومشاكله على النص القرآني لاستخلاص الحلول والعلاج اللازم لها .

ويظهر هذا لنا من خلال تتبع تفسير ابن باديس ،وهذه بعض النماذج التفسيرية التي توضح لنا هذه الخاصية في تفسيره .

النموذج الأول :

عند تفسير ابن باديس لقوله تعالى : {**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَـــذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا**﴿٣٠﴾}
الفرقان :30

وتحت عنوان 'المناسبة' بين ابن باديس مناسبة هذه الآية للآية التي قبلها ثم شرح المفردات الواردة فيها شرحا وجيزا ثم عرض التراكيب الواردة فيها ، ثم انتقل بعدها إلى لذكر معنى هذه الآية في عبارة موجزة لا تتعدى السطرين ، وذكر استنتاجا استنتجه من هذه الآية .

ثم انتقل مباشرة لتنزيل هذه الآية على المجتمع ومعالجة قضية خطيرة فيه وهي 'هجر القرآن' ،وتحت عنوان 'تنزيل' يقول :" نحن –معشر المسلمين- قد كان منا للقرآن العظيم هجر كثير في الزمان الطويل ،وإن كنا به مؤمنين.

بسط القرآن عقائد القرآن كلها بأدلتها العقلية القريبة القاطعة ،فهجرناها ،وقلنا تلك أدلة سمعية لا تحصل اليقين ، وأخذنا في الطرائق الكلامية المعقدة ،وإشكالاتها المتعددة ،واصطلاحاتها المحدثة مما يصعب أمره على الطلبة فضلا عن العامة.

وبين القرآن أصول الأحكام ،وأمهات مسائل الحلال والحرام ووجوه النظر والاعتبار ،مع بيان حكم الأحكام وفوائدها للصالح الخاص والعام فهجرناها ،واقتصرنا على قراءة الفروع الفقهية مجردة بلا نظر ،جافة بلا حكمة، محجبة وراء أسوار من الألفاظ المختصرة تفنى الأعمار قبل الوصول إليها.

بين القرآن مكارم الأخلاق ومنافعها ومساوئ الأخلاق ومضارها وبين السبيل للتخلي عن هذه بالتحلي بتلك، مما يحصل به الفلاح بتزكية النفس والسلامة من الخيبة بتدنيسها ،فهجرنا ذلك كله ووضعنا أوضاعا من عند أنفسنا واصطلاحات من اختراعات خرجنا في أكثرها عن الحنفية السمحة إلى الغلو والتنطع وعن السنة البيضاء إلى الإحداث والتبدع ،وأحلنا فيها النسك الأعجمي والتخيل الفلسفي ما أبعدها غاية البعد عن روح

الإسلام، وألقى بين أهلها بذور الشقاق والخصام ،وآل الحال بهم إلى الخروج من أثقال أغلالها ،والاقتصار على بقية رسومها للانتفاع منها ومعارضة هداية القرآن بها .

وعرض القرآن علينا هذا الكون وعجائبه ،ونبهنا على ما فيه من عجائب الحكمة ومصادر النعمة ،لننظر ونبحث، ونستفيد ونعمل ،فهجرنا ذك كله إلى 'خريدة العجائب'[1] و'بدائع الزهور' [2]والحوت والصخرة وقرن الثور [3]! .

ودعانا القرآن إلى تدبره وتفهمه والتفكر في آياته ،ولا يتم ذلك إلا بتفسيره وتبيينه ،فترى الطالب يني حصة كبيرة من عمره في العلوم الآلية دون أن يكون طالع ختمه واحدة في أصغر تفسير كتفسير الجلالين مثلا، بل ويصير مدرسا متصدرا و لم يفعل ذلك ... وعلمنا القرآن أن النبي صلى الله عليه وسلم هو المبين للناس ما نزل إليهم من ربهم ،وأن عليهم أن يأخذوا ما أتاهم ،وينتهوا عما نهاهم عنه ،كانت سنة العملية والقولية تالية للقرآن، فهجرناها كما هجرناه وعاملناها بما عاملناه ،حتى إنه لا يقل في المتصدرين في التدريس من كبار العلماء ي أكبر المعاهد من يكون قد ختم كتب الحديث المشهورة كالموطأ والبخاري ومسلم ونحوها ،مطالعة، فضلا عن غيرهم من أهل العلم ،وفضلا عن غيرها من كتب السنة .

وكم و كم و كم بيّن القرآن ؟وكم وكم وكم قابلناه بالصدّ والهجران ؟"[4].

و لم يتوقف ابن باديس رحمه الله عند هذا التنزيل الرائع لهذه الآية القرآنية على واقع الناس ،بل يواصل وتحت عنوان فرعي آخر 'بيان واستشهاد' بيان بعض الضلالات الأخرى المنتشرة في المجتمع فيقول :"شرّ الهاجرين للقرآن هم اللذين يضعون من عند انفسهم ما يعارضونه به ،ويصرفون وجوه الناس إليهم وإلى ما وضعوه عنه، لأنهم جمعوا بين صدهم وهجرهم في أنفسهم وصد غيرهم ،فكان شرهم متعديا وبلاؤهم متجاوزا،وشر الشر وأعظم البلاء ما كان كذلك ..... فانظر في قطرنا وفي غير قطرنا ،كم تجد ممن بنى موضعا للصلاة ،ووضع كتبا من عنده ،أو مما وضعه أسلافه من قبله ،وروّجها بين أتباعه ؟فأقبلوا عليها ،وهجروا القرآن،وربما يكون بعضهم

---

[1]- من الكتب المتداولة التي تكثر فيها الأحاديث الموضوعة وشديدة الضعف واسمه الكامل جريدة العجائب وفريدة الغرائب اشتهرت نسبته لابن الوردي توفي سنة 749ه

[2]- مؤلفه أبو البركات محمد ابن إياس مؤرخ مصري (ت 930هـ) وقد حذر منه ابن باديس لغلبة الأحاديث الموضوعة عليه

[3]- يشير هنا إلى ما ذكره بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى : "ن والقلم وما يسطرون" القلم :1 أن النون الحوت العظيم الذي تحت الأرض السابعة ،وأن على ظهر هذا الحوت صخرة سمكها تغلظ السماوات والأرض وعلى ظهرها ثور له أربعون ألف قرن وعلى ظهره الأراضون السبع وما فيهن وما بينهن ي روايات كلها ضعيفة أو موضوعة أو من الإسرائيليات

[4]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. .ج 2.ص 43-46

قصد بما وضع النفع أخطأ وجهه ،إذ لا نفع بما صرف عباد الله عن كتاب الله ،وإنما يدعى لله بكتاب الله ،ولذلك سمي صنيع هذا الواضع بدعة وضلالة "[1] .

ثم يكمل ابن باديس ما بدأه مرشدا إلى العلاج المناسب والدواء الشافي لهذه العلة المنتشرة فتحت عنوان آخر وأخير ' سبيل النجاة ' يقول :" لا نجاة لنا من هذا التيه الذي نحن فيه ،والعذاب المنوع الذي نذوقه ونقاسيه إلا بالرجوع إلى القرآن :إلى علمه وهديه وبناء العقائد والأحكام والآداب عليه والتفقه فيه ،وفي السنة النبوية : شرحه وبيانه ،والاستعانة على ذلك بإخلاص القصد وصحة الفهم ،والاعتضاد بأنظار العلماء الراسخين ،و الاهتداء بهديهم في الفهم عن رب العالمين "[2].

النموذج الثاني :

فسر ابن باديس قوله تعالى : {**وَآتِ ذَا القُربى حَقَّهُ وَالمِسكينَ وَابنَ السَّبيلِ** }الإسراء:26 وتحت عنوان رئيسي ' إتيان الحقوق لأربابها ' ،لم يتطرق ابن باديس للغويات هذه الآية مفرداتها وتراكيبها وانتقل مباشرة إلى تنزيل هذا النص على الواقع، وبيان واجب الناس اتجاه قضية إيتاء الحقوق وأهميتها في المجتمع حيث يقول : "الناس كلهم في حاجة مشتركة إلى بعضهم .وما من أحد إلا وله حقوق على غيره،ولغيره حقوق عليه.

ولهذه الحاجة المشتركة والحقوق المزدوجة كان الاجتماع والتعاون ضروريين لحياة المجتمع البشري واطّراد نظامه.و قيام كل واحد من أفراد المجتمع بما عليه من حقوق نحو غيره هو الذي يسد تلك الحاجات المشتركة بين الناس.

وعندما يؤدي كل واحد حق غيره فليست خدمة له وحده، بل هي خدمة للمجتمع كله .وبالأحرى هي خدمة له هو في نفسه لأنه جزء من المجتمع وما يصيب الكل يعود على جزئه.

فإذا تواردت أفراد المجتمع على هذه التأدية سعدت وسعد مجتمعنا بنيله حاجيات الحياة ولوازم البقاء والتقدم في العمران .

أما إذا توانى الأفراد في القيام بالحقوق وقصروا في تأديتها إلى بعضهم ،فإن الحاجة المشتركة من العلم، والثقافة، وحفظ الصحة ،والأخلاق،وأنواع الصناعة – تتعطل ،وبتعطلها يختل نظام الاجتماع ويعود إلى الانحلال والتقهقر

---

[1]- المرجع نفسه.ج 2.ص 47

[2]-المرجع نفسه .ج 2.ص 48

، وينحط بأفراده إلى أسفل الدركات .فلهذا بعد ما أمر الله تعالى بإتيان حقه – وهو توحيده في عبادته- أمر بإتيان حقوق العباد ،القريب منهم والبعيد [1].

ثم بين ابن باديس "حق القريب" و"حق المسكين" و"حق ابن السبيل" .

ففي هذا المثال نجد أن المفسر تجاوز التفسير الظاهري اللغوي إلى عرض قضية أهم وهي قضية "إتيان الحقوق" وحالها في المجتمع الجزائري وأهمية القيام بها وما ينتج عن تركها .

المطلب الثالث : مراعاة مقتضى الحال

المقصود بمراعاة مقتضى الحال هنا ملاحظة المفسر للواقع ومراعاته بخصوصياته وملابساته في اختيار المناهج وتحديد الأساليب التي تتم بها عملية إصلاحه .

وهي خاصية من أهم خصائص الإصلاح الناجح عند الشيخ ابن باديس ،يؤصل لها من خلال مراعاة القرآن الكريم لوقائع من نزل عليهم، وطرقه للقضايا ذات الصلة باهتماماتهم واحتياجاتهم ومشكلاتهم .

يقول ابن باديس :"وكانت الوقائع تقع والحوادث تحدث والشبه تعرض والاعتراضات ترد فكانت الآيات تنزل بما تتطلبه تلك الوقائع من بيان وما تقتضيه تلك الحوادث من أحكام ،وما تستدعيه تلك الشبه من رد وتلك الاعتراضات من إبطال إلى غير ما ذكرنا من مقتضيات نزول آيات معروفة بأسباب النزول .

وفي بيان الواقعة عند وقوعها ،وذكر حكم الحادثة عند حدوثها ورد الشبهة عند عروضها ،وإبطال الاعتراض عند وروده ،ما فيه من تأثير في النفوس ووقع في القلوب ورسوخ في العقول ،وجلاء في البيان ،وبلاغة في التطبيق واستيلاء على السامعين "[2].

ثم يكمل مبيننا حظ المسلمين من العمل بهذه الحكمة فيقول :" حظنا من العمل بهذه الحكمة أن نقرأ القرآن ونتفهمه حتى تكون آياته على طرف ألسنتنا ،ومعانيه نصب أعيننا ،لنطبق آياته على أحوالنا ،ونتزلها عليها كما كانت تنزل على الأحوال والوقائع.

---

[1]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود .ج 1.ص 217-218

[2]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج 2.ص 57-58

فإذا حدث مرض قلبي أو اجتماعي طلبنا دواءه في القرآن وطبقناه عليه ،وإذا عرضت شبهة أو ورد اعتراض طلبنا فيه الرد والإبطال ،وإذا نزلت نازلة طلبنا فيه حكمها ،وهكذا نذهب في تطبيقه وتنزيله على الشؤون والأحوال إلى أقصى حد يمكننا "[1].

ثم حث ابن باديس أئمة المساجد أن يعتبروا بالقرآن في توخيهم في خطبهم الوقائع النازلة وتطبيقها على مقتضى الحال يقول تحت عنوان "اقتداء" :" انظر إلى هذه الحكمة في هذا التنزيل كيف كانت تنزل آياته على حسب الوقائع ،أليس في هذا قدوة صالحة لأئمة الجمع وخطبائها في توخيهم بخطبهم الوقائع النازلة وتطبيقهم خطبهم على مقتضى الحال ؟بلى والله؟ بلى والله؟

وقد كانت الخطب النبوية والخطب السلفية كلها على هذا المنوال تشتمل مع الوعظ والتذكير على ما يقتضيه الحال ،وأما هذه الخطب المحفوظة المتلوة على الأحقاب والأجيال فما هي إلا مظهر من مظاهر قصورنا وجمودنا.

فإلى الله المشتكى وبه المستعان"[2].

ونلاحظ من خلال هذا النموذج التفسيري وغيره من النماذج الأخرى تصريح ابن باديس بضرورة مراعاة مقتضى حال المخاطبين عند اختيار الخطب ،وتحديد الأساليب والمناهج ،كما اتخذه كذلك منهجا في دروسه التفسيرية مؤصلا لهذه الخاصية من القرآن الكريم الذي راعاها في كل مراحل نزوله.

واعتمد ابن باديس في تقويم الواقع الذي عاصره ومعرفة احتياجاته ومشكلاته بالانخراط الفعلي في هذا الواقع، والاحتكاك المباشر في دوائره المختلفة ،فقد عايش الناس بكل فئاتهم وطبقاتهم وتعامل معهم،ووقف على كثير من مشكلاتهم ،فمكنه هذا الانخراط الفعلي في الواقع من كسب خبرة كبيرة لهذا الواقع وتجاوز مجرد الملاحظة السطحية لما يبدو من مظاهر قد تخدع من يعتمد عليها في تقويمه والنظر إليه .

وذلك من خلال الحوارات التي كانت تدور بينه وبين الناس من حوله ،و قد كان إماما يلجأ إليه الناس في كثير من شؤونهم سواء تعلق الأمر بطلب بيان حكم الشرع في بعض ما تلبسوا به من عمل ،أم نقض النزاعات والخصومات التي تكون بينهم ،ولاستشارته في بعض ما يخصهم لثقتهم بسداد رأيه[1].

---

[1]-المرجع نفسه.ج 2.ص 58

[2]- المرجع نفسه .ج 2.ص 58-59

وقد تكررت هذه الظاهرة ' مراعاة مقتضى الحال' في تفسير ابن باديس كثيرا ،وسأختار نموذجا تفسيريا لهذه الظاهرة والقيام بتحليله .

النموذج المختار :

عند تفسير ابن باديس لقوله تعالى : {**لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّـــهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾** }النور :63

فبعد بيان معنى الآية وألفاظها ومناسبتها للآية التي قبلها ،بين الإمام ابن باديس وجوه الفتنة وأسبابها بقوله:"مخالفة السنة النبوية والهدي المحمدي ،وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في تنفيذ شرع الله وتطبيق أحكامه وتمثيل الإسلام تمثيلا عمليا –تلك المخالفة- هي سبب كل بلاء لحق المسلمين حتى اليوم بحكم صريح هذه الآية.

وقد ذكر المفسرون في تفسير الفتنة أشياء على وجه التمثيل لا على وجه الحصر والتحديد ،فذكروا الكفر والقتل والاستدراج بالنعم ،وقسوة القلب عن معرفة المعروف والمنكر ،والطبع على القلب حتى لا يفقه شيئا وكل هذا قد أصاب المسلمين بسبب مخالفتهم "[2].

فابن باديس هنا لفت انتباه المتلقين لبعض وجوه الفتنة والتي لا يرون أنها فتنة،وذلك لمعرفته بالواقع المعيش للمتلقين ،فلفت انتباههم لها يتجنبوها .

ثم وتحت عنوان فرعي آخر ' أعظم الفتنة' نقل المفسر النص القرآني من سياقه الزماني الذي أنزل فيه إلى سياقه الزماني الذي فسر فيه ،والتنبيه على أعظم فتنة في ذلك الوقت وهي سلطة الاستعمار الفرنسي الجائرة ،فلاحظ من خلال هذا مراعاة ابن باديس لمقتضى حال المخاطبين بتوجيه النص لهذه القضية السياسية الخطيرة وذلك في أسلوب غير مباشر ،لتبيين الوضع المزري الذي يعيشون فيه ،فهو يقصد بالفتنة هنا ' الاستعمار الفرنسي ' فيقول:" غير أن أعظم الفتنة –فيما نرى- هو ما قاله الإمام جعفر الصادق :'أن يسلط عليهم سلطان جائر' فإنه

---

[1]- منهج الإصلاح ومجالاته بين عبد الحميد بن باديس وابراهيم بيوض:نور الدين سكحال ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه .جامعة الأمير عبد القادر ،كلية أصول الدين ،قسم الدعوة والإعلام والإتصال (1428 – 1429 هـــ /2007-208م) ص 765

[2]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1.ص 430

إذا جار السلطان – وهو من له السلطة في تدبير أمر الأمة والتصرف في شؤونها- فسد كل شيء،فسدت القلوب والعقول والأخلاق والأعمال والأحوال ،وانحطت الأمة في دينها ودنياها إلى أحط الدركات ،ولحقها من جرائه كل شر وبلاء وهلاك ،ثم يتفاوت ذلك الفساد بحسب ذلك الجور في قدره وسعته ومدة بقائه .

هذا إذا كان ذلك الجائر من جنسها ويدين – بحسب ظواهره- بدينها ،فكيف إذا لم يكن من جنسها ولا دينها في شيء

حقا إن أعظم ما لحق الأمم الإسلامية من الشر والهلاك كله جاءها على يد السلاطين الجائرين منها ومن غيرها. وهذا ما يشهد به تاريخها في ماضيها وحاضرها"[1].

فبعد ما لاحظ ابن باديس من تسلط واستبداد وجور الحكام الفرنسيين ،نراه هنا يوقظ العقول النائمة ويستنهض الهمم الراكدة حيث يوجه إلى المخاطبين في أسلوب غير صريح لبين لهم الوضع المزري الذي يعيشون فيه.

خلاصة :

- وخلاصة القول مما تقدم في هذا الفصل أن الإمام عبد الحميد بن باديس شخصية فذة ومفسر قدير للقرآن الكريم كرس ربع قرن من حياته لتفسير القرآن ،وكان تفكيره منصبا على أن يجعل من التفسير مبدأ انطلاق للنهوض بالأمة الجزائرية إيمانا منه بأنه لا فلاح للمسلمين لا بالرجوع إلى هدي القرآن والاستقامة على طريقته.
- أسلوب ابن باديس في التفسير كما وصفه البشير الإبراهيمي أسلوب سلفي النزعة والمادة ،عصري الأسلوب والمرمى يستمد من آيات القرآن وأسرارها أكثر مما يستمد من التفاسير وأسفارها .
- القرآن الكريم والسنة النبوية هما المصدران الأساسيان اللذان كان ابن باديس يعتمد عليهما في تفسيره .
- يمتاز تفسير ابن باديس بخصائص ذات غرض إصلاحي تتناسب وطبيعة تفسيره الإصلاحي الاجتماعي مثل خاصية التحذير ، خاصية التوجيه ،خاصية الاقتداء ،خاصية تنزيل النص القرآني على قضايا المجتمع.....

وجاءت هذه الخصائص في شكل عناوين فرعية جزئية مختارة بعناية فائقة يتسنى للقارئ من خلالها التعرف المسبق على محور الحديث المنطوي تحتها .

---

[1]- المرجع نفسه .ج 1.ص 431-432

- الغاية والهدف الرئيسي الذي سطره ابن باديس عندما تصدى لتفسير كتاب الله تتلخص في ثلاث نقاط هي

1- إشعار الناس أن القرآن هو المخلص الوحيد لما يعانونه ثم العمل على ردهم إليه بكل الطرق والوسائل.

2- فهم القرآن فهما كفهم السلف الصالح وتطبيقه كما طبقوه هم ،لأن ذلك هو الطرق الوحيد للعودة إلى القرآن .

3- أن يفسر القرآن تفسيرا حديثا على الطريقة السلفية ،فيخرج للناس فهما للقرآن كفهم السلف الصالح، ثم يربي الشعب الجزائري عليه ويحملهم على العمل به ،ثم يكون منهم رجالا كرجال السلف.

- اعتمد ابن باديس خلال تفسيره لكتاب الله وتوجيهه للنص القرآني على عدة طرق أهمها.

1- وضع النص القرآني في سياقه الزماني من أجل تحقيق أهدافه الإصلاحية بمعنى أن الشيخ ابن باديس راعى في تفسيره ما يطرأ على واقع الناس من أحداث مختلفة دينية ، اجتماعية ، اقتصادية وخاصة الأحداث السياسية والمتعلقة بالاحتلال الفرنسي .

2- مراعاة مقتضى حال المخاطبين بمعنى ملاحظة ابن باديس الواقع المعيش ومراعاته بخصوصياته وملابساته في اختيار وتحديد الأساليب التي تتم بها عملية إصلاحه.

3- مراعاة العصر وأزماته بمعنى أن ابن باديس لا يهمل الجانب اللغوي ممات يقتضيه التفسير الظاهر للقرآن وتقديم أسباب النزول أو المناسبة إن وجدت وشرح المفردات وإعطاء المعنى العام ،واستخراج الأحكام الشرعية إن وجدت ،غير أنه لا يطيل في عرض القضايا الخلافية بل نجده مباشرة يتعداها إلى عرض أزمات العصر ومشاكله على النص القرآني لاستخلاص الحلول والعلاج اللازم لها .

وبعدما عرجنا في هذا الفصل لحديث عن شخصية ابن باديس وتفسيره للقرآن الكريم ننتقل إلى الفصل الثاني مع جوانب التفسير الاجتماعي عند الشيخ ابن باديس .

الفصل الثالث: جوانب التفسير الاجتماعي عند الشيخ ابن باديس

تمهيـــد

المبحث الأول : الإصلاح الديني والخلقـــي

المبحث الثاني : الإصلاح الاجتماعـــي

المبحث الثالث : الإصلاح السياســـي

المبحث الرابع : الإصلاح التعليمي والتربوي

خلاصـــة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيـــد :

لم تكن الحركة الإصلاحية التي قادها الشيخ عبد الحميد بن باديس محصورة في مجال واحد، بل كانت دعوته شاملة تناولت جميع النواحي :الدينية، الاجتماعية، الأخلاقية والسياسية.

والمتتبع لحياة الشيخ ابن باديس وتفكيره، وأعماله الإصلاحية يجد أن الإمام اختار لنفسه طريقا في العلم والإصلاح والتربية والتعليم يقوم أساسا على كتاب الله تعالى، يقول ابن باديس : "وليكن دليلنا في ذلك وإمامنا كتاب ربنا وسنة نبينا، وسيرة صالح سلفنا، ففي ذلك كله ما يعرّفنا بالحق ويبصرنا بالعلم، ويفهمنا في الدين ويهدينا إلى الأخذ بأسباب القوة والعزة والسيادة العادلة في الدنيا ونيل السعادة الكبرى في الآخرة .

وقد اتخذ ابن باديس من تفسير كتاب الله وسيلته إلى الدعوة والإصلاح، فكان منطلقه من النص القرآني، وهدفه هو إصلاح واقع المجتمع الذي كان أحد أفراده يعيش معه كل الظروف والأحوال باختلافهما، فاتخذ من كتاب الله وسيلة لإصلاح أحواله دينيا، وأخلاقيا، واجتماعيا، وسياسيا، إيمانا منه أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها وهو القرآن الكريم، فالتمس العبرة منه وضرب الأمثال ليوقظ شعبه الذي قيده الاستعمار، وختم عليه الجهل والفقر والهوان .

وكانت غايته تصحيح العقائد وتتميم مكارم الأخلاق، وتوحيد المفاهيم والتصورات، وإصلاح الأوضاع المتدهورة، فلم يجعل من كتاب الله كتاب فقه أو لغة أو نحو أو علم كلام، لأنه تجاوز هذا كله إلى ما هو أهم في نظره وهو استخراج كنوز القرآن الهدائية الإصلاحية منه، وذلك عن طريق عرض الواقع بكل ملابساته وظروفه على النص القرآني بغية إيجاد حلول لمشاكله وأزماته المتعددة، إيمانا أن الحركة الإصلاحية يجب أن تكون شاملة لكل مجالات الحياة .

يقول ابن باديس :" لا نجاة لنا من هذا التيه الذي نحن فيه والعذاب المنوع الذي نقوده ونقاسيه إلا بالرجوع إلى القرآن :إلى علمه وهديه وبناء العقائد والأحكام عليه"

ويقول كذلك :"إن القرآن الذي كون رجالا في السلف لا يَكْثُرُ عليه أن يكون رجالا في الخلف إذا أحسن فهمه وتدبره وحملت الأنفس على منهجه" .

فابن باديس يجعل صوب عينيه دائما ضرورة العمل بالقرآن والرجوع إليه في كل المحاولات الإصلاحية، فليس من منهج لإصلاح الفرد والمجتمع، يعد منهجا متكاملا قادرا على الإصلاح الحقيقي في تغيير الأحوال والظروف سوى القرآن الكريم.

المبحث الأول : الإصلاح الديني والخلقي

إن الإصلاح الديني بصورة عامة في مجال الإسلام له صلة مباشرة ووثيقة بالعصر الذي يتم فيه هذا الإصلاح، وبالظروف التي عاشها المفكر الذي يقوم بهذه العملية الإصلاحية.

والوضع الديني السائد في الجزائر وفي غيرها من الدول الإسلامية في عهد ابن باديس كان مشوبا بالمفاهيم المغلوطة، والأفكار الجامدة والمعتقدات الفاسدة، والسلوكات المنحرفة، مما دفع الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى التركيز على هذا الجانب (الإصلاح الديني والخلقي)، متتبعا الآيات التي تعالج مثل هذه الانحرافات والأفكار، والمعتقدات الفاسدة، وتقديمها للناس في قالب بسيط ومباشر.

وقد انتهج ابن باديس نهج المصلحين قبله [1] في مقاومة الخرافات والبدع، والعودة بالإسلام إلى منابعه الصافية : الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح مستهدفا النهوض بالمجتمع عن طريق الإصلاح الديني الذي تعددت وجوهه وأساليبه، فشمل العقائد والتصورات والأخلاق، والسلوكات، والأحكام والمعاملات .....

المطلب الأول : إصلاح العقائد

لقد أولى ابن باديس القضايا الإعتقادية اهتماما بينا، وتطرق إلى مسائل متعددة من قضايا العقيدة وسعى لإصلاح عقيدة الناس وتنقيتها مما طرأ عليها من الشوائب والخرافات والبدع .

الفرع الأول : المصادر الأساسية لتلقي العقيدة

لقد كان ابن باديس، كما كان غيره من دعاة الإصلاح في العالم الإسلامي يدعو إلى العودة للينابيع الأولى للإسلام وإلى منهج السلف وطريقتهم لأن ذلك هو العاصم من الزلل والانحراف وبخاصة في العقائد، لأنه كان يرى أن كل ما حدث للمسلمين من انحراف وضلال وتيه كان سببه البعد عن منهج السلف في التلقي فالكتاب والسنة النبوية هما المصدران الأساسيان لتلقي العقيدة، وأن القرآن بسط عقائد الإيمان كلها بأدلتها

[1] – أمثال :الشيخ محمد ابن عبد الوهاب وجمال الدين الأفغاني وعبد الرحمان الكواكبي، والشيخ محمد عبده وغيرهم

الواضحة القاطعة، فلا حاجة للجوء إلى طرائق المتكلمين المعقدة ومصطلحاهم المحدثة التي يصعب فهمها على طلبة العلم، فضلا عن عامة الناس، و قد بين ذلك في أكثر من موضع من تفسيره .

قال رحمه الله :"أدلة العقائد مبسوطة كلها في القرآن العظيم بغاية البيان ونهاية التيسير.... فحق على أهل العلم أن يقوموا بتعليم العامة لعقائدها الدينية، وأدلة تلك العقائد من القرآن العظيم، إذ يجب على كل مكلف أن يكون في كل عقيدة من عقائده الدينية على علم، ولن يجد العامي الأدلة لعقائده سهلة قريبة إلا في كتاب الله، فهو الذي يجب على أهل العلم أن يرجعوا في تعليم العقائد للمسلمين إليه .

أما الإعراض عن أدلة القرآن والذهاب مع أدلة المتكلمين الصعبة ذات العبارة الاصطلاحية فإنه من الهجر لكتاب الله وتصعيب طريق العلم على عباده وهو في أشد الحاجة إليه، وقد كان من نتيجته ما نراه اليوم في عامة المسلمين من الجهل بعقائد الإسلام وحقائقه"[1].

كما بين رحمه الله أن من أسباب الأوهام والشكوك التي تحدث في قلوب الناس الرجوع إلى طريقة الفلاسفة واصطلاحات المتكلمين واختلافاهم في ذلك، وأكد بأن أدلة القرآن وحدها كفيلة بإزالة هذه الاضطرابات .

قال رحمه الله وعند تفسيره لقوله تعالى : {**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾**} الفرقان :32 " قلوبنا معرّضة لخطرات الوساوس، بل للأوهام والشكوك، الذي يثبتها ويرفع عنها الاضطراب ويربطها باليقين هو القرآن العظيم، ولقد ذهب قوم مع تشكيكات الفلاسفة وفروضهم ومماحكات المتكلمين ومناقضاتهم، فما ازدادوا إلا شكا،وما ازدادت قلوبهم إلا مرضا، حتى رجع كثير منهم في أواخر أيامه إلى عقائد القرآن وأدلة القرآن، فشفوا بعد ما كادوا كإمام الحرمين وفخر الرازي"[2].

وللشيخ عبد الحميد بن باديس كلام كثير يبين فيه منزلة السنة النبوية وانه ينبغي اعتمادها في بيان العقيدة نمن ذلك قوله مبينا منزلة السنة وأنها جاءت بيانا لما جاء في القرآن موضحة لمشكله ومفسرة لمجمله "وأفادت أن جميع هذا الدين وحي من الله منزلة على نبيه صلى الله عليه وسلم، وهذا لأن مرجع الإسلام في أصوله وفروعه إلى القرآن، وهو وحي من الله، وإلى السنة النبوية، وهي وحي أيضا لقوله تعالى: {**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا**

---

[1]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 2.ص 27

[2]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 2.ص 55

وَحْيٌ يُوحَى ﴿٤﴾ } النجم :03-04 وكل دليل من أدلة الشريعة إنه يرجع إلى هذين الأصلين، ولا يقبل إلا إذا قبلاه ودلا عليه .

وكل شيء ينسب للإسلام ولا صل له فيهما فهو مردود على قائله، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ' **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه هو رد**'[1]."[2].

ويقول كذلك مؤكدا مكان السنة النبوية من القرآن الكريم، وضرورة الرجوع إليهما (القرآن والسنة) بشكل دائم متجدد وتحت عنوان 'الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله لازم دائم':" إن الحاجة إلى إرشاد الله وتوفيقه دائمة متجددة، فكل عمل من أعمال لإنسان، وكل حال من أحواله، هو محتاج فيه إلى هداية الله ودلالته ليعرف ما يرضاه الله منه ممّا لا يرضاه، وهو محتاج فيه إلى توفيق الله وتيسيره ليقوم بما يرضاه منه وشرعه له ودلّه عليه .

ولن يزال العبد- غير المعصومين عليهم الصلاة والسلام- تغشاه ظلمات الشبهات والشهوات، فيحتاج إلى دلالة الله وتوفيقه، ليخرج منها إلى نور الله والاستقامة، فالعبد محتاج دائما إلى الرجوع إلى كتاب الله وما ثبت من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ليهتدي إلى ما يرضي الله إلى ما شرعه له من أحواله وأفعاله وإلى ما يدفع عنه شبهاته وينقذه من شهواته ومحتاج إلى التوسل بذلك الرجوع إليهما وذلك الاتباع لهما إلى الله، ليفتح له أبواب المعرفة، ويمد له أسباب التوفيق "[3].

ويقول رحمه الله في موقف آخر :" تمر على العبد أحوال يكون فيها متحيرا مرتبكا كمن يكون في ظلام، منها حالة الكفر والإنكار، وليس لمنكر الحق المتمسك بالهوى المقلد للآباء من دليل يطمئن به ولا يقين للمصير الذي ينتهي إليه، ومنها حالة الشك، ومنها حالة اعتراض الشبهات، ومنها حالة ثوران الشهوات.

وكما أن الله يرشد ويوفق من تبعوا رضوانه طرق السلامة والنجاة بالرسول صلى لله عليه وسلم والقرآن، كذلك يخرجهم بهما بإتباعهما والاهتداء بهما من ظلمات الكفر والشك ولشبهات والشهوات وما فيها من حيرة وعماية

---

[1]- أخرجه البخاري في كتاب الصلح،باب :إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (2697) الجامع الصحيح محمد ابن إسماعيل البخاري، ت :محي الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبد الباقي وقصي محي الدين الخطيب .المطبعة السلفية، القاهرة،ط.1(1400ه).ج 2. ص 267.

وأخرجه مسلم في كتاب الأقضية، باب :نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور .الجامع الصحيح: مسلم ابن الحجاج، طبعة مصححة ومنقحة .ج 5.ص 132

[2]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 2.ص 273

[3]- - المرجع نفسه. ج 1.ص 117

إلى الحلة التي تطمئن فيها القلوب كما تطمئن في النور عندما يسطع يبدد سدول الظلام، فبإتباعهما فقط تطمئن القلوب بالإيمان واليقين، فتضمحل أمامها الشبهات، وتكسر سلطان الشهوات "[1].

ويقول كذلك :"فعلى كل مؤمن أن يسلك هذا السلوك فيحضر مجالس العلم التي تذكره بآيات الله وأحاديث رسوله صلى لله عليه وسلم ما يصح عقده ويزكي نفسه ويقوم عمله"[2].

وهذا المنهج السليم لتلقي العقيدة والذي اتبعه ابن باديس، حاذيا حذو السلف في تدريس العقائد الإسلامية معتمدا على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، مجتنبا تفسيرات المذاهب المختلفة وتأويلات أصحابها مما يبعده عن جادة الصواب أحيانا، ويثير الحيرة والبلبلة أمام المتلقين.

وكتابه ' العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ' خير دليل على ذلك فعنوانه يدل على مضمونه فهو ترجمة عملية لمنهج الشيخ في أخذ وتلقين العقيدة الإسلامية، وكان أسلوبه فيه بسيطا مباشرا يستدل فيه على مسائل العقيدة للآيات القرآنية والأحاديث النبوية دون تعرض لخلافات المذاهب المتنوعة[3].

الفرع الثاني : التزام الصحة

ومن الأصول التي دعا إليها ابن باديس قي باب العقائد التزام الصحة فيما يروى من أخبار الآحاد في باب العقائد وعدم قبول الأحاديث الضعيفة والأخبار الإسرائيلية فيها، فليس كل ما يروى من الأخبار والأحاديث جاز أن تبنى عليه العقيدة، لأن التساهل في ذلك يسبب ديوعا لكثير من الخرافات والبدع [4], ويقول رحمه الله مبينا ضرورة التأكد من صحة الأخبار التي تبنى عليها العقائد والأحكام :" لا نعتمد في إثبات العقائد على ما ينسب لنبي صلى الله عليه وسلم من الحديث الضعيف لأنه ليس لنا به علم "[5].

وقال في هذا المعنى أيضا :" أحوال ما بعد الموت كلها من الغيب فلا نقول فيها إلا ما كان لنا به علم بما جاء في القرآن العظيم أو ثبت في الحديث الصحيح، وقد كثرت في تفاصيلها الأخبار من الراويات مما ليس بثابت، لا

---

[1]-مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج 1.ص 115

[2]- المرجع نفسه.ج 2.ص 173-174

[3]- ينظر العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والحديث النبوية :عبد الحميد بن باديس، ت: محمد الحسن فضلاء. دار البعث. قسنطينة.ط.1.(1406هـ/1958م) .

[4]- الرد النفيس على الطاعن في العلامة ابن باديس :محمد حاج عيسى. ص 23

[5]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1.ص 272

يجوز الالتفات إلى شيء من ذلك ومثل هذا كل ما كان من عالم الغيب مثل الملائكة، والجن،والعرش والكرسي، والقلم، و أشراط الساعة، وما لم يصل إليه علم البشر"[1].

الفرع الثالث: موقفه من طريقة المتكلمين وتجنب الخوض في المسائل الكلامية

وهذا الأصل منبثق عن الأصل الأول فبينما دعا ابن باديس إلى الرجوع إلى المصادر الأصلية لتلقي العقيدة، دعا في المقابل إلى الطريقة الكلامية في إثبات العقائد الدينية المبنية على العقلية وهجر الدلائل القرآنية، وعلى مبدأ تقديم العقل على النقل .

ويعدُ ابن باديس المنهج الكلامي في تلقي العقيدة أصلا لمجموعة من الانحرافات الإعتقادية والمظاهر الشركية، والمتصفح لتفسير ابن اديس يجد نماذج عدة انطلق فيها ابن باديس من عقيدة كمال الدين وكفايته عن مسالك المتكلمين، واعتبر أن هذا المنهج من مظاهر الهجر لكتاب الله .

فعند تفسيره لقوله تعالى : {**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَـــذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾**} الفرقان:30، بين وجوها متعددة لهذا الهجر أولها قوله "بسط القران عقائد الإيمان كلها بأدلتها العقلية القريبة القاطعة،فهجرناها وقلنا هذه أدلة سمعية لا تحصل اليقين، وأخذنا في الطرائق الكلامية المعقدة، وإشكالاتها المتعددة واصطلاحاتها المحدثة، مما يصعب أمره على الطلبة فضلا عن العامة"[2].

ووصف ابن باديس هنا الهاجر لكتاب الله كل من ابتغى الهدى فيه وأحسن الظن فيه، أما من صرح بتقديم القواعد العقلية على نصوص الكتاب والسنة فذلك أشد الهاجرين قال :" شَر الهاجرين للقرآن هم اللذين يضعون من عند أنفسهم يعارضونه به ويصرون وجوه الناس إليهم وإلى ما وضعوه عنه لأنهم جمعوا بين صدهم وهجرهم في أنفسهم وصد غيرهم فكان شرهم متعديا وبلاؤهم متجاوزا وشر الشر وأعظم البلاء ما كان كذلك"[3].

كما بين ابن باديس رحمه الله في تفسيره عن الآثار المدمرة لهذا المنهج الكلامي، وأرجع ضلال الأمة وجهلها لحقائق العقيدة الإسلامية إلى رواج علم الكلام فقال :" أما الإعراض عن أدلة القرآن والذهاب مع أدلة

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج 1.ص 272-273

[2]- المرجع نفسه. ج 2.ص 43-44

[3]- المرجع نفسه .ج 2.ص 46

المتكلمين الصعبة ذات العبارات الاصطلاحية فإنه من الهجر لكتاب الله، وتصعيب طريق العلم إلى عباده وهم في أشد الحاجة إليه، وقد كان من نتيجة هذا ما نراه اليوم في عامة المسلمين من الجهل بعقائد الإسلام وحقائقه"[1].

وواصل ابن باديس بعدما بين فساد المنهج الكلامي وإفساده للناس، وأبان عن شبهات المدافعين عن المنهج الكلامي وأنه السبيل للدفاع عن العقيدة الإسلامية،فبين رحمه بأن القرآن قد أغنى عن علم الكلام وأنه لم يخل بهذا الجانب (دفع الشبهات والجدل عن الحقائق الدينية بالحجج العقلية)

فقال رحمه الله تعالى عند تفسيره لقوله تعالى : { **وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا** } الفرقان:33 "إذا تتبعت آيات القرآن وجدتها قد أتت بالعدد الوافر شبه الضالين واعتراضاتهم، ونقضتها بالحق الواضح والبيان الكاشف في أوجز لفظ وأقربه وأبلغه .

وهذا قسم عظيم جليل من علوم القرآن يتحتم على رجال الدعوة والإرشاد أن يكون لهم به فضل عناية ومزيد دراية وخبرة . ولا نحسب شبهة ترد على الإسلام إلا وفي القرآن العظيم ردها بهذا الوعد الصادق من هذه الآية الكريمة فعلينا عند ورود شبهة من كل ذي ضلالة أن نفزع إلى آي القرآن،ولا أخالنا إذا أخلصنا القصد وأحسنا النظر إلّا واجديها فيها،وكيف لا نجدها في آيات ربنا التي هي الحق وأحسن تفسيرا؟"[2].

كما دعا ابن باديس إلى تجنب الخوض في المسائل الكلامية التي جاء بها هذا المنهج الكلامي، وعلى هذا المنهج سار ابن باديس فيما أملاه من كتاب العقائد الإسلامية، وفيما كتبه من المقالات الدينية .

الفرع الرابع: تقرير مسائل الاعتقاد وفق ما دلت عليه النصوص الشرعية

اعتنى ابن باديس عناية كبيرة بتصحيح العقائد ومحاربة مظاهر الشرك بمختلف أنواعه مما أحدثه المبتدعة وأتباع الطرق الصوفية من المعتقدات الفاسدة والتصورات المنحرفة المبنية على الجهل والخرافات .

ولما كان أظهر الأعمال الشركية التي فشت في الأمة هي دعاء غير الله من أهل القبور وغيرهم، فقد كان رحمه الله لا يضيع أية فرصة تتاح لتبيين هذا الأمر، وتعليم الناس أن الدعاء من العبادات التي ينبغي أن يفرّد بها المولى عز وجل .

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج 1.ص 271

[2] - المرجع نفسه. ج 2.ص 61-62

فعند تفسيره لقوله تعالى : {قُلِ ادعُوا الَّذينَ زَعَمتُم مِن دونِهِ فَلا يَملِكونَ كَشفَ الضُّرِّ عَنكُم وَلا تَحويلًا ﴿٥٦﴾} الإسراء:56، نبه ابن باديس العامة على بعض مظاهر الشرك، وأنه لا يملك كشف الضر وتحويله، ولا جلب النفع غير الله تعالى وذلك في قوله:" تدل الآية على أن دعاء غير الله تعالى لدفع الضر- ومثله جلب النفع- عبادة للمدعو، فإن المشركين كانوا يتعبدون لآلهتهم بهذا الدعاء الذي نماهم الله تعالى عنه ببيان خيبتهم فيه ووقوعه في غير محله....

ودلت الآية أيضا على أنه لا يجوز دعاء غير الله من الخلوقين أي مخلوق كان لدفع ضر - ومثله جلب نفع- لأن الآية نعت على المشركين دعاءهم من لا يملك كشف الضر ولا تحويله، وهذا أمر يشترك فيه جميع المخلوقين، فلا مخلوق يستطيع كشف الضر أو تحويله عن نفسه ولا عن غيره، فلا مخلوق يجوز دعاءه .

ودلت على أن كشف الضر أو تحويله- ومثله جلب النفع- إنما هو للمعبود الحق، لأن الآية استدلت عليهم في مقام الأمر بتوحيد الله بالعبادة، بانتفاء ملك كشف الضر أو تحويله عن غير الله، فأفاد ذلك قصر هذا التصرف عليه تعالى وحده"[1].

ثم يصل ابن باديس إلى استنتاج يقول فيه :" لما ثبت شرعا أن الدعاء عبادة، فمن دعا شيئا فقد عبده ولو كان هو لا يسمي دعاءه عبادة، جهلا منه أو عنادا، لأن العبرة بتسمية الشرع واعتباره لا بتسمية المكلّف واعتباره[2]".

ثم وتحت عنوان 'تحذير وإرشاد' يرشد ابن باديس ويحذر المتلقين " أن يتوجهوا بشيء من دعائهم لغير الله، ويحذّر غيرهم منه، وأن ينشروا هذه الحقائق بين إخوانهم المسلمين بما استطاعوا عسى أن يتنبه الغافل، ويتعلم الجاهل، ويقلع الضالون عن ظلالهم، ولو بطريق التدرج "[3] .

كما أكد ابن باديس أن الدعاء عبادة في مواضع عدة من تفسيره، منها تفسيره قوله تعالى : { وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّـهِ إِلَـٰهًا آخَرَ }الفرقان :68، حيث قال :" من دعا غير الله فقد عبده ..... ما يزال الذكر الحكيم يسمي العبادة دعاء ويعبّر به عنها، ذلك لأنه عبادة، عبر عن النوع ببعض أفراده، وإنما اختير هذا الفرد ليعبر به عن النوع، لأن الدعاء مخ العبادة وخلاصتها، إن العابد يظهر ذلّه أمام عز المعبود، وقره أمام غناه، وعجزه أمام

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1.ص 296-297

[2] - المرجع نفسه.ج 1.ص 297

[3]- المرجع نفسه .ج 1.ص 299

قدرته، وتمام تعظيمه له وخضوعه بين يديه، ويعرب عن ذلك بلسانه ، بدعائه وندائه وطلبه منه حوائجه، فالدعاء هو المظهر الدال على ذلك كله ولهذا كان مخ العبادة "[1].

ثم يواصل قائلا :" من دعا شيئا قد اتخذه إلها :لما ثبت أن الدعاء عبادة، فالداعي عابد والمدعو معبود، والمعبود إله فمن دعا شيئا فقد اتخذه إلهه، لأنه فعل له ما لا يفعل إلا للإله، فهو وإن لم يسمه إلها بقوله فقد سماه بفعله"[2].

فابن باديس هنا بين أن من دعا شيئا فقد عبده واتخذه إلها من دون الله، ثم وتحت عنوان فرعي آخر 'تحذير وإرشاد' بين لنا بعض مظاهر عبادة غير الله عند الجزائريين بقوله:" ما أكثر ما نسمع في دعاء الناس : 'يا رب والشيخ' ! "يا رب وناس ربي' ! 'يا رب والناس الملاح' . وهذا من دعاء غير الله مع الله، فإياك أيها المسلم وإياه، وادع الله ربك وخالقك وحده وحده وحده، وأنف الشرك راغم"[3].

وفي كلا المثالين نلاحظ أن ابن باديس ينطلق من معنى الآية ويحاول إسقاطها على المجتمع الجزائري وعلاج أمراضه وعلله على ضوئها.

كما نجد أيضا في تفسير ابن باديس وفي مواضع كثيرة الإعلان عن عقيدة التوحيد والبراءة من مظاهر الشرك الجلي والخفي، وهو يجهر بذلك في كل مناسبة، وفي كل مكان كما هو معلوم من سيرته وكما هو واضح من كتاباته .

وكما ذكرنا سابقا فإن أظهر الأعمال الشركية التي فشت في الأمة هي دعاء غير الله تعالى من أهل القبور وغيرهم فقد كان الشيخ لا يضيع أية فرصة ليبين هذا الأمر وتعليم الناس أن الدعاء لله وحده، والأمثلة السابقة وغيرها دليل على هذا، وكما بين ابن باديس هذه المظاهر الشركية نجد أنه بين وقرر للناس بعض أصول العقيدة مثل التوحيد وأقسامه.

بين ابن باديس للنا التوحيد وأقسامه بقوله :" التوحيد هو اعتقاد وحدانية الله وإفراده بالعبادة، فالأول هو التوحيد العلمي والثاني هو التوحيد العملي، ولا يكون المسلم مسلما إلا بهما "[4].

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج 2.ص 134

[2]- المرجع نفسه.ج 2.ص 137

[3]- المرجع نفسه .ج 2.ص 135

[4]- العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والحديث النبوية :عبد الحميد بن باديس، ت: محمد الحسن فضلاء.

كما بين هذا الأصل (التوحيد) عند تفسيره لقوله تعالى : {**لا تَجعَل مَعَ اللَّـهِ إِلـهًا آخَرَ فَتَقعُدَ مَذمومًا مَخذولًا** ﴿٢٢﴾ } الإسراء:22 يقول :" التوحيد هو أساس الدين كله، وهو الأصل الذي لا تكون النجاة ولا تتقبل الأعمال إلا به، وما أرسل الله رسولا إلا داعيا إليه ومذكرّا بحججه، وقد كانت أفضل كلمة قالها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هي كلمة: ' لا إله إلا الله' وهي كلمته الصريحة فيه، ولا تكاد سورة من سور القرآن تخلو من ذكره والأمر به والنهي عن ضده.....فنهى الله الخلق كلهم عن أن يعتقدوا معه شريكا في ألوهيته فيعبدوه معه،ليعتقدوا أنه الإله وحده فيعبدوه وحده، وبين لهم أنهم إن اعتقدوا معه شريكا وعبدوه معه فإن عبادتهم تكون باطلة، وعملهم يكون مردودا عليهم،وأنهم يكونون مذمومين من خالقهم ومن كل ذي عقل سليم من الخلق، ويكونون مخذولين لا ناصر لهم فأما الله فإنه يتركهم وما عبدوا معه، وأما معبوداتهم فإنها لا تنفعهم، لأنها عاجزة مملوكة مثلهم، فما لهم- قطعا- من نصير" "[1].

ثم أكمل مبيننا أن العبادة لا تكون إلا لله وحده لا شريك له وذلك في قوله :" فالعبادة بجميع أنواعها لا تكون إلا له، فذل القلب وخضوعه والشعور بالضعف والافتقار والطاعة والانقياد والتضرع والسؤال، هذه كلها لا تكون إلا لله.

فمن خضع قلبه لمخلوق على أنه يملك ضره أو نفعه فقد عبده، ومن شعر بضعه وافتقاره أمام مخلوق على أنه يملك إعطاءه أو منعه فقد عبده، ومن ألقى قياده بيد مخلوق يتبعه فيما يأمره وينهاه، غير ملتفت إلا إنه من عنده أو من عند الله فقد عبده، ومن توجه لمخلوق فدعاه ليكشف عنه السوء أو يدفع عنه الضر فقد عبده، فالله تعالى يعلم الخلق كلهم في هذه الآية أمر أمرا عاما وحكم حكما جازما بأن العبادة لا تكون إلا له "[2].

ثم عرج على ذكر أنواع التوحيد بقوله :"وجيء باسم الرب في مقام الأمر بقصر العبادة عليه تنبيها على أن الذي يستحق العبادة هو من له الربوبية للخلق والتدبير والملك والإنعام، وليس ذلك إلا له، فلا يستحق العبادة بأنواعها سواه.

فهو تنبيه بوحدانية الربوبية التي من مقتضاها انفراده بالخلق، والأمر الكوني والشرعي على وحدانية الألوهية التي من مقتضاها استحقاقه وحده عبادة جميع مخلوقاته .

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج.1.ص 183-185

[2]- المرجع نفسه .ج 1.ص 185-186

وكما انتظمت هذه الجملة توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية كذلك انتظمت مع الآية السابقة التوحيد العلمي والتوحيد العملي .

فالأولى:نهي عن أن نعتقد الألوهية لسواه، وهو يتضمن النهي عن اعتقاد ربوبية سواه،وهذا من باب العلم

والثانية :أمر بأن تكون عبادتك مقصورة عليه، لأنه هو ربك وحده، وهذا من باب العمل"[1].

ثم بين أن كمال التوحيد لا يكون إلا بتوحيد الله في ربوبيته وألوهيته علما وعملا وذلك في قوله :" فمن وحد الله عز وجل في ربوبيته وألوهيته، علما وعملا، فقد استكمل حظه من مقام هذا الأساس العظيم، ومن أخل بشيء من ذلك نقصا في دينه بقدر ما أخل، حتى ينتهي الأمر إلى خلّص المشركين،نعوذ بالله من الشرك جليه وخفيه، إنه سميع عليم "[2].

ومن الأمور الإعتقادية التي تطرق إليها ابن باديس في تفسيره، بيان معنى الإيمان، وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص .

يقول ابن باديس :" فالإيمان والتقوى هما العلاج الوحيد لنا من حالتنا ..... ولنبدأ من الإيمان بتطهير عقائدنا من الشرك وأخلاقنا من الفساد وأعمالنا من المخالفات "[3].

وعند تفسيره لقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَـنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾}مريم:96

يقول :" الإيمان —وهو التصديق الصادق المثمر للأعمال- والأعمال الصالحة- وهي المستقيمة النافعة المبنية على ذلك الإيمان — هما اللذان جعلهما الله سببا في تحقيق جعل هذا الود "[4].

ويقول رحمه الله عن زيادة الإيمان ونقصانه :" الإيمان يزيد وينقص، يزيد بزيادة الأعمال وينقص ابنقصانها"[5].

وحذر ابن باديس العامة من الكفر والخيانة وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : {إِنَّ اللَّـهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّـهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ } الحج :38

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1.ص 187

[2]- المرجع نفسه .ج 1.ص 186-187

[3]- المرجع نفسه.ج 1.ص310

[4]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج.1.ص 374

[5]- العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والحديث النبوية :عبد الحميد بن باديس، ت: محمد الحسن فضلاء. ت: محمد الصالح رمضان، دار الفتح.الشارقة .ط.1.(1416هـ/1995م) .ص 46

"إن الحب من الله والبغض كسائر أفعاله لا تقع إلا على وجه الحق والعدل والسداد، وهذا أمر واجب لأفعال الرب الحكيم فالمؤمنون أحبهم ونصرهم لإيمانهم، وأعداءهم أبغضهم وخذلهم لخيانتهم وكفرهم واقتضت هذه المقابلة أن الخيانة والكفر من صفات أضدادهم وليست من صفاتهم فإيمانهم مستلزم لأماناتهم بحفظ عهد الله عندهم في نفوسهم وعقولهم وأبدانهم وجميع ما لديهم على جميع أحوالهم،ومستلزم لاعترافهم بنعم الله وشكره عليها باستعمالها في طاعته وطلب المزيد من برّه .

وأمانتهم هذه وشكره هي مظهر إيمانهم الذي يميزهم عن أضدادهم، ويدل على صدقهم في ذلك الإيمان ورسوخه في قلوبهم .

فإذا عدمت منهم الأمانة، فخانوا الله ورسوله، وخانوا أمانتهم، وفشت الفواحش والمناكر والبدع فيهم، وصاروا لا يتناهون عن منكر فعلوه، وإذا بطروا نعم الله عندهم، فعطلوا منها ما عطلوا بجهلهم وكسلهم وقعودهم عن الخير وأسباب الحياة والسعادة، واستعملوا منها ما استعملوا في الشر والفساد وإتباع الشهوات – إذا كانوا هكذا، فقد استوجبوا غضب الله وبغضه ونقمته، وحرموا نصرته ودفاعه، وكانوا هم الظالمين"[1].

ثم بين ابن باديس أن الخيانة خيانتان :خيانة عقيدة وخيانة أعمال، وكذلك الكفر، وكذلك النفاق، وكذلك الشرك، وأن ما يخرج المرء عن أصل الإسلام لما كان في أصل العقيدة، لا لما كان في الأعمال إلا عملا يدل دلالة ظاهرة على فساد العقيدة وانحلالها "[2].

وتحت عنوان 'تحذير وتنبيه' يشير ابن باديس إلى معنى الخيانة وأن أعظم خيانة بعد الكفر هي خيانة العامة فيقول: "كل عمل لا يحل فهو خيانة وإن كان بأدنى إشارة، وقد نبه الله على هذا بقوله:{ **يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ**}غافر:19 وهي مسارقة النظر إلى ما لا يحل، والإشارة بطرف العين فيما يحرم.

وأعظم الخيانة بعد الكفر خيانة العامة، لأن الذنب يعظم بعظم أثره وانتشار ضرره "[3]

ومن الأمور المهمة في باب العقيدة والتي بينها ابن باديس من خلال تفسيره لكتاب الله مسألة الإيمان بالقدر مع إثبات الاختيار وذلك بإثبات علم الله السابق في مشيئته المطلقة وخلقه سبحانه لأعمال العباد،مع إثبات الاختيار للإنسان وقدرته على الفعل والترك معا [1].

---

[1]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1.ص407

[2]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج 1.ص 408

[3]– المرجع نفسه .ج 1.ص 409

وشرح ابن باديس هذا الركن في كتابه العقائد الإسلامية وقال رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى : {لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾} يس :07، لا حجة لمن مات على كفره بما سبق في علم الله فيه: قامت حجة الله على خلقه بما ركّب فيهم من العقل، وما مكنهم من اختيار، وما نصب لهم من آيات مشاهدات، وما أرسل إليهم من رسل بآيات بينات . وهذه كلها أمور معلومة لديهم، لا يستطيعون أن ينكروا شيئا منها [2]"

ويقول كذلك "أن الله تعالى إنما يحاسب عباده بما عملوه وكسبوه، واكتسبوه بما عندهم من التمكن من الفعل والترك وما عندهم من الاختيار، لا على علمه منهم قبل أن يفعلوه فلهذا يمتحنون لتظهر حقائقهم ويقع جزائهم على ما كسبت أيديهم باختيارهم ولا حجة لهم في تقدم علمه تعالى بما يكون منهم، لأن تقدم العلم لم يكن ملجأ لهم على أعمالهم "[3].

ومن الأمور المهمة في حياة الناس في مجال العقيدة، والتي نبه إليها ابن باديس في تفسيره فكرة السببية التي لا تتعارض مع عقيدة القضاء والقدر، فنعى على الناس جهلهم وقصورهم في فهم الفرار إلى الله من قوله تعالى : {فَفِرُّوا إِلَى اللَّـهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ } الذاريات :50،حيث فهموا –خطأ- أنه الفرار من الدنيا وترك السعي والعمل .

فقال تحت عنوان "تحذير من جهالة ":" ليس المقصود بالفرار من الدنيا ترك السعي والعمل وتعاطي الأسباب المشروعة لتحصيل القوت ورغد العيش، وتوسيع العمران وتشييد المدنية، بل المقصود الفرار من شرورها وفتنها.

وتناول ذلك كله على الوجه المشروع هو من الفرار إليه والدخول تحت شرعه كما قدمنا،وقد ظل قوم فزعموا ذلك طاعة وعبادة، فعطلوا الأسباب وخالفوا الشريعة، وحادوا عما ثبت من السنة[4]".

ويحث ابن باديس المؤمنين على ضرورة اعتقاد الحق والتمسك به وخذل الباطل في تفسيره لقوله تعالى:

{وَقُلْ جاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ الباطِلُ إِنَّ الباطِلَ كانَ زَهوقًا ﴿٨١﴾} الإسراء: 81

---

[1]– الرد النفيس على الطاعن في العلامة ابن باديس :محمد حاج عيسى. ص 44

[2]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 2.ص287

[3]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج 2.ص 288

[4]– المرجع نفسه. ج 2.ص322

فيقول تحت عنوان "سلوك" :"على أهل الحق أن يكون الحق راسخا في قلوبهم عقائد وجاريا على ألسنتهم كلمات، وظاهرا على جوارحهم أعمالا، يؤيدون الحق حيثما كان وممن كان ويخذلون الباطل حيث ما كان وممن كان، يقولون كلمة الحق على القريب والبعيد، على الموافق والمخالف، ويحكمون بالحق كذلك على الجميع، ويبدلون نفوسهم وأموالهم في سبيل نشره بين الناس وهدايتهم إليه بدعوة الحق وحكمة الحق وأسبابه ووسائله، على ذلك يعيشون وعليه يموتون، لنجعل هذا السلوك سلوكنا ويكون من همنا"[1].

وعند تفسيره لقوله تعالى : {**ادعُ إِلى سَبيلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجادِلهُم بِالَّتي هِيَ أَحسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبيلِهِ وَهُوَ أَعلَمُ بِالمُهتَدينَ﴿١٢٥﴾**}النحل :125، يحث الناس على التمسك بالدين والأخلاق الكريمة والتزام العقائد الحقة والقيام بالأعمال المستقيمة فيقول :"الحكمة هي العلم الصحيح الثابت المثمر للعمل المتقن، المبني على ذلك العلم.

فالعقائد الحقة، والحقائق العلمية الراسخة في النفس رسوخا تظهر آثاره على الأقوال والأعمال حكمة.والأعمال المستقيمة والكلمات الطيبة التي أثمرتها تلك العقائد –حكمة .

والأخلاق الكريمة كالحلم والأناة–وهي علم وعمل نفسي – حكمة وبيان البيان عن هذا كله بالكلام الواضح الجامع –حكمة، تسمية للدال باسم المدلول "[2].

ويقول كذلك :" العقد الجازم بعقائد الإسلام في الله وملائكته وكتبه ورسله والقدر كله، عقدا عن فهم صحيح، وإدراك راسخ، تتحلى به النفس بمقتضيات تلك العقائد، وتتذوق حلاوتها، وتتكون لها منها إرادة قوية في الفعل .

والترك تملك بها زمامها، تلك الإرادة التي لا تكون إلا عن عقيدة راسخة في النفس ويقين مطمئن به القلب[3].

هذه بعض المسائل لباب العقيدة والتي بينها ابن باديس من خلال تفسيره لكتاب الله، ودعا الناس إلى التزامها .

المطلب الثاني : إصلاح العبادات

---

[1]– المرجع نفسه ج 1.ص 350

[2]–مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج 1.ص 137–138

[3]– المرجع نفسه .ج 1.ص 60

إن تركيز الشيخ ابن باديس على إصلاح العبادات لا يقل أهمية عن تركيزه على إصلاح العقائد، إيمانا منه بأنها حلقة متواصلة يكمل بعضها البعض.

وبين ابن باديس من خلال تفسيره عدة أصول لتلقي العبادات، كما دعا إلى إصلاحها ونبذ الأوضاع الصوفية السائدة، كما بين بعض القواعد المتعلقة ببدع العبادات وعموم ذمها وما يدخل فيها.

الفرع الأول :مصادر تلقي العبادات هي الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح

يقول الإمام ابن باديس رحمه الله وهو يدعو إلى الرجوع إلى الهدي القرآن قي أخذ العبادات وينتقد الأوضاع الصوفية الغالبة التي كانت سائدة في زمانه عند تفسيره قوله تعالى : {**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾**} الفرقان :27-29، وتحت عنوان 'إلحاق واعتبار ':"... كما علينا أن نتبع سبيل الرسول –عليه وآله الصلاة والسلام–، التي جاء بها من عند الله تعالى وهي الإسلام، كذلك علينا أن نتبع سبيله في القيام بشرائع الإسلام علما وعملا في أبواب العبادات وأحكام المعاملات، وفي تطبيق أصول الإسلام وفروعه على الحياة الخاصة والعامة، وهذه هي سنته التي كان عليها أصحابه وأهل القرن الثاني من التابعين وأصحاب القرن الثالث من أتباع التابعين، تلك القرون المشهود لها بالخيرية على غيرها بلسان المعصوم .

وكما أن من عدل عن الإسلام و لم يسلك سبيله ووقع في ضلال الكفر، كذلك من عدل عن السنة و لم يسلك سبيلها وقع في ضلال الابتداع .وكما أن من لم يتخذ مع الرسول سبيل الإسلام يندم أشد الندم ويتحسر أعظم الحسرة على ما كان من تفريطه، كذلك من لم يتخذ مع الرسول سبيل السنة، إذ كل منهما قد ظلم نفسه، وفرط في سبيل نجاته"[1] .

ويقول كذلك عند تفسيره لقوله تعالى : {**إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَـــنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾** } يس:11، "طريق السلوك الشرعي إنما هي إتباع القرآن وأكمل أحوال العبد أن يخشى الله ويرجو رحمته وأهل الإتباع والخشية لا يستغنون عن تجديد الإنذار وذلك بدوام التذكير المشروع في الإسلام..... والمؤمن الكامل من سلمت فطرته وصح إدراكه، واتبع القرآن في عقده وخلقه وعمله، واستوت خلوته وجلوته، وسره وعلنه، وعبد الله راجيا رحمته، خائفا عذابه، يخوفه الإنذار ، و ترجيه البشرى بالمغفرة والأجر الكريم"[2].

---

[1]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 2.ص 37-38

[2]– المرجع نفسه..ج 2.ص 297-298

ويقول كذلك وهو يتحدث عن أفضل الأذكار، وأنه في الثابت من الأذكار ما يعني عما أحدثه أهل الطرق: "وقد روى عنه الأئمة من أذكار اليوم والليلة وسائر الأذكار ما فيه الكفاية والشفاء [1]".

ويقول :" أذكار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من حمد وتسبيح وتهليل وغيرها، أفضل الأذكار وأجمعها وأسلمها، وقد اشتمل الكتاب العزيز على كثير منها، فعلى المسلم الحريص على الخير بها علما وعملا"[2].

ويقول حاثا على دوام الرجوع للكتاب والسنة في كل الأمور:" إن الحاجة إلى إرشاد الله وتوفيقه دائمة متجددة، فكل عمل من أعمال الإنسان، وكل حال من أحواله هو محتاج إلى هداية الله ودلالته ليعرف ما يرضاه الله منه مما لا يرضاه ..... فالعبد محتاج دائما إلى الرجوع إلى كتاب الله وما ثبت من سنة نبيه ليهتدي إلى ما يرضي الله مما شرعه له من أحواله وأفعاله، و إلى ما يدفع عنه شبهاته وينقده من شهواته، ومحتاج إلى التوسل بذلك الرجوع إليهما وذلك الإتباع لهما إلى الله، ليفتح له أبواب المعرفة ويمد له أسباب التوفيق"[3].

ثم بين ابن باديس أن كل ما يحتاج إليه العبد من عقائد وأخلاق وأحكام لتحصيل السعادتين موجود في القرآن فيقول عند تفسيره لقوله تعالى : {وَكُلَّ شَيءٍ فَصَّلناهُ تَفصيلًا ﴿١٢﴾}الإسراء :12، " فكل ما يحتاج إليه العباد لتحصيل السعادتين من عقائد الحق، وأخلاق الصدق، وأحكام العدل، ووجوه الإحسان، كل هذا فصل في القرآن تفصيلا كل فصل على غاية البيان والأحكام .وهذا دعاء وترغيب للخلق أن يطلبوا ذلك كله من القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم في العلم والعمل ويأخذوا منه ويهتدوا به، فهو الغاية التي ما وراءها غاية في الهدى والبيان"[4].

ويقول كذلك عند تفسيره لقوله تعالى: {ذلِكَ مِمّا أَوحى إِلَيكَ رَبُّكَ مِنَ الحِكمَةِ }الإسراء : 39، .... وفيه بيان أن الوحي هو المرجع الوحيد لبيان دين الله تعالى وشرعه، وما أنزله لعباده من الحكمة، وذلك الوحي هو القرآن العظيم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم الذي أرسل ليبين للناس ما نزل إليهم "[5].

الفرع الثاني: التزام الصحة في إثبات العبادات

---

[1]- المرجع نفسه ج 2.ص 64

[2]- المرجع نفسه .ج 2.ص 203

[3]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج 1.ص 177

[4]- المرجع نفسه.ج 1.ص 159

[5]- المرجع نفسه.ج 1.ص 283

يرى ابن باديس أنه لا يجوز أن نعتمد في الدين إلا على ما صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم سوءا في العقيدة أو الفقه أو العبادات، و لا يجوز إثبات أية عبادة من العبادات إلا بما كان ثابتا عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أو حسنا عند أهل الحديث.

فقال في موضع :" لا نعتمد في إثبات العقائد والأحكام على ما ينسب لنبي صلى الله عليه وسلم من الحديث الضعيف لأنه ليس لنا به علم،فإذا كان الحكم ثابتا بالحديث الصحيح مثل قيام الليل، ثم وجدنا حديثا في فضل قيام الليل بذكر ثواب عليه مما يرغب فيه، جاز عند الأكثر أ ن نذكره مع التنبيه على ضعفه الذي لم يكن شديدا على وجه الترغيب .

ولو لم يكن الحكم قد ثبت لما جاز الالتفات إليه، وهذا هو معنى قولهم 'الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال ' أي في ذكر فضائلها المرغبة فيها لا في أصل ثبوتها، فما لم يثبت بالدليل الصحيح في نفسه، لا يثبت بما جاء في الحديث الضعيف في ذكر فضائله باتفاق أهل العلم أجمعين "[1].

ويقول الشيخ ابن باديس منتقدا حال خطب الجمعة في زمانه وما فيها من مخالفات، وأحاديث ضعيفة ومنكرة : "أكثر الخطباء في الجمعة اليوم في قطرنا يخطبون الناس بخطب معقدة مسجعة طويلة من مخلفات الماضي، لا يراعى فيها شيء من أحوال الحاضر وأمراض السامعين، تلقى بترتّم وتلحين، أو غمغمة وتمطيط، ثم كثيرا ما تختم بالأحاديث المنكرات أو الموضوعات .

وهذه حالة بدعية في شعيرة من أعظم الشعائر الإسلامية سّد بها أهلها بابا عظيما من الخير فتحه الإسلام، وعطلوا به الوعظ والإرشاد وهو ركن عظيم من أركان الإسلام"[2].

الفرع الثالث : اجتناب العبادات المبتدعة

ومن الأصول التي دعا إليها ابن باديس في باب العبادات اجتناب العبادات المبتدعة وإعلان الحرب عليها ما أمكن ذلك، والبدعة في الدين هي كل ما لم يقم دليل على شرعيته من الكتاب والسنة أو إجماع السلف الصالح سواء كان في جانب الأعمال غير الثابتة في الشرع، أو في كيفية أدائها، أو فيما يخص تخصيصها بالأزمنة والأمكنة.

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1.ص 272

[2]- المرجع نفسه.ج 1.ص 145-146

وقال ابن باديس رحمه الله وهو يقرر هذا المعنى ويحذر من سلوك طريق الابتداع في الدين وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ } النور:63، " من أبين المخالفة عن أمره وأقبحها الزيادة في العبادة التي تعبد الله بها على ما مضى من سنته فيها، وإحداث محدثات على وجه العبادة في مواطن مرت عليه و لم يتعبد بمثل ذلك المحدث فيها، وكلا هذين زيادة وإحداث وابتداع مذموم، يكون مرتكبه كمن يرى أنه اهتدى إلى طاعة لم يهتدي إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبق إلى فضيلة قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها، وكفى بهذا وحده فتنة، وبلاء دع ما يجرّ إليه من بلايا أخرى"[1].

وأعظم البدع التي دعا ابن باديس إلى نبذها والتخلي عنها، بدع العقائد العملية التي تصب في معنى الشرك الأكبر والأصغر، لذلك فقد كان تركيز الشيخ عليها أكثر من غيرها ويقول ابن باديس في ذمها : " من الناس من يخترع أعمالا وأوضاعا من عند نفسه ويتقرب بها إلى الله، مثل ما اخترع المشركون عبادة الأوثان بدعائها، والذبح عليها، والخضوع لديها، وانتظار قضاء الحوائج منها، وهم يعلمون أنها مخلوقة لله مملوكة له، وإنما يعبدونها – كما قالوا – لتقربهم إلى الله زلفى.

وكما اخترع طوائف من الهنود أنواع التعذيب بقتل أنفسهم وإحراقها طاعة- زعموا- وتقربا !

وكما اخترع طوائف من المسلمين الرقص والزمر، والطواف حول القبور والنذر لها، والذبح عندها ونداء أصحابها، وتقبيل أحجارها، ونصب التوابيت عليها، وحرق البخور عندها، وصب العطور عليها .

فكل هذه الاختراعات فاسدة في نفسها، لأنها ليست من سعي الآخرة الذي كان يسعاه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده، فساعيها موزور غير مشكور"[2].

كما بين الشيخ ابن باديس أن البدع الدينية كلها ضلالة، و لم يفرق بين بدعة وأخرى، فعند تفسيره لقوله تعالى : {وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ }يس :12، وتحت عنوان 'تنبيه' يقول :" علمنا أن المراد بـــ **'من سن سنة حسنة أو سيئة '** هو من ابتدأ طريقا من الخير في أعمال البرّ والإحسان، وما ينتفع به الناس من شؤون الحياة، ولا يشمل ذلك ما يحدثه المحدثون من البدع في العبادات من الزيادات والاختراعات، إذ الزيادة على ما وضعه الشرع

---

[1]– ا مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1.ص 432

[2]–. المرجع نفسه ج 1.ص 172

وحدّده، إفتيات عليه واستنقاص له، وهذه هي البدعة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم **' كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار '** [1]"[2].

كما أبطل ابن باديس منهج أهل الطرق الصوفية جملة وتفصيلا، والتي تدعي سلوك طريق الزهد والتصوف والانقطاع عن الدنيا والتفرغ للعبادة وذلك لأن منهجهم لا يقوم إلا على البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان من أوراد وأذكار ومظاهر شركية، وولاء للشيوخ .

وابن باديس تبرأ من هذه الطرق وعُرفَ بدعوته الإصلاحية المعادية لهم في كل اتجاه (عقيدة وسلوكا وعبادة ومنهجا وسياسة)،وقد دون رحمه الله هذه البراءة في أصول الجمعية التي كتبها ونشرها، وذلك في المواد 14-15-16 حيث قال فيها :" اعتقاد تصرف واحد من الخلق مع الله في شيء ما شرك وضلال، ومنه اعتقاد الغوث والديوان .

وبناء القباب على القبور وقد السرج عليها والذبح عندها ولأجلها والاستغاثة بأهلها ضلال من أعمال الجاهلية ومضاهاة لأعمال المشركين، فمن فعله جاهلا يعلّم، ومن أقره ممن ينتسب إلى العلم فهو ضال مضل .

الأوضاع الطرقية بدعة لم يعرفها السلف، ومبناها كلها على الغلو في الشيخ، والتحيز لإتباع الشيخ وخدمة دار الشيخ وأولاد الشيخ، إلى ما هناك من استغلال وإذلال وإعانة لأهل الإذلال والاستغلال، ومن تجميد للعقول وإماتة للهمم وقتل للشعور وغير ذلك من الشرور "[3].

ويقول في موضع من تفسيره :" نعرف كثيرا من الصالحين – رحمهم الله تعالى – قد شيّدت عليهم القباب، ونذرت لهم النذور، وقصدوا لقضاء الحاجات، ودعوا في المهمات، وكان ذلك كله مما أحدثه المحدثون بعدهم، وبالغ فيه المستغلون له ممن ينتمون إليهم، فهم –إن شاء الله تعالى- براء من إثم ذلك كله وإنما -إثمه على فاعليه"[4].

الفرع الرابع :القيام بالعبادات على الوجه الحق

---

[1]- أخرجه مسلم في كتاب الجمعة، باب : تخفيف الصلاة والخطبة.ج 3.ص 11

[2]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 2.ص 305

[3]- عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره.ت :عمار طالبي .ج 5.ص 155

[4]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1.ص 302-303

ومن الأمور التي دعا إليها ابن باديس في باب العبادات القيام بالعبادات على الوجه الصحيح الثابت، وهذا الأصل منبثق عن الأصول السابقة، فالعبادة الصحيحة لا تكون إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح، واجتناب كل البدع في باب العبادات والتزام الصحة في تلقيها،فعند تفسيره لقوله تعالى : { **أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدعونَ يَبتَغونَ إِلى رَبِّهِمُ الوَسيلَةَ أَيُّهُم أَقرَبُ وَيَرجونَ رَحمَتَهُ وَيَخافونَ عَذابَهُ إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ كانَ مَحذورًا** ﴿٥٧﴾}الإسراء :57، " أفادت الآية أن العبادة لا تنفع صاحبها إلا إذا كانت على الوجه الحق، وإلا فإنه لا يحصل منها إلا على الخيبة والوبال، وأن المكلف لا يحمل شيئا من إثم عمله غيره إلا إذا لم يكن راضيا به ولو كان ذلك العمل متسببا عنه إذا لم يكن متسببا هو فيه، وأن المكلف مطالب أن يطلب أسباب القرب إلى الله بجد واجتهاد وأن يكون جامعا بين الرجاء والخوف في سلوكه"[1].

ثم يواصل وتحت عنوان 'عبرة وتحذير' قائلا :"يأتي يوم القيامة أولائك اللذين كانوا يدعون الملائكة والجن المسلمين، وعباد الله الصالحين، ويحسبون أنهم ينفعونهم في ذلك اليوم فيبرأ منهم أولائك اللذين كانوا يعبدونهم بدعائهم ويتركونهم في ذلك الموقف العصيب، فما أمّر خيبتهم يومذاك ! وما أعظم حسرتهم ويا لها من عبرة لقوم يعقلون"[2].

وعرف ابن باديس العبادة وذلك عند تفسيره لقوله تعالى،وتحت عنوان كلي 'أيهما أكمل:العبادة مع رجاء الثواب وخوف العقاب أم العبادة دونهما؟' : {**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا** ﴿٦٥﴾}الفرقان:65، "إن العبادة هي غاية الذل والخضوع مع الشعور بغاية الضعف والافتقار، ومن مقتضى الضعف أن يخاف ويوجل، ومن مقتضى الافتقار أن يرجو ويطمع "[3].

ثم يبين ابن باديس أن الصلاة وهي أعظم عبادة مبنية على رجاء الرحمة والخوف من العذاب فيقول: " ووجه الدليل منه أنّ الصلاة أشرف أحوال العبد وأجّل مقاماته، وأعظم عباداته، وقد علم أن يدعو فيها هذا الدعاء الصريح في رجاء الرحمة وخوف العذاب [4]،وما كان ذلك إلاّ لأنّ العبادة الشرعية موضوعة عليهما"[5] .

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج 1.ص 302

[2]- المرجع نفسه.ج 1.ص 303

[3]- المرجع نفسه .ج 2.ص 105

[4]-هو دعاء القنوت المشهور' نرجو رحمتك ونخاف عذابك الجدّ'

[5]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 2.ص 106

وعند تفسيره لقوله تعالى : {قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾}الفرقان:77، دعا ابن باديس العباد إلى عبادة ربهم وأن قيمة العباد عند ربهم بقدر عبادتهم له، فيقول وتحت عنوان ' إرشاد وتحذير' :" ..... قد بين لك الطريق الذي يوصلك إلى مولاك، ويقربك في مراتب كمالك وعلاك، وما هو إلا عبادة ربك، فكن عبدا له في اختيارك واضطرارك، وفي جميع أحوالك .

واحذر أن تعتمد على شيء غير عبادته.واحذر أن تتوجه بشيء من عبادتك لغيره، ومن عبادتك- بل هو مخ عبادتك- دعاؤك وسؤالك واستغنائك، فإيّاك إيّاك أن تتوجه بشيء منه لغيره"[1].

ثم بين جزاء القائمين بعبادة ربهم ترغيبا للمتلقين للقيام بعبادة ربهم وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : {وَمِنَ اللَّيلِ فَتَهَجَّد بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أَن يَبعَثَكَ رَبُّكَ مَقامًا مَحمودًا ﴿٧٩﴾ }الإسراء :79، " قد جعل الله تعالى جزاء نبيه صلى الله عليه وسلم على تهجده وخلوته بربه في مناجاته في هذا المقام الذي يحمده فيه الخلق، ويتقبل فيه شفاعته، ويستجيب دعوته، ويفتح عليه فيه بمحامد من ذكره لم يفتح عليه بها قبل .ففي هذا تنبيه للمؤمنين على حسن عاقبة القائمين لربهم في جنح الليل وما يكون لهم من مقامات عند ربهم حسب منازلهم "[2].

كما دعا ابن باديس إلى القيام بعبادة الله وحده لا شريك له وبين أن مقام العبد عند ربه بقدر عبادته لربه . وأكد ابن باديس على ضرورة للمحافظة على العبادات المشروعة في أوقاتها وقضاء ما فات من العبادات، فعند تفسيره لقوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ } الفرقان:62، وتحت عنوان 'سلوك' "حافظ على العبادات في أوقاتها، واقض ما فاتك، واربط أعمالك بأوقاتها، وتدارك ما فاتك، ووجه قصدك إلى ما ترى من آيات الله متفكرا،ووجه قصدك في جميع أعمالك لله سامعا مطيعا،تكن عبدا ذاكرا شاكرا سعيدا –إن شاء الله – في الدارين "[3].

و عند تفسيره لقوله تعالى: { وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ } الفرقان:65-66، بين ابن باديس أن الدنيا مطية للآخرة فعلى الناس أن يحسنوا أعمالهم في الدنيا ويتجنبوا المعاصي ليحسنوا مقامهم في الآخرة، فيقول تحت عنوان 'اعتبار ونصيحة :" إن جهنم

---

[1] مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 2.ص 186-187

[2] - المرجع نفسه ج.2.ص.340

[3] - المرجع نفسه .ج 2.ص 80

هي أقبح مستقر وأقبح مقام، وأن الدنيا هي مطية الآخرة، فمن ساء مستقره ومقامه في الدنيا ساء كذلك مستقره ومقامه في الآخرة .وإن ملازمة العذاب في الآخرة على قدر ملازمة المعاصي في الدنيا، فمن لازمها بالكفر ومات عليه دامت له تلك الملازمة ، ومن لازمها بالإصرار على الكبائر كانت له على حسب تلك الملازمة.

فعلى العاقل أن يحسن مقره ومقامه، وأن يتجنب كل موطن تلحقه فيه الملامة، وأن يتجنب مجالس السوء والبدعة، ويلازم مجالس الطاعة والسنة، وأن يسرع بالتوبة مفارقا الذنوب، وألا يصر على شيء من القبائح والعيوب، وأن يكون سريع الرجوع إلى الله ولو عظم ذنبه وبلواه، فالله يحب التوابين ويغفر للأوابين "[1].

وفي المقابل دعا ابن باديس إلى العمل الصالح الذي فيه زكاة نفس الإنسان والنفع لها العاجل والآجل، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : { **يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ** ﴿٥١﴾ }المؤمنون:51، " خلق الإنسان مركبا من روح وبدن، وإنما بقاء بدنه بالغذاء، وإنما كمال روحه بالعمل، فأمر الله بالأكل لبقاء البدن، واشترط أن يكون من الطيبات لأنها هي التي تغدي ولا تؤذي أما الخبائث ففيها الأذى وليتقه أو يعدم منها الغذاء، وأمر بالعمل الصالح الذي فيه زكاة للنفس ونفع لها قي العاجل والآجل، وخير للعباد والبلاد .وأخبر بعلمه بعمل العاملين ليجتهدوا في العمل ويخلصوا له فيه وينتظروا جزاءهم من عنده .

والدين كله عمل صالح وتوحيد خالص..... فعلى المؤمن أن يتحرى في مأكله ومشربه وكل ما به قوام ذاته – الحلال الطيب، يمتثل بذلك أمر الله ويقصد التوصل به إلى العمل الصالح .

وعليه أن يتحرى في فعله وتركه، أمر الله ونهيه، حتى يكون عمله عملا صالحا طيبا متقبلا، يمتثل بذلك أمر الله، ويقصد قبول عبادته ودعائه لديه .

والمتحري للحق والخير جدير بالتوفيق إليه وكثرة إصابته . رزقنا الله والمسلمين التحري لطاعته، والتوفيق لمرضاته، والتأدب بكتابه آمين "[2].

إذن فباب إصلاح العبادات عند الشيخ ابن باديس لا يختلف عن سابقه (باب إصلاح العقائد) من حيث المصادر، فإن الحجة فيه هي الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح، فهو يرى أن في الشرع كفاية وغنى عما سواه . وفي المقابل ينتقد الأوضاع الصوفية التي كانت سائدة في زمانه .

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 2.ص 99

[2]- المرجع نفسه.ج 1.ص 417-420

كما يحث على التزام الصحة في إثبات أي عبادة من العبادات واجتناب كل العبادات المبتدعة والقيام بها على وجه الحق.

المطلب الثالث : إصلاح الأخلاق

أهمية الأخلاق ليست مقتصرة على الفرد وحده، بل تتعداه إلى المجتمع والأمة الإنسانية جمعاء، فكما أن الفرد لا تتحقق إنسانيته إلا بالأخلاق، فكذلك المجتمع في أي مستوى من مستوياته، لا يصلح حاله، ولا يستقيم أمره إلا بها، فهي الدعامة الأولى لحفظ الأمم، والأساس المتين الصلب الذي تقوم عليه النهضات الكبرى في كل مجتمع، وابن باديس لم يغفل عن هذه المكانة الرفيعة للأخلاق في المجتمع، بل أنه جعل العناية بها والاهتمام بإصلاحها في المرتبة التالية، للاهتمام بعقائد الإيمان مباشرة، فالأمران يلتحمان في وحدة عضوية إذا صلحت صلح المجتمع بأسره واهتدى، وإذا فسدت فسد نظامه وانهار بنيانه.

الفرع الأول : الأخلاق الفاضلة مقترنة بالعقائد الحقة

من الأهداف التي ترتبط بإعداد الفرد تصحيح العقائد وتهذيب الأخلاق، لأن ابناء العقيدة وتقويم السلوك الفردي ثم الاجتماعي يعد لب العملية التربوية، وعليه يتوقف نجاح كل حركة تغيير وإصلاح [1].

والشيخ عبد الحميد بن باديس كان يرى أن منزلة الأخلاق تالية لمنزلة العقائد في الاهتمام،بل هما متلازمان فإذا صلحت العقيدة صلح السلوك، وأن التربية القائمة على أساس العقيدة الصحيحة الخالية من البدع والضلالات والقائمة على أساس الأخلاق الإسلامية العالية هي الكفيلة بالنهوض بالمجتمع الجزائري من الكبوة التي وقع فيها بسبب الاحتلال، كما أنها الكفيلة بالنهوض بالمجتمع الإسلامي بصفة عامة في كل مكان من أرض الإسلام، وهو في هذا الرأي الذي يذهب إليه يتفق مع المصلحين المعاصرين أمثال :محمد عبده، والشيخ رشيد رضا وغيرهم.

لذلك كانت جهوده في عمومها موجهة لتطهير العقيدة الإسلامية لدى جماهير الشعب الجزائري وتقويم أخلاقه، فكان يحارب البدع والضلالات والمعتقدات الفاسدة وفي نفس الوقت يكافح العادات والتقاليد السيئة والأخلاق الرديئة [2].

---

[1]– إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس :عبد القادر فوضيل ومحمد الصالح رمضان .ص203

[2]– الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر: تركي رابح.ص

فعند تفسيره لقوله تعالى: { **قُل كُلٌّ يَعمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ فَرَبُّكُم أَعلَمُ بِمَن هُوَ أَهدى سَبيلًا ﴿٨٤﴾** }الإسراء:84 بين ابن باديس أن أعمال الإنسان تبنى على العقائد والأخلاق فتحت عنوان 'إنبناء الأعمال على العقائد والأخلاق' يقول :".... كل أحد تبنى أعماله على مذهبه وطريقته التي هي خلقه وطبيعته، ونأخذ من هذا أن الذي يوجه إليه الاهتمام الأعظم في تربية أنفسنا وتربية غيرنا هو تصحيح العقائد وتقويم الأخلاق فالباطن أساس الظاهر، و"**في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله**"[1][2].

الفرع الثاني :التربية التي تضمنها القرآن كفيلة بعلاج المجتمع

آمن ابن باديس بأن التربية التي تضمنها القرآن كفلية وحدها بعلاج المجتمع من الأدواء والأمراض التي بدأت تنخر كيانه، وأن الإسلام أحسن وسيلة لتهذيب الأخلاق وصقل النفوس، لأن الإسلام هو دين الفطرة السليمة.

حيث يقول وعند تفسيره لقوله تعالى: { **إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾** }يس:08-09، "كل ما دعا إليه الإسلام من عقائد وأخلاق وأعمال فهو مما تقتضيه الفطر السليمة، وتدركه العقول بالنظر السليم [3]".

ويقول في موضع آخر "فكل ما يحتاج إليه العباد لتحصيل السعادتين من عقائد الحق، وأخلاق الصدق، وأحكام العدل، ووجوه الإحسان، كل هذا فصل في القرآن تفصيلا كل فصل على غاية البيان والأحكام .وهذا دعاء وترغيب للخلق أن يطلبوا ذلك كله من القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم في العلم والعمل ويأخذوا منه ويهتدوا به، فهو الغاية التي ما وراءها غاية في الهدى والبيان"[4].

وعند تفسيره لقوله تعالى : { **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴿٢﴾** } الفرقان:01-02، يؤكد ابن باديس أن الرقي في درجات الكمال وتزكية النفس لا يكون إلا بهدي القرآن، فتحت عنوان

---

[1]- أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب :فضل من استبرأ لدينه (52).ج 1.ص 34
وفي كتاب البيوع، باب :الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات (2051).ج 2.ص 74

[2]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1.ص 368

[3]- المرجع نفسه. ج 2.ص 292

[4]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود ج 2.ص 159

فرعي 'سلوك ' يقول: "..... فإذا أردت أن ترقى في درجات الكمال، وتظفر بأنواع الإنعام، وتزكي نفسك الزكاء التام، فعليك بهدي هذا القرآن فهو بساط القدس، ومعراج الكمال ومائدة الإكرام[1]".

ووضح ابن باديس أن القرآن بين مكارم الأخلاق ومنافعها، ومساوئ الأخلاق ومضارها، وأنه بين السبيل للتخلي عن هذه والتحلي بتلك مما يحصل به الفلاح وذلك قي قوله :"وبين القرآن مكارم الأخلاق ومنافعها، ومساوئ الأخلاق ومضارها وبين السبيل للتخلي عن هذه، والتحلي بتلك، مما يحصل به الفلاح بتزكية النفس، والسلامة من الخيبة بتدسيتها، فهجرها ذلك كله، ووضعنا أوضاع من عند أنفسنا واصطلاحات من اختراعاتنا، خرجنا في أكثرها عن الحنفية السمحة إلى الغلو والتنطع، وعن السنة البيضاء إلى الإحداث والتبدع، وأدخلنا فيها النسك الأعجمي والتخيل الفلسفي ما أبعدها غاية البعد عن روح الإسلام، وألفى بين أهلها بذورها الشقاق والخصام، وآل الحال بهم إلى الخروج من أثقال أغلالها والاقتصار على بقية رسومها للانتفاع منها، ومعارضة هداية القرآن بها..[2]".

الفرع الثالث :مرشد وموجه الأخلاق

أعطى ابن باديس للعقل والفطرة دورا بارزا في الالتزام الخلقي فهو يرى بأن الخلق مهما كان راسخا في النفس فإنه لا يستغني عن الفكر والروية والتدبر وهذا ما نلمسه بوضوح في :قوله :"لكل إنسان فطرته وعقله فعلينا إذا دعينا إلى شيء أن نعرضه عليهما راجعين إلى فطرة الإنسانية وإلى العقل البشري مترهين عن الأعراض والأوهام والشبهات، فإذا كان هلاك هؤلاء لعدم الاستفادة منهما فإن النجاة عندما نعرض الأمور بالرجوع إليهما، ونجد القرآن الكريم يخاطب العقل والفطرة ليعلمنا الرجوع إليهما والاستفادة منهما..."[3].

ويقول قي موضع آخر :" ومن رحمة الله تعالى بخلقه أن ركز في فطرهم إدراك أصول القبائح والمحاسن ليسهل انقيادهم للشرع عندما تدعوهم الرسل إلى فعل المحاسن وترك القبائح، وتأتيهم بما هو معروف في الحسن أو القبح لهم،فتبين لهم حكم الله فيه وما لهم من الثواب أو العقاب عليه "[4].

فمن خلال هذا القول يوضح ابن باديس أن حسن الطاعات وقبح المعاصي معروف عند الناس، وأن من رحمة الله تعالى بعباده أنه قد أعطى العقل الإنساني قدرة يميز بها بين الحسن والقبيح، والفضيلة والرذيلة، والخير

---

[1]- المرجع نفسه .ج 2.ص 09

[2]- المرجع نفسه. ج 2.ص 44

[3]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج 2.ص 292

[4]- المرجع نفسه.ج 1.ص 245

والشر حتى يسهل عليه إتباع الشرائع السماوية، وابن باديس ورغم انه أعطى للعقل والفطرة دورا بارزا فإنه يعتقد أنهما يحتاجان إلى موجه ومرشد ليهديهما ويبعدهما عن مواطن الزلل ومظان الشبهات، وهذا الموجه والمرشد في رأيه هوالدين الذي يعتبره المصدر الأساسي للأخلاق .[1]

وأولى هذه المصادر التي نستقي منها الدين والخلق هو القرآن الكريم فالقرآن كما يقول ابن باديس:"بين مكارم الأخلاق ومنافعها، ومساوئ الأخلاق ومضارها، وبين السبيل للتخلي عن هذه والتحلي، بتلك مما يحصل به الفلاح بتزكية النفس والسلامة من الخبية"[2].

ويقول أيضا :" ... وجاء أيضا –القرآن– مبينا للأخلاق الفاسدة، وذاكرا سوء أثرها، وقبح مغبتها،مبينا كذلك الأخلاق الصحيحة،وعظيم نفعها وحسن عاقبتها،فهذا شفاؤه للنفوس والعقول،وهو راجع إلى تصحيح العقائد،وتقويم الأخلاق، و بهما سلامة الأرواح وكمالها وعليهما قوام الهيئة الاجتماعية وانتظامها"[3].

وثاني المصادر التي ترتكز عليها الأخلاق الإسلامية السنة النبوية المطهرة، فقد كان الرسول الكريم يذكر الناس بقوله وعمله وهديه وسمته، وذلك كله منه على وفق القرآن وحكمه، وقد قالت عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن خلقه :**' كان خلقه القرآن '**[4]،فالقرآن وبيانه القولي والعملي من سنة النبي صلى الله عليه وسلم، بهما يكون تذكير العباد ودعوتهم لله رب العالمين " [5].

ثم يأتي بعد ذلك سيرة السلف الصالح من أنبياء ومرسلين، وصحابة وتابعين، يقول ابن باديس :" الأنبياء والمرسلون أكمل النوع الإنساني، وهم المثل الأعلى في كماله، وقد كان أصل كمالهم تطهير أرواحهم وكمالها، فأقبل على روحك بالتزكية والتطهير والترقية والتكميل، ولا سبيل إلى ذلك لا بالاقتداء بهم والاهتداء بهديهم " [6].

[6].

ويقول في موضع آخر حاثا على الاقتداء بسيرة الصحابة والتابعين :" لما سلكوا الطريق المستقيم بالمعنى المستقيم، انتهى بهم السير إلى أحسن قرار ومقام، إلى دار النعيم المقيم في جوار الرحمان الرحيم، فإذا اشتقت إلى

---

[1]– ينظر عبد الحميد االبن باديس مفسرا :حسن عبد الرحمان سلوادي.ص 139

[2]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 2.ص 44

[3]– المرجع نفسه. ج 1.ص 356

[4] – أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب :جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض .ج 2.ص 168

[5]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج 1.ص 101

[6]– المرجع نفسه .ج 2.ص 28

نهايتهم فتمسك ببدايتهم، وزن أعمالك بأعمالهم، وأحوالك بأحوالهم، فإذا جعلت ذلك من هذه وحملت عليه نفسك بصادق عزمك، وصبرت لما صبروا، رجوت أن تظفر بما ظفروا"[1].

هذه هي المصادر التي تشكل القاعدة الرئيسية التي تستمد منها الأخلاق الإسلامية، وقد جمعها ابن باديس كلها في نص واحد 'إذا علمنا بأنه أعلم بمن هو أهدى سبيلا، يدعونا إلى المبالغة في تقويم سلوكنا،حتى نكون على الصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، فإنه هو أهدى الطرق وأقربها، وما ذلك الصراط المستقيم إلا القرآن العظيم،والهدي النبوي الكريم وسلوك السلف الصالح،وذلك هو دين الإسلام"[2].

هذه هي أهم الأسس التي بنى عليها الشيخ ابن باديس دعوته الإصلاحية في مجال التربية الأخلاقية،وهي دعوة قائمة على المزج بين النظرية والتطبيق والربط بين الاعتقاد والعمل، وهذا سير على نهج القرآن الكريم.

الفرع الرابع :أمثلة تطبيقية

هناك أمثلة عديدة تدل على هذه النزعة التطبيقية عن الشيخ ابن باديس،نذكر بعضها على سبيل المثال :

أولا :تجنب اللغو

عند تفسيره لقوله تعالى : {وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ }الفرقان:72،حذر ابن باديس من اللغو وما ينجر عنه من أخطار،وإضاعة للوقت وتكدير الخاطر،وشغل عما هو أهم في حياة الشعب الجزائري في تلك الفترة –الاستعمار وقضية التحرر من سيطرته–وذلك بسبب الانشغال باللغو،مؤكدا بعد ذلك على أن التمادي في اللغو يجر صاحبه إلى الزور وعظائم الأعمال،فيقول :"...في الإقبال على اللغو شغل للبال به،وتكدير للخواطر بظلمته،وتضييع للوقت فيه.

ولكل كلمة تسمعها أو فعلة تشهدها أثر في حياتك وإن قل،وقد يعقبها ضدها، فتزول بعدما شغلت وعطلت،وقد يردفها مثلها، فتثبت وتنمو وتسوء عاقبتها ولو بعد حين.

---

[1]– المرجع نفسه .ج..ص.

[2]– المرجع نفسه. ج.1.ص.369

وبقدر ما تلتفت إلى اللغو تلتفت عن كرمك،وبقدر ما يعلق بك منه ينقص من زكائك،وبقدر ما تتساهل بالوقوف عليه تقرب من الدخول فيه، فإذا دخلت فيه واستأنست بأهله جرك إلى الزور وعظائم الأمور.

وللشر أسباب متواصلة وأسباب متصلة، يؤدي بعضها إلى بعض، فينتقل المغرور الغافل من خفيّها إلى جليّها، ومن صغيرها إلى كبيرها، فالحازم من لم يسامح نفسه في قليلها وتباعد كل البعد عنها وعن أهلها،وقد هدتنا الآيات هذه لنهتدي، وذكرت عباد الرحمان لنقتدي والله المستعان، ولا توفيق إلا به"[1]

ثانيا :التخلي عن الرذائل والمعاصي

دعا ابن باديس إلى تجنب فعل المعاصي، وتجنب كل مواطن السوء والبدعة، وملازمة مجالس الطاعة والسنة وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : { **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾** } الفرقان:65-66 ، وتحت عنوان 'اعتبار ونصيحة' يقول : " إن جهنم هي أقبح مستقر وأقبح مقام، إن الدنيا هي مطية الآخرة، فمن ساء مستقره ومقامه في الدنيا ساء كذلك مستقره ومقامه في الآخرة .وإن ملازمة العذاب في الآخرة على قدر ملازمة المعاصي في الدنيا فمن لازمها بالكفر ومات دامت له تلك الملازمة ، ومن لازمها بالإصرار على الكبائر كانت له على حسب ذلك الملازمة.

فعلى العاقل أن يحسن مقره ومقامه، وأن يتجنب كل موطن تلحقه فيه الملامة، وأن يتجنب مجالس السوء والبدعة، ويلازم مجالس الطاعة والسنة، وأن يسرع بالتوبة مفارقا الذنوب، وألا يصر على شيء من القبائح والعيوب، وأن يكون سريع الرجوع إلى الله ولو عظم ذنبه وبواله، فالله يحب التوابين ويغفر للأوابين"[2]

ثالثا :آية الأخلاق (ترك العجب)

ومن أظهر الدلالة على اهتمام ابن باديس بتأصيل الأخلاق عنونته لدرس تفسيره لقوله تعالى : {**وَلَا تَمشِ فِي الأَرضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخرِقَ الأَرضَ وَلَن تَبلُغَ الجِبالَ طولًا﴿٣٧﴾** }الإسراء:37، بعنوان رئيسي 'آية الأخلاق'، وذلك لاشتمالها على معاني عظيمة في الأخلاق، حيث نبه على خطر العجب وأنه أصل الهلاك وأن تركه شرط في حسن وكمال الأخلاق.

---

[1]- . مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1.ص 160

[2]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود ج 2.ص99

فبدأ ابن باديس تفسيره لهذه الآية بذكر المفردات والتراكيب الواردة فيها، ثم وتحت عنوان فرعي ' التفسير' يقول : " حب الإنسان لنفسه غريزة فيه، وذلك يحمله على الإعجاب والفرح بها، وبكل ما يصدر عنها، يستخفه ذلك حتى يتركه يمشي بين الناس مختالا متبخترا، وهذه هي مشية المرح التي نهى الله تعالى في هذه الآية عنها .

ولما كانت هي فرعا عن الإعجاب بالنفس والفرح بها، فالنهي منصب على أصلها كما انصب عليها، ولما كانت هذه العلة ناشئة عن علة العجب أعقب الله تعالى بيان الداء الذي نهى عنه، بذكر الدواء الذي يقلعه من أصله قال تعالى : { إِنَّكَ لَن تَخرِقَ الأَرضَ وَلَن تَبلُغَ الجِبالَ طولًا﴿٣٧﴾ } فذكر الإنسان بضعفه بين مخلوقين عظيمين من فوقه وتحته، فإذا ضرب برجليه الأرض في مرحه فهو لا يستطيع خرقها، وإذا تطاول بعنقه في اختيال فهو لن يبلغ طول الجبال، فقد أحاط به العجز من ناحيتيه، وذكر الإنسان بضعفه وعجزه أنجع دواء لمرض إعجابه بنفسه .

نعم :الإنسان أعظم من الأرض والجبال بعقله، ولكنه لو سار على نور عقله، لما مشى في الأرض مرحا لأن عقله يبصره بعيوب نفسه ونقائص بشريته، فلا يدعه يعجب بها، فلا يكون من المرحين.

فما مرح إلا وهو محروم من نور العقل مفتون بمادة الجسم، فذكر بضعف هذا الجسم وصغارته "[1].

ثم يواصل وتحت عنوان فرعي آخر 'العجب أصل الهلاك'، موضحا خطر الإعجاب بالنفس فيقول :"إذا أعجب المرء بنفسه عمي عن نقائصها، فلا يسعى في إزالتها، ولها عن الفضائل فلا يسعى في اكتسابها، فعاش ولا أخلاق له، مصدرا لكل شر بعيدا عن كل خير، وعن العجب بالنفس نشأ الكبر على الناس، والاحتقار لهم، ومن احتقر الناس لم ير لهم حقا، ولم يعتقد لهم حرمة، ولم يراقب فيهم دينا ولا ذمة، وكان عليهم – مثل ما كان على نفسه– أظلم الظالمين. وإبليس اللعين نعوذ بالله تعالى منه كان أصل هلاكه من عجبه بنفسه، وأنه خلق من النار، وأنه خير من آدم، فتكبر عليه فكان من الظالمين الهالكين"[2].

– ثم أكد ابن باديس أن حسن وكمال الأخلاق لا يكون إلا بالتخلية عن الرذائل– والعجب أساسها– والتحلية بالفضائل، فتحت عنوان ' ترك العجب شرط في حسن وكمال الأخلاق ' يقول : "تربية النفوس تكون بالتخلية عن الرذائل، والتحلية بالفضائل، والعجب هو أساس الرذائل، فأول الترك تركه، وهو المانع من اكتساب الفضائل، فشرط وجودها تركه كذلك، ومن لم يكن معجبا بنفسه كان بمدرجة التخلق بمحاسن الأخلاق والتنزه عن نقائصها، لأن الإنسان مجبول على محبة الكمال، وكراهة النقص، فإذا سلم من العجب فإن تلك الجبلة تدعوه

---

[1]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1.ص 276-277

[2]– المرجع نفسه.ج 1.ص 277

إلى ذلك التخلق والتنزه، فإذا نبه على نقصه لم تأخذه العزة، وإذا رغب في الكمال كانت له إليه هزة، فلا يزال بين التذكيرات الالاهية والجبلة الإنسانية الخلقية يتهذب ويتشذب حتى يبلغ ما قدر له من كمال، ولهذه المعاني التي تتصل بتفسير هذه الآية الكريمة- وهي أصول في علم الأخلاق – عنون عليها بآية الأخلاق "[1].

رابعا : القول الحسن

دعا ابن باديس إلى وجوب التزام الإنسان بالقول الحسن والابتعاد عن الكلام القبيح، لما للأول من تقوية لروابط الألفة، و تمكين لأسباب المحبة، ولما للثاني من قطع لأواصر الأخوة وبعث للبغضاء والنفرة، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: {**وَقُل لِعِبادي يَقولُوا الَّتي هِيَ أَحسَنُ** }الإسراء :53، فيقول :" اللسان أداة البيان، وترجمان القلب والوجدان، والكلام به يتعارف الناس ويتقاربون، وبه يتحاجون ويتفاصلون ولولاه لما ظهرت ثمرات العقول والمدارك، ولما تلاقحت الأفكار والمشاعر، ولما تزايدت العلوم والمعارف، ولما ترقى الإنسان في درجات أنواع الكمالات، ولما امتاز على بقية الحيوانات، فهو رابطة أفراد النوع الإنساني وعشائره وأممه، وبريد عقله وواسطة تفاهمه .

فإذا حسن قويت روابط الألفة، وتمكنت أسباب المحبة، وامتد رواق السلام بين الأفراد والعشائر والأمم، وتقاربت العقول والقلوب بالتفاهم، وتشابكت الأيدي على التعاون والتوازر، وجنى العالم من وراء ذلك تقرر الأمن واطراد العمران .

وإذا قبح كان الحال على ضد ذلك، فالكلام السيئ قاطع لأواصر الأخوة، باعث على البغضاء والنفرة، يبعد بين العقول فتحرم الاسترشاد و الاستمداد والتعاون، وبين القلوب فتفتد عواطف المحبة وحنان الرحمة، وهما أشرف ما تتحلى به القلوب، وإذا بطلت الرحمة والمحبة بطلت الألفة والتعاون، وخلت القساوة والعداوة، وتبعهما التخاصم والتقاتل، وفي ذلك كل الشر لبناء البشر.

فالمحصل للناس سعادتهم وسلامتهم، والمبعد لهم عن شقاوتهم وهلاكهم هو القول الحسن، ولهذا أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم لأن يرشد العباد إلى قول التي هي أحسن فقال تعالى : { **وَقُل لِعِبادي يَقولُوا الَّتي هِيَ أَحسَنُ** }"[2].

---

[1]- المرجع نفسه.ج.1.ص.277-278

[2]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1.ص 286-287

خامسا :معرفة العبد لقدر نفسه :

دعا ابن باديس الناس إلى تكريم أنفسهم بتكريم أرواحهم، بتنزيهها عن مساوئ الأخلاق وتحليتها بمكارمها، كما دعاهم إلى تكريم جوارحهم بتنزيهها عن المعاصي وتجميلها بالطاعات .

وذلك في قوله :"معرفة العبد لقدر نفسه..... قد استودعنا خالقنا خلقة كريمة، فعلينا أن نعرف قيمتها، وأن نقدرها قدرها، وحق على من كرمه ربه أن يكرم نفسه .

فعلينا أن نكرم أنفسنا بتكريم أرواحنا بتنزيهها عن مساوئ الأخلاق وتحليتها بمكارمها، لا وتكريم عقولنا بتنزيهها عن الأوهام والشكوك والخرافات والضلالات، وربطها على العلوم والمعارف وصحيح الاعتقادات .

وتكريم جوارحنا بتنزيهها عن المعاصي، وتجميلها بالطاعات فنتحرى بأقوالنا وأفعالنا أكرم الأقوال وأكرم الأعمال، ونترفع عن جميع الرذائل والدنايا، ونتباعد عن كل مواطن السوء والسفالة، ونحفظ كرامتنا وشرفنا أمام الله والناس، ونجتهد أن لا يمسّ بسوء لا منّا ولا من غيرنا .

فإذا قدرنا –هكذا– أنفسنا وشكرنا –كما تقدم– ربنا، بلغنا– بإذن الله تعالى– أبعد الغايات من التكريم والتفضيل"[1].

إذن فابن باديس يجعل صوب عينيه دائما ضرورة العمل بالقرآن والرجوع إليه في كل محاولاته الإصلاحية، و إصلاح الأخلاق عنده لا يختلف عما تقدم ذكره من أبواب فالحجة فيه هي الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح .

كما يرى أن التربية التي تضمنها القرآن كفيلة وحدها بعلاج المجتمع من الأدواء والأمراض التي تنخر كيانه، وتعمل على اضمحلاله وهد قواه.

المبحث الثاني : الإصلاح الاجتماعي

سعى المفسرون في العصر الحديث إلى التركيز على الآيات التي فيها دعوة لإصلاح الفرد والمجتمع ، وركزوا في تفاسيرهم على علاج الأمة من أدرائها، وعلاج واقعها المر، فعرضوا العلاج الشافي للواقع الاجتماعي للأمة من

[1]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج 1.ص 319-320

خلال تفاسيرهم، فالقرآن لم يأت إلا لهداية الأمة وعلاج حالها في جميع مجالاتها، فهو يسعى لتنوير العقول وتزكية النفوس وتقويم الأعمال، وإصلاح الأحوال وتنظيم المجتمع البشري على أكمل نظام.

المطلب الأول :العناية بالفرد

يجعل ابن باديس صوب عينيه دائما ضرورة العمل بالقرآن والرجوع إليه في محاولته الإصلاح: إصلاح الفرد والمجتمع، فليس من منهج لإصلاح الفرد، يعد منهجا متكاملا قادرا على الإصلاح الحقيقي وتغيير الأحوال والظروف سوى القرآن الكريم .

ويعترف بمدى فاعلية القرآن في إحداث تغيير في حياة الأفراد والشعوب والمجتمعات إن هم التزموا به .

الفرع الأول : مكانة الفرد وضرورة العناية به

الفرد هو أساس المجتمع لأن المجتمع يتكون من مجموعة من الأفراد، ولا يمكن إصلاح مظاهر الاعوجاج والفساد التي تظهر في المجتمع إلا إذا ارتكز هذا الإصلاح أساسا على الأفراد الذين يتكون منهم ذلك المجتمع .

ولهذا فقد عنى الإسلام عناية كبيرة بتهذيب الفرد المسلم وتقويم خلقه واستقامة سلوكه حتى يتكون المجتمع الإسلامي من أفراد صالحين مستقيمين في أخلاقهم وسلوكهم الاجتماعي[1] فإذا صلح الأفراد صلح المجتمع .فالفرد ذو قيمة كبيرة في مجتمعه إذا أحسن إليه بالعناية وأحسن إلى نفسه ورباها .

ومنهج ابن باديس لا يختلف كثيرا عن منهج القرآن في العناية بأفراد المجتمع، فهو يرى أن الأساس في الإصلاح الاجتماعي هو إصلاح الفرد لقوله تعالى : { **إِنَّ اللَّـــهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَومٍ حَتّى يُغَيِّروا ما بِأَنفُسِهِم** } الرعد:11، وأن العلاج الناجح في الإصلاح الاجتماعي هو الذي ينطلق من الأفراد بإصلاح عقائدهم وأخلاقهم وتصرفاتهم الاجتماعية.

يقول ابن باديس " فالإيمان والتقوى هما العلاج الوحيد لنا من حالتنا لأننا إذا التزمناهما نكون قد أقلعنا عن أسباب العذاب ولا ننهض بهذا العلاج العظيم إلا إذا قمنا متعاونين أفراد وجماعات فجعل كل واحد ذلك نصب عينيه، وبدأبه في نفسه ثم في من إليه ثم فيمن يليه من عشيرته وقومه،ثم جميع أهل ملته..... و لنبدأ من الإيمان بتطهير عقائدنا من الشرك وأخلاقنا من الفساد وأعمالنا من المخالفات، ولنستشعر أخوة الإيمان التي تجعلنا

[1] – الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر: تركي رابح.ص 214

كجسد واحد، ولنشرع في ذلك غير محتقرين لأنفسنا، ولا قانطين من رحمة ربنا، ولا مستقلين لما نزيله كل يوم من فسادنا.

فبدوام السعي واستمراره يأتي ذلك القليل من الإصلاح على صرح الفساد العظيم من أصله، وليكن دليلنا في ذلك وإمامنا كتاب ربنا، وسنة نبينا، وسيرة صالح سلفنا"[1].

ومن باب العناية بالفرد والاهتمام به يورد ابن باديس في شأن فرد من أفراد مملكة سليمان وهو 'الهدهد'، وهو وإن كان طائرا حيوانا، ولكنا نستلهم من قصته عبرا ودروسا، كما استلهم واستنبط ابن باديس من ذلك دروسا لأنه ورد ذكره في الكتاب العزيز، و لم يذكر لمجرد التفكه بل للعبرة والعظة والتعليم وأخذ الدروس، وإذا كان هذا مع شأن طائر صغير هو الهدهد كيف بفرد من أفراد المجتمع الإنساني لا شك أن الاهتمام به يجب أن يكون أكبر[2].

يقول ابن باديس عند تفسيره قوله تعالى : { **فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ** ﴿٢٢﴾ }النمل:22 وتحت عنوان 'توجيه واستنباط' :"كان في جواب الهدهد حجة بينة لسبب غيابه، وذلك لأنه لم يذهب عابثا ولا لغرض خاص به، وإنما ذهب مستطلعا مستكشفا، فحصل علما، وجاء بخبر عظيم في زمن قصير، رجعت هذه الفوائد العظيمة بتركه لمركزه في الجند فسقطت عنه المؤاخذة.

فإن قيل :إنّ أصل مفارقته لمركزه دون استئذان كان مخالفة يستوجب عليها العقوبة .

ثم يجيب ابن باديس قائلا: " فالجواب :إن هذه المخالفة كانت لقصد حسن، وهو الاستطلاع، وأثمرت خيرا، فاستحق العفو عن تلك المخالفة التي كانت عن النظر، و لم تكن عن تهاون وانتهاك للحرمة.

ثم يواصل قائلا :" فإن قيل ما الذي أوقع في نفس الهدهد رغبته في طلب ما طلب؟

فالجواب : أنه يجوز أن يكون شاهد عمران اليمن من مكان بعيد ببصره الحاد فرغب في المعرفة، أو يكون قد مر باليمن من قبل و لم يتحقق من حالها، فأراد أن يتحقق ."[3]

---

[1]– ينظر الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر: تركي رابح.ج.1.ص 310-311 عند تفسيره للآية 58 من سورة الإسراء

[2]– ينظر أهم اتجاهات التفسير في بلاد المغرب في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين :هلال خزاري .ج 2.ص 818

[3]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 2.ص 233

ثم وتحت عنوان فرعي 'أدب واقتداء' يواصل ابن باديس مبينا مكانة الفرد وإن كان صغيرا أو حقيرا في مجتمعه فيقول :" قد سمع سليمان هذا من الهدهد وأقره عليه، فللصغير أن يقول للكبير، وللحقير أن يقول للجليل : علمت ما لم تعلم، وعندي ما ليس عندك، إذا كان من ذلك على يقين، وكان لقصد صحيح .

ومن أدب من قيل له ذلك ولو كان كبيرا جليلا، يقبل ذلك، ولا يبادر بردّه، وعليه أن ينظر فيه ليعرف مقدار صدق قائله فيقبله أو يردّه بعد النظر والتأمل، إذ قد يكون في أصغر مخلوقات الله وأحقرها من يحيط علما بما لم يحط مثل سليمان عليه الصلاة والسلام في علمه وحكمته واتساع مدركاته"[1].

وابن باديس بهذا الغرض في تفسيره للآية واستنباطاته منها لا يريد إلا إصلاح الفرد، ومما لا شك فيه أن في الأسلوب خطاب للمخاطب ليقتدي بالهدهد ويصحح تصرفاته على غرار تصرفات الهدهد، إن وقع منه مثل ما وقع من الهدهد، وفيها الحث على الاجتهاد في المناسبات المختلفة والاحتياط التام في عدم مخالفة الأوامر الشرعية الواضحة، وأن على الإنسان أن لا يبقى جامد الفكر في المواطن المختلفة بل عليه أن يتصرف حسبما يناسب المقام ويستدعيه الحال.[2]

وعند تفسيره لقوله تعالى : { **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا** ﴿٦٢﴾ } الفرقان:62، بين ابن باديس أن حياة الإنسان مبنية على ثلاثة أركان :الإرادة، الفكر والعمل وهذه الثلاثة مبنية على ثلاثة أخرى (البدن، العقل والخلق) فدعا إلى المحافظة على هذه الأخيرة (عقله، خلقه وبدنه) ودفع المضار عنها فيقول :" فقه قرآني : حياة الإنسان من بدايتها إلى نهايتها مبنية على هذه الأركان الثلاثة : الإرادة، والفكر،والعمل، وهي المذكورات في هذه الآية، لأن التذكر بالتفكر، والشكر بالعمل ؛فاستفادة الإنسان مما خلقه الله له وجعله لأجله لا تكون إلا بهذه الثلاثة.

وهذه الثلاثة متوقفة على ثلاثة أخرى لابد للإنسان منها : العمل متوقف على البدن، والفكر متوقف على العقل، والإرادة متوقفة على الخلق.

فالتفكير الصحيح من العقل الصحيح، والإرادة القوية من الخلق المتين، والعلم المقيد من البدن السليم .

---

[1]- المرجع نفسه .ج 2.ص 234

[2]- ينظر أهم اتجاهات التفسير في بلاد المغرب في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين :هلال خزاري .ج 2.ص 820

فلهذا كان الإنسان مأمورا بالمحافظة على هذه الثلاثة :عقله وخلقه وبدنه، ودفع المضار عنها، فيثقف عقله بالعلم، ويقّوم أخلاقه بالسلوك النبوي، ويقوي بدنه بتنظيم الغذاء وتوقي الأذى والتريض على العمل"[1].

فذكر ابن باديس هذا التوجيه القرآني في مجال ضرورة العناية بالفرد، العناية بعقله وخلقه وبدنه، فالعناية بالعقل تكون بالعلم، وتقوم أخلاقه بالسلوك النبوي، وتقوي بدنه بالغذاء وتنظيمه .

الفرع الثاني :صلاح النفوس وإصلاحها

وبما أن الفرد هو اللبنة الأولى التي يتكون منها المجتمع ويقوم عليها، فقد اعتنى به الإسلام عناية لا تجدها من حيث الشمول، والتفصيل في دين آخر من الأديان السماوية التي جاءت قبله، فدعا إلى صلاح نفسه لأن صلاحها هو صلاح الفرد، وصلاح الفرد هو صلاح المجموع [2].

والنفس هي الأساس في الإنسان، وقد جاءت في القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدث عنها، كما أنها كانت مركز اهتمام الكثير من علماء النفس والأخلاق والفلاسفة منذ القدم في سعيهم المستمر من أجل إصلاحها والرقي بها .

وقد تناول ابن باديس هذا الموضوع لأهميته الكبيرة في إصلاح الفرد وبالتالي إصلاح المجتمع، فقال وعند تفسيره لقوله تعالى : { رَبُّكُم أَعلَمُ بِما في نُفوسِكُم إِن تَكونوا صالِحينَ فَإِنَّهُ كانَ لِلأَوّابينَ غَفورًا ﴿٢٥﴾ } الإسراء:25، مبينا معنى الصلاح والإصلاح والفساد والنفس تحت عنوان 'صلاح النفوس وإصلاحها': "صلاح الشيء :هو كونه على حالة اعتداله في ذاته وصفاته، بحيث تصدر عنه أو به أعماله المرادة منها على وجه الكمال .

وفساده :هو كونه على حالة اختلال في ذاته أو في صفاته بحيث تصدر عنه أو به تلك الأعمال على وجه النقصان.

واعتبر هذا في البدن فإن له حالتين :حالة صحة وحالة مرض .والأولى هي حالة صحته باعتدال مزاجه فتقوم أعضائه بوظائفها وينهض هو بأعماله، والثانية :هي حالة فساده باختلال مزاجه فتتعطل أعضاؤه أو تضعف كلها أو بعضها عن القيام بوظائفه، ويقعد هو أو يثقل عن أعماله .

هذا الذي نجده في البدن هو نفسه تجده في النفس، فلها صحة ولها مرض، حالة صلاح وحالة فساد .

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 2.ص 78-79

[2]- ينظر عبد الحميد ابن باديس مفسرا :حسن عبد الرحمان سلوادي.ص 135

والإصلاح :هو إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله بإزالة ما طرأ عليه من فساد .

والإفساد: هو إخراج الشيء عن حالة اعتداله بإحداث اختلال فيه .

فإصلاح البدن بمعالجته بالحمية والدواء، وإصلاح النفس بمعالجتها بالتوبة الصادقة .

وإفساد البدن بتناول ما يحدث به الضرر، وإفساد النفس بمقارفة المعاصي والذنوب .

هكذا تعتبر النفوس بالأبدان في باب الصلاح والفساد،في كثير من الأحوال، غير أن الاعتناء بالنفوس أهم وألزم لأن خطرها أكبر وأعظم .

لإن المكلف المخاطب من الإنسان هو نفسه، وما البدن إلا آلة لها، ومظهر تصرفاتها، وإن صلاح الإنسان وفساده إنما يقاسان بصلاح نفسه وفسادها، وإنما رقيه وانحطاطه، باعتبار رقي نفسه وانحطاطها، وما فلاحه إلا بزكائها، وما خيبته إلا بخيبتها، فقد قال تعالى : { **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴿١٠﴾** }الشمس :09-10

وفي الصحيح :' **ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب** '[1].

وليس المقصود من القلب مادته وصورته، وإنما المقصود النفس الإنسانية المرتبطة به وللنفس ارتباط بالبدن كله، ولكن القلب عضو رئيسي في البدن ومبعث دورته الدموية وعلى قيامه بوظيفته تتوقف صلوحية البدن لارتباط النفس به، فكان حقيقيا بأن يعبر به عن النفس على طريق المجاز "[2].

ثم بين ابن باديس أن صلاح القلب –بمعنى النفس- يكون بالعقائد الحقة والأخلاق الفاضلة :" و صلاح القلب –بمعنى النفس- بالعقائد الحقة والأخلاق الفاضلة، وإنما يكونان بصحة العلم وصحة الإرادة، فإذا صلحت النفس هذا الصلاح صلح البدن كله بجريان الأعضاء كلها في الأعمال المستقيمة، وإذا فسدت النفس من ناحية العقد أو ناحية الخلق أو ناحية العلم أو ناحية الإرادة فسد البدن وجرت أعمال الجوارح إلى غير وجه السداد .

فصلاح النفس هو صلاح الفرد، وصلاح الفرد هو صلاح المجموع، والعناية الشرعية متوجهة كلها إلى إصلاح النفوس، إما مباشرة وإما بواسطة "[1].

---

[1]- سبق تخريجه

[2]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1.ص 206-207

ثم يخلص ابن باديس إلى أن كل ما شرعه الله عائد على هذه النفس بالصلاح والنفع فيكمل قائلا :" وما من شيء نهى الله تعالى عنه من الباطل والشر والظلم والسوء إلا وهو عائد عليها بالفساد، فتكميل النفس الإنسانية هو المقصود من إنزال الكتب وإرسال الرسل، وشرع الشرائع وهذه الآيات الثمان عشرة[2] قد جمعت أصول الهداية ما تبلغ بها النفوس إذا تمسكت به غاية الكمال "[3].

ثم يعرف ابن باديس الصالحين في قول تعالى : { **إِن تَكونوا صالِحينَ**}الإسراء:25، بقوله:" هم اللذين صلحت أنفسهم فصلحت أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم[4].

ثم يواصل متحدثا عن النفس وكيفية الاستدلال على صلاحها، وأن العباد يتفاوتون في درجات الصلاح على حسب تفاوتهم في الأعمال، وأن النفوس بما ركب فيها من شهوة، وما فطرت عليه من غفلة دائمة الوقوع في المعاصي والذنوب، لدا يجب على الإنسان مداومة العمل على إصلاحها، ودوام علاجها بالرجوع إلى الله عز وجل .

كما وضح ابن باديس لفظ 'الصالحين ' في قوله تعالى: { **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾** } الأنبياء :105 بقوله " الصالح من استنار قلبه بالإيمان والعقائد الحقة، وزكت نفسه بالفضيلة والأخلاق الحميدة، واستقامت أعماله، وطابت أقواله فكان مصدر خير ونفع لنفسه وللناس .....وأن الأرض يرثها ويملكها عباد الله الصالحون أهل العقائد الصحيحة والأخلاق الكريمة والأعمال المستقيمة الذين ينفعون العباد والبلاد" "[5].

ويرد ابن باديس على تفسير منحرف من بعض الناس في وفته للآية فيقول :" تحذير من تحريف : رأى بعض الناس المدنية الغربية المسيطرة اليوم على الأرض، وهي مدنية مادية في نهجها وغايتها ونتائجها، فالقوة عندها فوق الحق والعدل والرحمة والإحسان، فقالوا :إن رجال هذه المدنية هم الصالحون اللذين وعدهم الله بإرث الأرض، وزعموا أن المراد بالصالحون (في الآية) الصاحون لعمارة الأرض.

---

[1]- المرجع نفسه.ج 1.ص 208

[2]- هي الآيات من 22 إلى 39 من سورة الإسراء، فسرها ابن وهي مشتملة على أصول الهداية

[3]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1.ص 208-209

[4]- المرجع نفسه .1ج 1.ص 210

[5]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.1ج 1.ص 394-400

فيا للقرآن والإنسان من هذا التحريف السخيف !، كأن عمارة الأرض هي كل شيء ولو ضلت العقائد، وفسدت الأخلاق واعوجت الأعمال، وساءت الأحوال، وعذبت الإنسانية بالأزمات الخانقة وروعّت بالفتن والحروب المخربة الجارفة، وهددت بأعظم حرب تأتي على الإنسانية من أصلها والمدنية من أساسها.

هذه هي بلايا الإنسانية التي يشكوا منها بناء هذه المدنية المادية التي عمرت الأرض وأسدت الإنسان، ثم يريد هذا المحرّف أن يطبق عليها آية القرآن :كتاب الحق والعدل والرحمة والإحسان، وإصلاح الإنسان ليصلح العمران .

أما الصالحون هو لفظ قرآني قد فسره القرآن كما قدمناه، وقد شرف أهله بإضافتهم إلى الله في قوله 'عبادي'، فحمله على الصالحين لعمارة الأرض تحريف للكلام عن مواضعه أبشع التحريف وأبطله، ليحذر المؤمن منه ومن مثله من تحريفات المبطلين والمفتونين "[1].

الفرع الثالث :العناية بوقت الفرد

وعند تفسيره لقوله تعالى : { **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا** ﴿٦٢﴾} الفرقان :62، بين ابن باديس قيمة الوقت، وضرورة استغلاله والاستفادة منه، كما بين أن الإنسان مسؤول أمام ربه عن عمره فيما أفناه.

فيقول "موعظة ... عن الإمام بن العربي : سمعت ذانشمند الأكبر –يعني :الغزالي –يقول:" إن الله خلق العبد حيا عالما وبذلك كماله، وسلط عليه آفة النوم وضرورة الحدث ونقصان الخلقة إذ الكمال للأول الخالق، فما أمكن الرجل من دفع النوم بقلة الأكل والسهر في الطاعة فليفعل .

ومن الغبن العظيم أن يعيش الرجل ستين سنة ينام ليلها فيذهب نصف عمره لغوا. وينام نحو سدس النهار راحة فيذهب ثلثاه، ويبقى له من العمر عشرون سنة .

ومن الجهالة والسفالة أن يتلف الرجل ثلثي عمره في لذة فانية ولا يتلف عمره سهرة في لذة باقية عند الغني الوفي الذي ليس بعديم ولا ظلوم "[2].

ومن هنا يتبين لنا إدراك ابن باديس لقيمة الوقت وضرورة استغلاله والاستفادة منه.

---

[1]– المرجع نفسه. ج 1.ص 400

[2]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 2.ص 79

وعند تفسيره لقوله تعالى :{ **أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلوكِ الشَّمسِ إِلى غَسَقِ اللَّيلِ وَقُرآنَ الفَجرِ إِنَّ قُرآنَ الفَجرِ كانَ مَشهودًا** ﴿٧٨﴾} الإسراء:78،يؤكد ابن باديس على ضرورة العناية بالوقت واستغلاله والاستفادة من كل لحظاته، وأنه يجب على المسلم أن يقسم أوقاته على أعماله ويعمرها بالخير، وأن يربط جميع أمور دينه ودنياه بالأوقات، وأن عمر الإنسان أنفس كنز يملكه ولحظاته محسوبة عليه، فيجب عليه أن يستغل هذا الكنز الثمين فيقول :" تعليم .....في ربط الصلاة بالأوقات تعليم لنا لنربط أمورنا بالأوقات، ونجعل لكل عمل وقته،فللنوم وقته، وللأكل وقته، وللراحة وقتها، ولكل شيء وقته وبذلك ينضبط للإنسان أمر حياته، وتطرد له أعماله، ويسهل عليه القيام بالكثير من الأعمال .

أما إذا ترك أعماله مهملة غير مرتبطة بوقت، فإنه لا بد أن يضطرب عليه أمر، و يتشوش باله، ولا يأتي إلا بالعمل القليل، ويحرم لذة العمل، وإذا حرم لذة العمل أصابه الكسل والضجر،فقل سعيه، وكان ما يأتي به من عمل –على قلته وتشويشه– بعيدا عن أي إتقان "[1].

ويقول :" وينبغي للمسلم أن يقسم أوقاته على أعماله ويعمرها كلها بالخير، وكما ربط الله له صلاته بالأوقات، وهي من أمور دينه، كذلك يربط هو بالأوقات أمور دنياه"[2].

الفرع الرابع :دعوة الفرد للأخذ بالأسباب وحثه على السعي والعمل

قال ابن باديس عند تفسيره لقوله تعالى : { **مَن كانَ يُريدُ العاجِلَةَ عَجَّلنا لَهُ فيها ما نَشاءُ لِمَن نُريدُ ثُمَّ جَعَلنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصلاها مَذمومًا مَدحورًا** ﴿١٨﴾ } الإسراء:18، " وقد أفادت هذه الآيات كلها أن الأسباب الكونية التي وضعها الله في هذه الحياة وسائل لمسبباتها –موصلة– بإذن الله– من تمسك بها إلى ما جعلت وسيلة إليه، بمقتضى أمر الله وتقديره، وسننه في نظام هذه الحياة والكون، ولو كان ذلك المتمسك بها لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ولا يصدق المرسلين .

ومن مقتضى هذا أن من أهمل تلك الأسباب الكونية التقديرية الالاهية و لم يأخذ بها لم ينل مسبباتها ولو كان من المؤمنين وهذا معلوم ومشاهد من تاريخ البشر في ماضيهم وحاضرهم .

---

[1]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج 1.ص 323

[2]– المرجع نفسه .ج 1.ص 331

نعم، لا يضيع على المؤمن أجر لإيمانه، ولكن جزاءه عليه في غير هاته الدار، كما أن الأجر لم يضع عليه أخذه بالأسباب، فنال جزاءه في دار الأسباب، وليس له في الآخرة إلا النار "[1].

ثم وتحت عنوان فرعي آخر 'أقسام العباد ' يذكر ابن باديس أقسام العباد اتجاه الأخذ بالأسباب فيقول:" العباد –إذن – على أربعة أقسام :

1- مؤمن آخذ بالأسباب الدنيوية، فهذا سعيد في الدنيا والآخرة .
2- ودهري تارك لها، فهذا شقي فيهما.
3- ومؤمن تارك للأسباب، فهذا يشقي في الدنيا وينجو-بعد المؤاخذة على الترك- في الآخرة .
4- ودهري آخذ بالأسباب الدنيوية، فهذا سعيد في الدنيا ويكون في الآخرة من الهالكين"[2].

ويضيف مبينا أن سبب تأخر المسلمين هو تركهم الأخذ بالأسباب وليس إيمانهم فيقول:" فلا يفتن المسلمون بعد علم هذا ما يرونه من حالهم وحال من لا يدين دينهم، فإنه لم يكن تأخرهم لإيمانهم، بل بترك الأخذ بالأسباب الذي هو من ضعف إيمانهم، و لم يتقدم غيرهم بعدم إيمانهم بل بأخذهم بأسباب التقدم قي الحياة، وقد علموا أنهم مضت عليهم أحقاب وهم من أهل القسم الأول بأيمانهم وأعمالهم، وما صاروا من أهل القسم الثالث إلا لما ضعف إيمانهم وساءت أعمالهم وكثر إهمالهم ..... فلا لوم إذن إلا عليهم في كل ما يصيبهم وربك يقضي بالحق وهو الفتاح العليم "[3].

الفرع الخامس : الدعوة إلى الله وبيان سبيل الرب

وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : { **ادعُ إِلى سَبيلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجادِلهُم بِالَّتي هِيَ أَحسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبيلِهِ وَهُوَ أَعلَمُ بِالمُهتَدينَ﴿١٢٥﴾** }النحل :125، فيقول تحت عنوان 'سبيل الرب عز وجل ' : "شرع الله لعباده بما أنزل من كتابه وما كان من بيان رسوله ما فيه استنارة عقولهم وزكاء نفوسهم واستقامة أعمالهم، وسماه سبيلا ليلتزموه في جميع مراحل سيرهم في هذه الحياة ليفضي بهم إلى الغاية المقصودة وهي السعادة الأبدية في الحياة الأخرى، وأضافه إلى نفسه ليعلموا أنه هو وضعه، وأنه لا شيء يوصل إلى رضوانه سواه.

---

[1]-المرجع نفسه. ج 1.ص 162
[2]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج 1.ص 163
[3]- المرجع نفسه .ج 1.ص 162-163

وذكر من أسمائه الرب ليعلموا أن الرب الذي خلقهم وطورهم ولطف بهم في جميع أطوار خلقهم ومراحل تكوينهم، هو الذي وضع لهم هذه السبيل، لطفا منه بهم وإحسانا بهم، لينهجوها في مراحل حياتهم، فكما كان رحيما بهم في خلقه كان رحيما بهم في شرعه، فيسيروا فيها عن رغبة ومحبة فيها، ومع شكر له وشوق إليه"[1].

ثم وتحت عنوان 'اهتداء' بين ابن باديس أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك شيئا من سبيل ربه إلا دعا إليه، وأن ما لم يدعو إليه صلى الله عليه وسلم فليس من سبيل الرب فيقول :"أمر الله نبيه أن يدعو إلى سبيل ربه، و هو الأمين المعصوم، فما ترك شيئا من سبيل ربه إلا دعا إليه، فعرفنا بهذا بأن ما لم يدعو إليه محمد صلى الله عليه وسلم ليس من سبيل الرب عز وجل، فاهتدينا بهذا –وأمثاله كثير– إلى الفرق بين الحق والباطل، والهدي والضلال، ودعاة الله ودعاة الشيطان .

من دعا إلى ما دعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم فهو من دعاة الله، يدعو إلى الحق والهدى، ومن دعا إلى ما لم يدعو إليه محمد صلى الله عليه وسلم فهو من دعاة الشيطان، يدعو إلى الباطل والضلال "[2].

وعند تفسير الإمام عبد الحميد بن باديس لقوله تعالى : { **قُل هـــذِهِ سَبيلي أَدعو إِلَى اللَّـــهِ عَلى بَصيرَةٍ أَنا وَمَنِ اتَّبَعَني وَسُبحانَ اللَّـــهِ وَما أَنا مِنَ المُشرِكينَ** ﴿١٠٨﴾ }يوسف :108، حث ابن باديس كل فرد من أفراد المجتمع على أن يكون داعيا إلى الله، وأن تكون دعوته على بينة وحجة، ثم بين مجالات هذه الدعوة فيقول وتحت عنوان رئيسي 'سبيل السعادة والنجاة ': " على كل مسلم أن يكون داعيا إلى الله .....لقد كان في بيان أن الدعوة إلى الله هي سبيل محمد صلى الله عليه وسلم ما يفيد أن على أتباعه –وهو قدوتهم ولهم فيه الأسوة الحسنة– أن تكون الدعوة إلى الله سبيلهم، ولكن لتأكيد هذا عليهم، وبيان أنه من مقتضى كونهم أتباعه، وأن إتباعهم له لا يتم إلا به، جاء التصريح بذلك هكذا : { **أَدعو إِلَى اللَّـــهِ عَلى بَصيرَةٍ أَنا وَمَنِ اتَّبَعَني** }،فالمسلمون أفرادا وجماعات عليهم أن قوموا بالدعوة إلى الله، وأن تكون دعوتهم على بينة وحجة وإيمان ويقين، وأن تكون دعوتهم وفقا لدعوته وتبعا لها "[3].

ثم بين ابن باديس مجالات الدعوة وذلك تحت عنوان فرعي ' ماهية الدعوة' فيقول:" فمن الدعوة إلى الله دروس العلوم كلها مما يفقه في دين الله، ويعرف بعظمة الله وآثار قدرته، ويدل على رحمة الله وأنواع نعمته،

---

[1]– المرجع نفسه.ج 1 .ص 135

[2]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود ج.ص 136

[3]– المرجع نفسه. ج 1.ص 124

فالفقيه الذي يبين حكم الله وحكمته داع إلى الله، والطبيب المشرح الذي يبين دقائق العضو ومنفعته داع إلى الله، ومثلهما كل مبين في كل علم وعمل .

ومن الدعوة إلى الله بيان حجج الإسلام، ودفع الشّبه عنه، ونشر محاسنه بين الأجانب عنه ليدخلوا فيه، وبين مزعزعي العقيدة من بنائه ليثبتوا عليه .

ومن الدعوة إلى الله مجالس الوعظ والتذكير لتعريف المسلمين بدينهم، وتربيتهم في عقائدهم وأخلاقهم وأعمالهم على ما جاء به.....

ومن الدعوة إلى الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو فرض عين على كل مسلم ومسلمة بدون استثناء، وإنما يتنوع الواجب بحسب رتبة الاستطاعة فيجب باليد فإن لم يستطع فباللسان، فإن لم يستطع فبالقلب وهو أضعف الإيمان، وأقل الأعمال في هذا المقام.

ومن الدعوة إلى الله ظهور المسلمين –أفرادا وجماعات – بما في دينهم من عفة وفضيلة، وإحسان ورحمة، وعلم وعمل، وصدق وأمانة، ذلك أعظم مرغب للأجانب في الإسلام، كما كان ضده أعظم منفر لهم عنه، وما انتشر الإسلام أول مرة بين الأمم إلا لأن الداعين إليه كانوا يدعون بالأعمال كما كانوا يدعون بالقول، وما زالت الأعمال عيارا على الأقوال.

ومن الدعوة إلى الله بعث البعثات إلى الأمم غير المسلمة ونشر الكتب بألسنتها، وبعث المرشدين إلى عوام الأمم المسلمة لهدايتهم وتفقيههم .

كل هذا من الدعوة إلى الله، ثابتة أصوله قي سنة النبي صلى الله عليه وسلم وسنة السلف الصالح من بعده"[1].

ثم أكمل مبينا أنه على كل مسلم أن يقوم بما استطاع من هذه الدعوة :" فعلى كل مسلم أن يقوم بما استطاع منه في كل وجه من وجوهه، وليعلم أن الدعوة إلى الله على بصيره هي سبيل نبيه صلى الله عليه وسلم وسبيل إخوانه الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- من قبله، فلم يكن المسلم ليدع من هذا المقام الشريف مقام خلافة النبوة شيئا من حظه .

وإذا كان هذا المقام ثابتا لكل مسلم ومسلمة، وحقا القيام به –بقدر الاستطاعة- على كل مسلم ومسلمة- فأهل العلم به أولى وهو عليهم أحق وهم المسؤولون عنه قبل جميع الناس.

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1.ص 124-126

وما أصاب المسلمين إلا يوم قعد أهل العلم عن هذا الواجب عليهم .وإذا عادوا إلى القيام به —وقد عادوا والحمد لله- أوشك- إن شاء الله — أن ينجلي عن المسلمين مصابهم"[1].

إذن فقد أولى ابن باديس الفرد عناية كبيرة وأعطاه مكانة عالية في المجتمع باعتباره اللبنة الأساسية فيه، إن أُحْسِنَ إلية بالعناية والرعاية من جميع النواحي :الفكرية، العقلية، النفسية والبدنية وأَحْسَنَ هو إلى إلى نفسه ورباها، فإذا صلح الأفراد صلح المجتمع برمته، ورب شخص إذا تمت رعايته وتنشئته فإنه أعظم فائدة لمجتمع من آلاف الناس .

المطلب الثاني :إصلاح الأسرة والعناية بها

الأسرة هي الأساس الأول في تربية الإنسان وتكوين شخصيته، فهي البيئة الطبيعية التي تتعهد الإنسان بالرعاية والعناية منذ ولادته، ولهذا فإن أول قضية ركز عليها الشيخ ابن باديس في الميدان الاجتماعي هي الدعوة إلى المحافظة على الأسرة كمؤسسة من أهم مؤسساته الاجتماعية، لما توفره للفرد من استقرار نفسي ومادي وما تقدمه للمجتمع من أسباب النهضة والتقدم، وحذر من المزلق الذي وقعت فيه التجربة الغربية التي فرطت في هذه المؤسسة بإخراج المرأة عن وظيفتها الطبيعية إلى وظائف اجتماعية، لا ترقى في أهميتها إلى وظيفتها كأم وربة بيت، فترتب على ذلك في حياة مجتمعاتها فساد كبير جعلها مهددة بالأنقراض والزوال .

الفرع الأول :مكانة المرأة في الأسرة وضرورة العناية بها

أعطى ابن باديس للمرأة أولوية كبيرة في دعوته الإصلاحية وعمل من أجل النهوض بها،والتزامها الطريق الاجتماعي الصحيح في الأسرة وذلك من خلال جملة من النقاط نتناولها فيما يلي .

أولا :تعليم المرأة في نظر ابن باديس

عنى ابن باديس بتعليم المرأة عناية خاصة انطلاقا من قناعته بدورها في النهوض الحضاري للأمة،وبسبب ما كان يلاحظه من سياسة استعمارية تهدف إلى فرض تعليم غربي اللغة والقيم على الجزائريين، من أجل القضاء على الهوية الجزائرية .

ولقد أدرك بن باديس أن مواجهة مخططات الاستعمار وإفشال مشاريعه الهادفة إلى التجهيل المطلق للشعب الجزائري إنما يتم في جانب منه من خلال تعليم المرأة وتثقيفها ورفع مستوى وعيها وإدراكها، لأن المرأة

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج.1.ص.126

الجزائرية في عهد ابن باديس كانت تعيش تحت وطأة الجهل والتخلف، وتحت أصوات دعوات التحرر من المشرق العربي التي تنادي بالتحرر والالتحاق الكلي بالغرب في كل شيء فكان لزاما أن ينظر الحكماء من أبناء الوطن في حال المرأة الجزائرية ومحاولة انتشالها مما تعانيه و إنقاذها مما يخطط ويحاك لها .[1]

وعد ابن باديس الجهالة التي كانت عليها المرأة في عهده جهالة عمياء، وحمل الأولياء مسؤولية ذلك،ورأى أنهم آثمون بذلك، وأنه يجب على العلماء أن يقوموا بمسؤولية تعليم المرأة.

فيقول "إن الجهالة التي فيها نساؤنا اليوم هي جهالة عمياء، وإن على أوليائهن المسؤولين عليهن إثما كبيرا فيما هن فيه، وإن أهل العلم والإرث النبوي مسؤولون عن الأمة،رجالها ونسائها، فعليهم أن يقوموا بهذا الواجب العظيم في حق النساء بتعليمهن خلف صفوف الرجال، وفي يوم خاص بهن إقتداء بالمعلم الأعظم عليه وعلى أله الصلاة والسلام "[2]

ثانيا :الرسالة الحقيقية للمرأة في نظر ابن باديس

ولئن كان ابن باديس قد دعا إلى تعليم المرأة وإعدادها وتكوينها فإنه يرى أن المهمة الأساسية للمرأة والتي خلقت من أجلها هي القيام بالجزء الداخلي للحياة، وهو البيت وتربية أبنائها، وهذه نظرة واقعية من رجل حكيم لأن المرأة الجاهلة لا يمكنها أن تنشأ جيلا متماسكا فأكد على ضرورة تعليمها .

كما يؤكد ابن باديس أن كلا من الرجل والمرأة قد أعطيا من القدرات ما يسمح لكل منها القيام بدوره ومجاله المخصص له .

يقول ابن باديس :"إن الكمال الإنساني متوقف على قوة العلم وقوة الإرادة وقوة العمل، فهي أسس الخلق الكريم والسلوك الحميد اللذين ينهض بهما بجلائل الأعمال ويبلغ بهما إلى أسمى غايات الشرف والكمال .

والمرأة لما خلقت لقسم الحياة الداخلي، أعطيت من القوى الثلاث القدر الذي تحتاج إليه منها وهو دون ما يحتاج إليه الرجل الذي خلق للقيام بقسم الحياة الخارجي، فكانت بخلقتها أضعف منه في العلم والإرادة والعمل فكانت لذلك دونه في الكمال، وتقسيم الحياة إلى قسميها ضروري لبقاء النسل و حفظه وتقسيم وظيفة الحياة بين الرجل والمرأة، وإعطاء كل واحد منها القدر الذي يحتاج إليه في وظيفته من بديع صنع الحكيم الخبير، فلو لم يعطى الرجل

---

[1]- ينظر عناية الإمام ابن باديس بقضايا المرآة وجهوده في النهوض بها :حجيبة شيدح .مجلة الوعي . ع.1.رجب –شعبان 1431هـ/جويلة 2010م . دار الوعي .الجزائر .ط.3

[2]- عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره.ت :عمار طالبي .ج 2.ص 199-200

ما أعطي من كمال القوى لما استطاع القيام بالأعمال الكبيرة في قسمه، ولو أعطيت المرأة مثل ما أعطي لما صبرت على البقاء في قسمها فأخلته فاختل النظام فحصل الفساد"[1].

ثم أكمل مبينا الحيرة التي تعيشها المجتمعات الغربية في معالجة المشكلات التي تترتب عن إهمال دور الأسرة وذلك بسبب تخلي المرأة عن وظيفتها الحقيقية فيقول:" ونحن نرى اليوم المرأة في المدنية الغربية ومقلدتها لما خيل لها أنها قوية مثل الرجل هجرت وظيفتها أو أهملتها وخرجت تزاحم الرجل ي وظيفته أضرت بالقسم الداخلي من الحياة بإهماله واضطرابه وأضرت بالقسم الخارجي لمزاحمة الرجل وزحزحة قسم كبير منه عن العمل وتعريضه للفتن، والأمم الغربية اليوم تشكو مر الشكوى من تفكك نظام الأسرة وانحلال رباط الأخلاق الزوجية، وبعضها عاجز عن تدارك أمره بما فيه من فوضى الآراء وتشعب الأهواء وتأصل الداء، وبعضها أخذ يعالج بما فرضه على العزابة من ضريبة مالية، وما جعله من مكافآت للمتزوجين والمتزوجات "[2].

وعند تفسيره لقوله تعالى : { إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ } النمل:23، بين ابن باديس أن المرأة لا تصلح للولاية من ناحية خلقتها النفسية، وفي اشتغالها بالولاية إخلال بوظيفتها الطبيعية في القيام على مملكة البيت وحفظ النسل تربية الأولاد فيقول :" لا تصلح المرأة للولاية من ناحية خلقتها النفسية فقد أعطيت من الرقة والعطف والرأفة ما أضعف فيها الحزم والصرامة اللازمين للولاية وفي اشتغالها بالولاية إخلال بوظيفتها الطبيعية الاجتماعية التي لا يقوم مقامها فيها سواها، وهي القيام على مملكة البيت وتدبير شؤونه، وحظ النسل بالاعتناء بالحمل والولادة و تربية الأولاد"[3].

ثالثا : ستر المرأة

وأشار ابن باديس إلى ضرورة ستر المرأة الحرة بما فرض عليها من الحجاب الشرعي وعدم تطيبها عند الخروج وعدم خلوتها مع الأجنبي واختلاط النساء بالرجال وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : {وَلا تَقرَبُوا الزِّنى إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَساءَ سَبيلًا ﴿٣٢﴾ } الإسراء :32، وأن الشرع الحكيم حمى العباد من فاحشة الزنى لما شرع من

---

[1]- عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره.ت :عمار طالبي.ج 2.ص 209

[2]- المرجع نفسه .ج.2.ص.210.

[3]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 2.ص 239

الحجاب الشرعي فقال : "وقد حمى الشرع الحكيم العباد من هذه الفاحشة لما فرض من الحجاب الشرعي، وهو ستر ا الحرة ما عدا وجهها وكفيها [1] وجمع ثيابها عند لخروج بالتجلبب ولما حرم من طيب المرأة، وقعقعة حليها عند الخروج و خلوتها بالأجنبي، واختلاط النساء بالرجال فتضافر النهي والتشريع على إبعاد الخلق عن هذه الرذيلة "[2] .

الفرع الثاني :دعوته للتزوج وطلب النسل والمحافظة على الأسرة

فعند تفسيره لقوله تعالى : { وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴿٧٤﴾ } الفرقان:74، بين ابن باديس أن التزوج وطلب النسل هو السنة وأنه لا رهبانية في الإسلام وأن في التزوج تكثير سواد الأمة والمدافعين عن الملة والقائمين على هذا الدين .فيقول :" التزوج وطلب النسل هو السنة، سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وسنة أصحابه رضوان الله عليهم، وسنة عباد الرحمان، وليس من شريعته الحنفية السمحة ، الرهبانية والتبتل.

وقد رأى قوم من الزهاد رجحان الانقطاع إلى العبادة على التزوج والانشغال بالسعي على الزوج والذرية . فرد عليهم أئمة الدين والفتوى بأن التزوج إتباعا للسنة، وفي السعي على الأهل ما هو من أعظم العبادة .

وفي التزوج تكثير سواد الأمة، والمدافعين عن الملة، والقائمين بمصالح الدين والدنيا، وفي هذا ما فيه من الأجر والمثوبة .وفي التبتل مخالفة السنة، وانقطاع النسل، وضعف الأمة وتعطيل المصالح، وخراب العمران، وكفى بهذا كله شرا وفسادًا".

ثم بين ابن باديس أن من يريد الزواج عليه أن يختار ويقصد ذات الدين لأن الزوجة الصالحة من شأنها أن تربي أولادها على الخير والصلاح، فيقول :"سؤال العبد من ربه أن يهب له من الزوج ذرية ما تقر به عينه، يقتضي سعيه بقدر استطاعته لتحصيل ذلك فيهما ليقوم بالسببين المشروعين من السعي والدعاء .

فعليه أن يختار ويجتهد عندما يريد التزوج، وأن يقصد ذات الدين وفي اختياره واجتهاده في جانب الزوجة السعي في اختيار الولد، فإن الزوجة الصالحة شأنها أن تربي أولادها على الخير والصلاح.ثم عليه أن يقوم بتعليم زوجه

---

[1] – أما في حالة الفتنة فيقول ابن باديس بوجوب ستر الوجه فيقول :" نعم نص أكثر الفقهاء المتأخرين من جميع المذاهب على أن المرآة يجب عليها ستر وجهها إذا خشيت منها الفتنة، وهذا حكم عارض معلل بهذه العلة، فيدور معها وجودا و عدما ".كذا مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 2.ص 386

[2] – مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1.ص 244

وأولاده وتهذيبهم وإرشادهم، فيكون قد قام بما عليه من الابتداء والاستمرار مع دوام التضرع إلى الله تعالى والابتهال"[1] .

وعند بيانه بمعنى 'قرة أعين' يقول :" قرة أعين تركيب كنائي، فإذا كانت القرة هو القر فهو كناية عن السرور لأن العين في حالة سرور باردة،وإذا سالت منها دموع في حالة فرح كانت بادرة .

وإذا كان الإنسان في حالة حزن، فالعين تكون سخنة بسبب ثورة النفس وآلامها التي تثير الحرارة، فإذا سالت منها دموع الحزن كانت سخنة..... فقرة أعينهم على هذا كناية عن سرورهم بأزواجهم وذريتهم بما يروهم عليه من الخير والكمال، وإعانتهم لها عليهما .

وإذا كانت القرة من القرور، فهي كناية عن سكون النفس بحصولها على ما يرضيها من الأزواج والذرية، ومعنى هذا أن النفس إذا لم تحصل على ما يرضيها تعلقت بما عند غيرها، وتشوقت إليه فتمتد إليه العين، ويطمح إليه البصر، وإذا حصلت على ما يرضيها زالت عن ذلك التعلق، وانكفت عن التشوّف، فسكنت العين فلم تمتد إلى غير ما عندها نو لم يمح البصر إليه .

ولهذا كما كان قرور العين كناية عن رضى النفس وسكونها، كان امتداد العين كناية عن اضطراب النفس وتشوفها وتعلقها .وعليه قوله تعالى : { **وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴿١٣١﴾** } طه :131.

فقرة أعينهم على هذا كناية عن رضى أنفسهم بما يكون لهم من أزواج وذرية، موصوفين بالصفات المرضية، من طاعة الله في القيام بوظائف الدين والدنيا وإعانتهم لهم على القيام بها "[2].

فابن باديس هنا وضح أهمية الأسرة الصالحة (زوجة وذرية) في الاستقرار النفسي للفرد المسلم وسروره بما يراه عليهم من الخير والكمال من طاعة الله القيام بوظائف الدين والدنيا.

وتحت عنوان رئيسي ' حفظ النفوس بحفظ النسل وحفظ الفرج وعدم العدوان ' وعند تفسيره لقوله تعالى: { **وَلا تَقتُلوا أَولادَكُم خَشيَةَ إِملاقٍ نَحنُ نَرزُقُهُم وَإِيّاكُم إِنَّ قَتلَهُم كانَ خِطئًا كَبيرًا ﴿٣١﴾ وَلا تَقرَبُوا الزِّنى إِنَّهُ**

[1] – مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 2.ص 169-171

[2] مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود .ج 2.ص 168-169

كانَ فاحِشَةً وَساءَ سَبيلًا ﴿٣٢﴾ وَلا تَقتُلُوا النَّفسَ الَّتي حَرَّمَ اللَّـهُ إِلّا بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظلومًا فَقَد جَعَلنا لِوَلِيِّهِ سُلطانًا فَلا يُسرِف فِي القَتلِ إِنَّهُ كانَ مَنصورًا ﴿٣٣﴾ }الإسراء :31-33، يقول:" حفظ النسل : { وَلا تَقتُلوا أَولادَكُم خَشيَةَ إِملاقٍ نَحنُ نَرزُقُهُم وَإِيّاكُم إِنَّ قَتلَهُم كانَ خِطئًا كَبيرًا ﴿٣١﴾ }الإسراء :31، ' عموم حكم لآية وترغيبها ' العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والحكم يعم بعموم اللفظ، كما أن ذكر سبب القتل في الآية لا يقتضي التخصيص، لأن ذكر لتصوير الحال الذي كانوا عليه، القتل حرام لأي سبب كان.

وهذا الفعل الذي كان في الجاهلية على الوجه المتقدم، وهو فعل مؤد إلى قطع النسل وخراب العمران، ولا تسلم منه الأمم الأخرى في مختلف الأزمنة والبلدان، إما بالقتل بعد الولادة، وإما بإفساد الحمل بعد التخليق، وهو حرام باتفاق .وقد يكون الامتناع من التزوج أو بعدم الإنزال في الفرج وهو العزل .

والآية كما نهت عن القتل قد رغبت في النسل بذكر ضمان الرزق، فعلى المؤمن أن يسعى لذلك من طريقه المشروع وأن يتلقى ما يعطيه الله من نسل، ابن أو بنت، بفرح لنعمة الله وثقة برزق الله وإيمان بوعده"[1].

فنجد أن ابن باديس هنا يدعو الفرد المسلم إلى المحافظة على النسل، وأن يسعى إليه من طريقه المشروع، وأن يبتعد عن وأد الأولاد بكل صوره.

ثم يواصل ابن باديس قائلا :" 'حفظ الفرج' { وَلا تَقرَبُوا الزِّنى إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَساءَ سَبيلًا ﴿٣٢﴾} الإسراء :32 ، في الزنى إراقة للنطفة وسفح لها في غير محلها، لو كان منها ولد لكان مقطوع النسب، مقطوع الصلة، ساقط الحق، فمن تسبب في وجوده على هذه الحالة فكأنه قتله .

ولهذا بعدما نهى عن قتل الأولاد نهى عن الزنى الذي هو كقتلهم لأنه سبب لوجود غير مشروع "[2] .

فابن باديس هنا دعا الفرد المسلم لحفظ الفرج عن الزنى لقبح هذا الفعل، ولما فيه من إراقة للنطفة وسفح لها في غير محلها، ولما فيه من إذاية للولد الذي يكون منها، فيكون مقطوع النسب، مقطوع الصلة، ساقط الحق، فكأنه قتله لأنه سبب لوجوده الغير مشروع، لهذا قرن بقتل النفس، فذلك قتل حقيقي وهذا قتل معنوي .

---

[1]- المرجع نفسه. ج 1.ص 242-243

[2]مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود .ج.1.ص 244

ولما يجره من مفاسد وشرور على الأسرة والمجتمع في الدنيا، وعذاب عظيم في الآخرة، فهو طريق إلى هلاك الأبدان وفساد الأعراض وضياع الأموال وخراب البيوت، وانقطاع الأنساب، وفساد المجتمع وانقراضه.[1]

كما أكد هذا الأمر عند تفسيره لقوله تعالى : { **وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ** } الفرقان :68، " قامت الشريعة على المحافظة على حقوق الله وحقوق عباده، وحق الله على عباده ن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، فمن دعا مع الله غيره، وأشرك به سواه، فقد أبطل حق الله وأعدم عبادته.

ومن قتل النفس فقد تعدى على أول حق جعله الله لعباده بفضله، وهو حق الوجود، وعمل على إبطال وجودهم وفناء نوعهم وزوال عبادتهم، فلهذا قرن قتل النفس بدعاء غير الله معه .

ولما كان الزنى فيه بطلان النسب وفساد الخلق والجسد، وذلك مؤدّ إلى الاضمحلال والزوال والشرور والأهوال، قرن بقتل النفس، فدلك قتل حقيقي، وهذا قتل معنوي"[2].

الفرع الثالث : بر الوالدين والإحسان إليهما في القول والعمل وتأكيده في حالة الكبر

ومن باب المحافظة على الأسرة والاهتمام بها دعا ابن باديس إلى بر الوالدين وضرورة الإحسان إليهما في القول والعمل وخاصة في حالة الكبر، لأنها حالة الضعف وشدة الحاجة ومظنة الملل والضجر وضيق الصدر من تصرفاتهما، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : { **وَقَضى رَبُّكَ أَلّا تَعبُدوا إِلّا إِيّاهُ وَبِالوالِدَينِ إِحسانًا إِمّا يَبلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُما أَو كِلاهُما فَلا تَقُل لَهُما أُفٍّ وَلا تَنهَرهُما وَقُل لَهُما قَولًا كَريمًا ﴿٢٣﴾ وَاخفِض لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحمَةِ وَقُل رَبِّ ارحَمهُما كَما رَبَّياني صَغيرًا ﴿٢٤﴾**}الإسراء:23-24 .

فيقول مبيننا تقدم فضل وإحسان الوالدين على إبنهما :" الله :هو الخالق، والوالدان –بوضع الله- هما السبب المباشر في التخليق .

---

[1]-. المرجع نفسه ج 1.ص 245

[2]- المرجع نفسه ج 2.ص 133

والله هو المبتدأ بالنعم عن غير عمل سابق، وهما يبتدئان بالإحسان عن غير إحسان تقدم، والله يرحم ويلطف وهو الغني عن مخلوقاته وهم الفقراء إليه، وهما يكنفان بالرحمة واللطف الولد، وهما في غنى عنه، وهو في افتقار إليهما، والله يوالي إحسانه ولا يطلب الجزاء، وهما يبالغان في الإحسان دون تحصيل الجزاء، فلهذه الحالة التي خصّهما الله بها، وأعانهما بالفطرة عليها، قرن ذكرهما بذكره، فلما أمر بعبادته أمر بالإحسان إليهما في هذه الآية، وفي قوله تعالى : {وَاعْبُدُوا اللَّـهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } النساء:36، ولما أمر بشكره أمر بشكرهما فقال تعالى :{ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ } لقمان:14.

وفي هذا الجمع في القضاء والحكم بالإحسان، والأمر بالشكر لهما مع الله تعالى، أبلغ التأكيد وأعظم الترغيب، ثم زاد هذا الحكم، وهذا الأمر تقريرا بلفظ التوصية بهما في قوله تعالى : {**وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا** }العنكبوت :08.

ليحفظ حكم الله وأمره فيهما ولا يضيع شيء من حقوقهما، فكان حقهما بهذه الوصاية أمانة خاصة، ووديعة من الله عظيمة عند ولدهما، وكفى بهذا داعيا إلى العناية بهذه الأمانة وحفظها وصيانتها "[1].

ثم يكمل مبينا أن هذا الإحسان الواجب على الولد بوالديه آكد من جهة الأم أكثر من جهة الأب وحظها فيه أوفر فيقول :" وهذا الإحسان الواجب لهما جانب الأم أكد فيه من جانب الأب، وحظها فيه أوفر من حظه، ويشير إلى هذا تخصيصها بذكر أتعابها بقوله تعالى : { **وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ** }لقمان:14، وفي الأخرى { **وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا** } الأحقاف :15، فذكر ما تعانيه من ألم الحمل ومشقة الوضع ومقاساة الرضاع والتربية، وجاء التصريح بهذا في الحديث الصحيح :' **فقد جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: من أحق الناس بحسن صحابتي ؟(أي صحبتي من حسن العشرة والبر والتكرمة) قال : "أمك" قال :ثم من ؟ قال : "أمك" .قال :ثم من ؟ قال : "أبوك" '**[2].

---

[1]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1.ص 192-193

[2]– أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب :من أحق الناس بحسن الصحبة (5971).ج 4.ص 86
وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والأدب، باب :بر الوالدين وأيهما أحق به.ج 8.ص 2

فذكر الأب في الثالث، وفي طريق آخر للحديث ذكره في الرابعة، ولقد كان لها هذا بما ذكر من مزيد أتعابها وضعف جانبها ورقة عاطفتها وشدة حاجتها، فكان هذا الترجيح لجانبها من عدل الحكيم العليم، ومحاسن الشرع الكريم "[1].

ثم بين ابن باديس مجالات الإحسان إليهما فيقول :" ومن الإحسان إليهما طاعتهما في الأمر والنهي ومن عقوقهما مخالفتهما فيهما ، وإنما تحل له مخالفتهما إذا منعاه من واجب عيني أو أمراه بمعصية.....

ومن حقوقهما عليه ألا يخرج إلى ما فيه خوف ومخاطرة بالنفس إلا بإذنهما .....، أما إذا أراد تعاطي مالا خطر فيه ولا فجيعة من شؤون الحياة ووجوه التصرفات، فليس عليه أن يستأذنهما وليس لهما منعه، ولكن إذا منعاه من شيء امتنع لوجوب برهما وطاعتهما –في غير معصية– من برهما "[2] .

ثم بين ابن باديس أن الإحسان إليهما عام في جميع الأحوال وخاصة و عند الكبر فيقول :" الأمر بالإحسان إليهما عام في جميع الأحوال، وخصصت حالة بلوغ أحدهما أو كليهما الكبر بالذكر، لأنها حالة الضعف، وشدة الحاجة، ومظنة الملل والضجر منهما، وضيق الصدر من تصرفاتهما .

فهما في هذه الحالة قد عادا قي نهايتهما إلى ما كان ولدهما عليه في بدايته، وليس عنده من فطرة المحبة مثل ما عندهما، فكان بأشد الحاجة إلى التذكير بما عليه من تمام العناية بهما، ومزيد الرعاية لهما، وشدة التوقي والتحفظ من كل ما يمس بسوء جانبهما، في هاته الحال على الخصوص، وإن كان ذلك واجباً عليه في كل حال على العموم .

وعول بقائهما عنده في كنفه وثقل مؤونتهما عليه، وما يكون من ضرورات الكبر والمرض مما يستقدره في بيته، كل هذا قد يؤديه إلى الضجر والتبرم، فيقول ما يدل على ضجره وتبرمه.

فنهي عن التفوّه بأقل كلمة تدل على ذلك، وهي كلمة 'أف' بقوله تعالى : {فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ} ،فأحرى وأولى ما فوقها، وهذا أمر بتحمل كل ذلك منهما، ونهي عن التضجر منهما.

---

[1]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1.ص 194-196

[2]– المرجع نفسه .ج 1.ص 197-198

ومن ضرورة مباينتهما لولدهما في السن، وفي النشأة أنهما كثيرا ما يخالفانه في آرائه وأفكاره، وقد يتناولان ما لا يحب أن تصل يدهما إليه، وقد يسألانه للمعرفة أو الحاجة، وكل هذا قد يؤديه إلى نهرهما، أي زجرهما بصياح وإغلاظ أو إظهار للغضب في الصوت واللفظ، فنهى عن هذا بقوله تعالى ك{**وَلَا تَنْهَرْهُمَا**}"[1].

ويشير ابن باديس إلى أنه لما نهى الله الأبناء عن القول القبيح المؤذي أمرهم بالقول اللين السهل لآبائهم فيقول : "قال تعالى : {**وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً**}،وفي هذا أمر بأن يخاطبهما بجميل القول ويؤنسهما بطيب الحديث، و نهى عن أن يؤذيهما في قول أو يوحشهما بطول السكوت، فليس له أن يتركهما وشأنهما، بل عليه مجالستهما، ومحادثتهما، وجلب الأنس إليهما وإدخال السرور عليهما "[2].

ويقول عند تفسيره لقوله تعالى : {**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُلِ مِنَ الرَحْمَةِ**}"مضى فيما تقدم أدب القول، وهذا أدب الفعل وبيان الحال التي يكون عليها، فالوالدان عند ولدهما في كنفه كالفراخ الضعيفة المحتاجة للقوت والدفء والراحة، وولدهما يقوم لهما بالسعي كما يسعى الطائر لفراخه ويحيطهما بحنوه وعطفه، كما يحيط الطائر فراخه، فشبه الولد في سعيه وحنوه وعفه على والديه بالطائر في ذلك كله على فراخه، وحذف المشبه به وأشير إليه يلازمه، وهو خفض الجناح، لأن الطائر هو ذو الجناح، وإنما يخفض جناحه حنوا وعطفا وحياطة لفراخه" [3].

ويكمل قائلا عند تفسيره لقوله تعالى : {**وَقُلْ رَبِي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَيَانِي صَغِيرًا** }، مبينا أنه مهما اجتهد الولد في الإحسان إلى أبويه فإنه لا يجازي سابق إحسانهما فيقول :" مهما اجتهد الولد في الإحسان إلى أبويه فإنه لا يجازي سابق إحسانهما، فأمر بأن يتوجه بسؤال الرحمة لهما من الله تعالى، وهي النعمة الشاملة لخير الدنيا والآخرة، إظهارا لشدة رحمته هو لهما، ورغبة في وصول الخير العظيم من المولى الكريم إليهما واعترافا بعجزه عن مجازاتهما، يدعو لهما هكذا في حياتهما وبعد مماتهما .

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج.1.ص.199-200

[2]- المرجع نفسه .ج 1.ص 200

[3]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1.ص 201

أما في حياتهما فيدعو لهما بالرحمة، سواء أكانا مسلمين أو كافرين، ورحمة الكافرين بهدايتهما إلى الإسلام، وأما بعد الموت فلا يسأل الرحمة لهما إلا إذا ماتا مسلمين لقوله تعالى : {**مَا كَانَ لِلنَبِي واللذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَةِ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَنَ لَهُمْ أَنَهُمْ أَصْحَابُ الجَحِيمِ**}التوبة:113"[1].

وتحت عنوان فرعي آخر 'خاتمة ' يقول :" من بر الوالدين أن نتحفظ عن كل ما يجلب لهما سوءا من غيرنا، فإن فاعل السبب فاعل للمسبب، ومن هذا أن لا نسب الناس حتى لا يسبّوا والدينا، لأننا إذا سببنا الناس فسبوهما كنا قد سببناهم، وسبهما من أكبر الكبائر....

ومن برهما، حفظهما بعد موتهما بالدعاء والاستغفار،وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما وصلة رحمهما .....

هذا وإن من راض نفسه على هذه الأخلاق الكريمة والمعاملة الحسنة والأقوال الطيبة التي أمر بها مع والديه، حصل له من الإرتياض عليها كمال أخلاقي مع الناس أجمعين، وكان ذلك من ثمرات امتثال أمر الله وطاعة الوالدين، والله يوفقنا ويهدينا سواء السبيل، إنه المولى الكريم رب العالمين "[2].

هذه بعض النصوص التي أوردها ابن باديس من باب العناية بالأسرة وبيان أهميتها باعتبارها اللبنة الأساسية للبناء الاجتماعي، والأساس الأول في تربية الإنسان وتكوين شخصيته .

المطلب الثالث : الروابط الاجتماعية والسياسية والجنسية

ركز ابن باديس على بيان العلاقة بين الفرد والجماعة أو المجتمع الذي يعيش فيه، حيث نجد نصوصا كثيرة للشيخ ابن باديس يؤكد فيها على أنه لا قيمة للفرد بعيدا عن الجماعة التي ينتمي إليها، وأنه إذا ترسخ الوعي بهذه الحقيقية الاجتماعية عند الأفراد كانت حافزا لهم لأداء واجباتهم اتجاه مجتمعاتهم، وابتعدوا عن الاهتمام بتحصيل مصالحهم الخاصة بمعزل عن اعتبار المصلحة العامة .

الفرع الأول : حاجة أفراد المجتمع لبعضهم البعض

---

[1]- المرجع نفسه.ج 1.ص 202

[2]-. المرجع نفسه .ج 1.ص 203-205

فعند تفسيره لقوله تعالى : { **وَآتِ ذَا القُربى حَقَّهُ وَالمِسكينَ وَابنَ السَّبيلِ** } الإسراء:36، يؤكد ابن باديس هذه الحقيقة وأن الناس كلهم في حاجة مشتركة إلى بعضهم البعض، وأنه بالعمل على خدمة هذه الحاجة المشتركة تتحقق لكل فرد حاجته الخاصة وذلك في قوله :" الناس كلهم في حاجة مشتركة إلى بعضهم البعض وما من أحد إلا وله حقوق على غيره، ولغيره حقوق عليه، و لهذه الحاجة المشتركة والحقوق الممتزجة كان الاجتماع والتعاون ضروريين لحياة المجتمع البشري واطراد نظامه، وقيام كل واحد من أفراد المجتمع بما عليه من حقوق نحو غيره والذي يسد تلك الحاجة المشتركة بين الناس، وعندما يؤدي كل واحد حق غيره فليست خدمته له وحده بل هي خدمة للمجتمع كله، وبالأحرى هي خدمة له هو في نفسه، لأنه جزء من المجتمع وما بصيب الكل يعود على جزئه، فإذا تواردت أفراد المجتمع على هذه التأدية سعدت وسعد مجتمعنا لنيله حاجيات الحياة ولوازم البقاء والتقدم في العمران .

أما إذا توانى الأفراد في القيام بالحقوق وقصروا قي تأديتها إلى بعضهم، فإن الحاجة المشتركة من العلم والثقافة وحفظ الصحة والأخلاق وأنواع الصناعة تتعطل، وبتعطلها يختل نظام الاجتماع ويعود إلى الانحلال والتقهقر وينحط بأفراده إلى أسفل الدركات، فلهذا بعدما أمر الله تعالى بإيتاء حقه – وهو توحيده في عبادته- أمر بإيتاء حقوق العباد القريب منهم والبعيد "[1].

ثم تحدث بعد ذلك عن حق القريب والبعيد، وذكر علة الابتداء بذكر حق القريب فيقول :" ابتدأ بحق القريب لوجوه

الأول : أنه هو مقتضى طبيعة الترتيب، والثاني لتأكيد حق القريب، والثالث :أن من حكمة التربية أن يبدأ من الأوامر بما تعين فطرة النفوس الإنسانية على قبوله ببداهة الفكرة أو بشعور العاطفة .

وكلتا هاتين يحبب للنفس إيتاء حق القريب، فابتدئ به في الأمر ليكون تقبلها له أسهل، ومبادرتها للامتثال أسرع، فإذا سخت النفوس لإيتاء حق القريب، ومرنت عليه، اعتادت الإيتاء وصار من ملكتها، فسهل عليها إيتاء كل حق ولو كان لأبعد الناس .

وشيء آخر، وهو أن الأقارب قد تكون بينهم المنافسات والمنازعات لقرب المنازل أو تصادم المنافع، أو التشاح على المواريث، ما لا يكون بين الأباعد، فيقطعوا حق القرابة ويهدموا بناء الأسرة، ويعود ذلك عليهم أولا

[1]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1.ص 217-218

بالوبال، ويرجع ثانيا على مجتمعهم-والمجتمع مؤلف من أسر- بالتضعضع، فكان هذا من جملة ما يقتضي الابتداء بحقهم إلى المقتضيات المتقدمة الأخرى "[1].

ثم تحدث عن حق الأباعد مبتدأ بحق المسكين فيقول :" وحق المساكين ما ثبت لهم من الزكاة، وكذلك ما تدعو إليه الحاجة من تعليمهم وإيوائهم، وطبهم، وتجهيز موتاهم مما تقوم به الجمعيات الخيرية في هذا العصر، فكلّ هذا مما تصرف إليه الزكاة، ويجب القيام به عند عدم الزكاة أو فنائها أو قصورها عنه، ويجب القيام به واجباً موزعًا على كل واحد ما استطاع، فإذا لم يقم به المجتمع عاد الإثم على جميع الأفراد كل بقدر ما قصد فيما استطاع، ثم ما إلى هذا من عموم الصدقة والإحسان .....

'وحق ابن السبيل' :السبيل هي الطريق، وبنها هو المسافر لأنه منها أتى كما أتى الإنسان من أمه، وحقه هو الثابت له في الزكاة، فيأخذ منها إذا قطع به و لم يكن معه ما يبلغه ولو كان غنيا في بلده، وعلى جماعة المسلمين تبليغه إذا لم تكن ثمّ زكاة "[2].

ثم يكمل قائلا :" ويذكر ابن السبيل والمسكين مع ذي القربى، جمعت الآية القريب والبعيد من ذوى الحقوق، وبذكر بن السبيل والمسكين جمعت ذات الحاجة الثابتة وهو المسكين، والحاجة العارضة وهو ابن السبيل، وقدم الأول لأصالة حاجته، وفي ذكرهما أيضا جمع ما بين القريب الدار والبعيد الدار والمسافر، كل هذا ليعلم أن ذا الحق يعطى حقه على كل حال، ويقطع النظر عن أي اعتبار وسمي هؤلاء الثلاثة بأسمائهم المذكورة لأنها ترقق عليهم القلوب من القرابة والمسكنة وغربة الطريق، وسمي ما يناولونه حقا ليشعر المكلف بتأكده، ويحذر المعطي من المنّ به ولا ينكسر قلب آخذه "[3].

الفرع الثاني :المصير المشترك للفرد والجماعة التي ينتمي إليها

ومن خلال قصة النملة مع جيش سليمان يؤكد ابن باديس المصير المشترك بين الفرد والجماعة التي ينتمي إليها، وأنه لا حياة للشخص إلا بحياة قومه ولا نجاة له إلا بنجاتهم، وأنه لا خير لهم فيه إلا إذا شعر بأنه جزء منهم فيقول عند تفسيره لقوله تعالى :{**حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾** } النمل:18، " عبرة وتعليم..... عاطفة الجنسية غريزة طبيعية، فهذه

---

[1]- المرجع نفسه. ج 1.ص 218

[2]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج 1.ص 219-220

[3]- المرجع نفسه.ج.1.ص.220-221

النملة لم تهتم بنفسها فتنجو بمفردها، و لم ينسيها هول ما رأت من عظمة ذالك الجند إنذار بني جنسها إذ كانت تدرك بفطرتها أن لا حياة لها بدونهم ولا نجاة لها إذا لم ينج معهم فأنذرتهم في أشد ساعات الخطر أبلغ الإنذار و لم ينسها الخوف على نفسها وعلى بني جنسها من الخطر الداهم أن تذكر عذر سليمان وجنده .

هذا يعلمنا أن لا حياة للشخص إلا بحياة قومه ولا نجاة له إلا بنجاتهم، وأنه لا خير لهم فيه إلا إذا شعر بأنه جزء منهم ومظهر هذا الشعور أن يحرص على خيرهم كما يحرص على نفسه، وأن لا يكون اهتمامه بهم دون اهتمامه بها"[1] .

الفرع الثالث : علاقة أفراد المجتمع الواحد فيما بينهم

ومن باب علاقة أفراد المجتمع فيما بينهم، وتعاملهم مع بعضهم البعض، تحدث ابن باديس عن ضرورة الوفاء بالعهد أثناء تفسيره لقوله تعالى : { **وَأَوفوا بِالعَهدِ إِنَّ العَهدَ كانَ مَسئولًا** } الإسراء :34 فقال :" الوفاء بالعهد شرط ضروري لحصول السعادتين..... عهد الله تعالى لعباده هو ما شرعه لهم من دينه، فوفاؤهم بعهده قيام بأعباء ذلك الدين الكريم، وانتظام شؤونهم في هذه الحياة- أفرادا وجماعات وأمم – متوقف على الوفاء من بعضهم لبعض بما بينهم من عهود، فالوفاء ضروري لنجاة العباد مع خالقهم، ولسلامتهم من الشرور والفوضى والفتن، وضروري –إذن- لتحصيل سعادة الدنيا وسعادة الآخرة، ولمكانة هذا الأصل وضرورته تكرر في الكتاب والسنة الأمر به على وجه عام بين الأفراد والأمم بلا فرق بين الأجناس والملل .

وجاء هنا في آية الوصاية باليتيم، وهي آية حفظ الأموال باحترام الملكية لوجهين :

الأول :أن الكافل لليتيم قد أعلن بكفالته –بلسان حاله- أنه ملتزم لحفظه في بدنه وماله، فهذا عهد منه يطالب بالوفاء به ويسأل عن ذلك الوفاء.

الثاني : أن الآية في حفظ الأموال وعدم التعدي على ملك أحد، والناس يتعاملون بحكم الضرورة ويبنون تعاملهم على تبادل الثقة والعهود المبذولة من بعضهم لبعض بلسان المقال أو بلسان الحال، فأمروا بالوفاء بالعهد الذي هو أساس للتعامل، وفي ذلك سلامة مال كل أحد من التعدي عليه، ولا ينافي هذا عموم اللفظ الذي يقتضي الأمر بالوفاء عامّا لأنه باق على عمومه، وإنما يدخل فيه هذان الوجهان المذكوران في ارتباط النظم دخولا أوليّاً "[2].

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 2.ص 216-217

[2]- المرجع نفسه. ج 1.ص 255-256

إذن فالعلاقة بين الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه يجب أن تكون علاقة ودية طيبة، يحكمها النفع والتعاون والاحترام، يؤدي فيها كل فرد واجبه ويبتعد عن تحصيل مصالحه الخاصة التي تكون بمعزل عن المصلحة العامة، وهذا ما أراد الشيخ ابن باديس بيانه والتأكيد عليه من خلال هذه النصوص وغيرها من النصوص الأخرى.

المطلب الرابع:أسباب رقي الأمم و سقوطها

عالج ابن باديس من خلال تفسيره لمجموعة من الآيات القرآنية مجموعة من المواضيع الاجتماعية المتعلقة بأسباب رقي الأمم، و أطوارها وأعمارها، وأسباب سقوطها، وكثرة هذه الموضوعات في تفسير ابن باديس دليل على أنه كان فعلا يعيش أزمة شعبه الواقع تحت وطأة الاستعمار، فبين لهم حالتهم المزرية وسبب الوقوع فيها، ثم قدم لهم الحل المثالي للخروج من هذه الأزمة وهو ما عبر عنه بأسباب رقي الأمم ودعاهم للأخذ بها ليتمكنوا من تحقيق الرقي والازدهار، وسنفصل هذه الظاهرة الاجتماعية تحت مجموعة من العناوين كما يلي .

الفرع أول :أطوار الأمم وأعمارها

ذكر ابن باديس عند تفسيره لقوله تعالى : { **وَإِن مِن قَرِيَةٍ إِلّا نَحنُ مُهلِكوها قَبلَ يَومِ القِيامَةِ أَو مُعَذِّبوها عَذابًا شَديدًا كانَ ذلِكَ فِي الكِتابِ مَسطورًا** ﴿٥٨﴾ } الإسراء :58، أن القرآن قسم أعمار الأمم إلى ثلاث أطوار: طور الشباب، طور الكهولة، وطور الهرم مثل الأفراد فيقول وتحت عنوان رئيسي ' الطور الأخير لكل أمة وعاقبته' :" الأمم كالإفراد، تمر عليها ثلاثة أطوار :طور الشباب، وطور الكهولة، وطور الهرم .

فيشمل الطور الأول نشأتها، إلى استجماعها قوتها ونشاطها، مستعدة للكفاح والتقدم في ميدان الحياة . ويشمل الطور الثاني ابتداء أخذها في التقدم والانتشار وسعة النفوذ وقوة السلطان، إلى استكمالها قوتها وبلوغها غاية ما كان لها أن تبلغه من ذلك بما كان فيها من مواهب، وما كان لها من استعداد، وما لديها من أسباب .ويشمل الطور الثالث ابتداءها في التقهقر والضعف والانحلال، إلى أن يحل بها الفناء والاضمحلال، إما بانقراضها من عالم الوجود، وإما باندراسها من عالم السيادة والاستقلال .

وما من أمة إلا ويجري عليها هذا القانون العام، وإن اختلفت أطوارها في الطول والقصر كما تختلف الأعمار، هذه السنة الكونية التي أجرى الله عليها حياة الأمم في هذه الدنيا أشار إليها في كتابه العزيز في غير ما آية .

فذكر أعمار الأمم وأنها مقدرة محددة بآجالها في مثل قوله تعالى : { **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذا جاءَ أَجَلُهُم لا يَستَأخِرونَ ساعَةً وَلا يَستَقدِمونَ ﴿٣٤﴾** } الأعراف :34.

وذكر إنشاء الأمم على إثر الهالكين في مثل قوله تعالى : { **وَكَم قَصَمنا مِن قَريَةٍ كانَت ظالِمَةً وَأَنشَأنا بَعدَها قَومًا آخَرينَ ﴿١١﴾** } الأنبياء:11.

وذكر طور شباب الأمة ودخولها معترك الحياة في مثل قوله تعالى : {**عَسى رَبُّكُم أَن يُهلِكَ عَدُوَّكُم وَيَستَخلِفَكُم فِي الأَرضِ فَيَنظُرَ كَيفَ تَعمَلونَ ﴿١٢٩﴾** } الأعراف :129،فإن بني إسرائيل ما استخلفوا في الأرض حتى قووا واشتدوا وتكونت فيهم أخلاق الشجاعة والنجدة والحمية والأنفة بعد خروجهم من التيه، وذلك هو الطور الأول، طور الشباب للأمة الإسرائيلية .

وذكر الطور الثاني :وهو طور الكهولة واستكمال القوة وحسن الحال ورغد العيش في مثل قوله تعالى : { **وَضَرَبَ اللَّـهُ مَثَلًا قَريَةً كانَت آمِنَةً مُطمَئِنَّةً يَأتيها رِزقُها رَغَدًا مِن كُلِّ مَكانٍ** } النحل :112.

وذكر الطور الثالث :طور الضعف والانحلال في مثل قوله تعالى :{**وَ تِلْكَ القُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا**} الكهف:59، وإهلاكهم يكون بعد إسباغ النعمة، وإقامة الحجة عليهم، وتمكن الفساد فيهم، وتكاثر الظلم منهم، فإهلاكهم هو نهاية الطور الثالث من أطوار الأمم الثلاث، وإلى خاتمة الطور الثالث وعاقبته جاء البيان في قوله تعالى : { **وَإِن مِن قَريَةٍ إِلّا نَحنُ مُهلِكوها قَبلَ يَومِ القِيامَةِ أَو مُعَذِّبوها عَذابًا شَديدًا كانَ ذلِكَ فِي الكِتابِ مَسطورًا ﴿٥٨﴾** } الإسراء :58 "[1].

الفرع الثاني :أسباب سقوط الأمم

ويكمل ابن باديس تفسيره للآية 58 من سورة الإسراء مبينا أسباب تعجيل الطور الثالث والأخير للأمم، والذي فيه هلاكها وسقوطها وتحت عنوان فرعي 'إيضاح وتعليل' فيقول :" الله حكم عدل حكيم خبير، فما من

[1]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1.ص 305-306

حكم من أحكامه الشرعية إلا وله حكمته وما من حكم من أحكامه القدرية إلا وله سببه وعلته، لا لوجوب أو إيجاب عليه، بل بمحض مشيئته، ومقتضى عدله وحكمته .

وقد قضى على كل قرية بهذه العاقبة من الهلاك أو العذاب الشديد في هذه الآية، وبين في غيرها سبب استحقاقها لهما فقال تعالى : { وَ تِلْكَ القُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَا ظَلَمُوا } الكهف :59، { وَما كانَ رَبُّكَ لِيُهلِكَ القُرى بِظُلمٍ وَأَهلُها مُصلِحونَ ﴿١١٧﴾ } هود :117،{ وَمَا كُنَا مُهْلِكِي القُرَى إِلَا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونْ} القصص:59 { وَكَم قَصَمنا مِن قَريَةٍ كانَت ظالِمَةً } الأنبياء :11، { وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾} الطلاق :08، { وَضَرَبَ اللَّــهُ مَثَلًا قَريَةً كانَت آمِنَةً مُطمَئِنَّةً يَأتيها رِزقُها رَغَدًا مِن كُلِّ مَكانٍ فَكَفَرَت بِأَنعُمِ اللَّــهِ فَأَذاقَهَا اللَّــهُ لِباسَ الجوعِ وَالخَوفِ بِما كانوا يَصنَعونَ ﴿١١٢﴾ } النحل :112، فأفادت هذه الآيات أن سبب الهلاك والعذاب هو الظلم والفساد والعتو والتمرد عن أمر الله ورسله والكفر بأنعم الله، وما ربك بظلام للعبيد "[1].

ثم يشير ابن باديس إلى سبب ذكر الطور الأخير للأمم في آيات كثيرة دون الطور الأول والثاني بقوله:"ووجه ذلك أنه هو الطور الذي ينتشر فيه الفساد، ويعظم فيه الظلم، وينتهي فيه الإعذار للأمة ويحل فيه أجلها، فيزل بها ما تستحقه من هلاك أو عذاب، فكرر ذكر هذا الطور لزيادة التحذير منه، والتخويف من سوء عاقبته، والحث على تدارك الأمر فيه، بالإقلاع عن الظلم والفساد والرجوع إلى طاعة الله، وإعمال يد الإصلاح في جميع الشؤون، فيرتفع العذاب بزوال ما كان لنزوله من أسباب "[2].

وذكر ابن باديس سببا آخر لسقوط الأمم وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : { وَلا تَقفُ ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ إِنَّ السَّمعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤادَ كُلُّ أُولــئِكَ كانَ عَنهُ مَسئولًا ﴿٣٦﴾ وَلا تَمشِ فِي الأَرضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخرِقَ الأَرضَ وَلَن تَبلُغَ الجِبالَ طولًا﴿٣٧﴾ } الإسراء:36-37، وهو ارتفاع العلم وتفشي الجهل فيها . فيقول : "..... وبقدر ما تكثر معلومات الإنسان ويصح إدراكه لحقائقها ولنسبها ويستقيم تنظيمه لها – تكثر اكتشافاته واستنباطاته في عالمي المحسوس والمعقول وقسمي العلوم والآداب .

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1.ص 308

[2]- المرجع نفسه .ج 1.ص 308-309

وهذا كما كان العرب والمسلمون أيام بل قرون مدنيتهم .عربوا كتب الأمم إلى ما عندهم ونظروا وصححوا واستدركوا.فأحيوا عصور علم من كانوا قبلهم، وأناروا بالعلم عصرهم، ومهدوا الطريق، ووضعوا الأسس لما جاء بعدهم، فأدوا لنوع الإنسان بالعلم والمدنية أعظم خدمة تؤديها له أمة في حالها وماضيها ومستقبلها"[1].

ثم يقول :"وكما نرى الغرب في مدنيتهم اليوم ترجم كتب المسلمين فعرف علوم الأمم الخالية التي حفظتها العربية وأدلتها بأمانة، وعرف علوم المسلمين ومكتشفاتهم فجاء هو أيضا بمكتشفاته العجيبة التي هي ثمرة علوم الإنسانية من أياهما الأولى إلى عهده، وثمرة تفكيره ونظره فيها .

وقد كانت مكتشفاته أكثر من مكتشفات جميع من تقدمه، كما كانت مكتشفات صدر هذا القرن أكثر من مكتشفات عجز القرن الماضي لتكاثر المعلومات، فإن المكتشفات تضم إلى المعلومات فتكثر المعلومات فيكثر ما يعقبها من المكتشفات على نسبة كثرتها، وهكذا يكون كل قرن –ما دام التفكير عمالا- أكثر معلومات ومكتشفات من الذي قبله .فإذا قلّت معلوماته قلّت اكتشافاته، وهذا كما كان النوع الإنساني في أطواره الأولى .

وإذا كثرت معلوماته وأهمل النظر فيها بقي حيث هو جامداً، ثم لا يلبث أن تتلاشى من دهنه تلك المعلومات المهملة حتى تقل أو تضمحل لأن المعلومات إذا لم تتعاهد بالنظر زالت من الحافظة شيئا فشيئا، وهذا هو طور الجمود الذي يصيب الأمم المتعلمة في أيامها الأخيرة عندما تتوافر الأسباب العمرانية القاضية بسنة الله بسقوطها إذا لم يصح إدراكه للحقائق أو لنسبها، أو لم يستقم تنظيمه لها كان ما يتوصل إليه بنظره خطأ في خطأ وفسادا في فساد .

ولا ينشأ عن هاذين إلا الضرر في المحسوس والضلال في المعقول "[2].

وفي هذين هلاك الفرد والنوع جزئيا وكليا من قريب أو من بعيد وهذا هو طور انحطاط الأمم الانحطاط التام، وذلك عندما يرتفع منها العلم ويفشو الجهل وتنتشر فيها الفوضى بأنواعها، فتتخذ رؤوسا جهالا لأمور دينها وأمور دنياها، فيقودونها بغير علم فيَضلّون ويُضلون، ويَهلكون ويهُلكون، ويفسدون ولا يصلحون .

وما أكثر هذا –على أخذه بالزوال بإذن الله- في أمم الشرق والإسلام اليوم "[3].

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج.1.ص.264

[2]المرجع نفسه. ج 1.ص 264-265

[3]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج 1.ص 265

- ويشير ابن باديس إلى سبب ثالث من أسباب أخذ الله للأمم بالعذاب وبالتالي سقوطها وهو انعدام الأمانة فيها وخيانة الله ورسوله وانتشار الفواحش والمناكر والبدع وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : { إِنَّ اللَّـــهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّـــهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ }الحج :38، حيث يقول :" ..... فالمؤمنون أحبهم ونصرهم لإيمانهم، وأعدائهم أبغضهم وخذلهم لخيانتهم وكفرهم .

واقتضت هذه المقابلة أن الخيانة والكفر من صفات أضدادهم وليست من صفاتهم، فإيمانهم مستلزم لأماناتهم بحفظ عهد الله عندهم في نفوسهم وعقولهم وأبدانهم وجميع ما لديهم على جميع أحوالهم، ومستلزم لاعترافهم بنعم الله وشكره عليها باستعمالها في طاعته وطلب المزيد من بره .

وأمانتهم هذه وشكره هي مظهر إيمانهم الذي يميزهم عن أضدادهم، ويدل على صدقهم في ذلك الإيمان ورسوخه في قلوبهم .فإذا عدمت منهم الأمانة، فخانوا الله والرسول، وخانوا أماناتهم، وفشت الفواحش والمناكر والبدع فيهم، وصاروا لا يتناهون عن منكر فعلوه، وإذا بطروا نعم الله عندهم فعطلوا منها ما عطلوا بجهلهم وكسلهم وقعودهم عن الخير وأسباب الحياة والسعادة، واستعملوا منها ما استعملوا في الشر والفساد وإتباع الشهوات- إذا كانوا هكذا، فقد استوجبوا غضب الله وبغضه ونقمته، وحرموا نصرته ودفاعه، وكانوا هم الظالمون "[1].

وقال :" الخيانة خيانتان :خيانة عقيدة وخيانة أعمال، وكذلك الكفر، وكذلك النفاق، وكذلك الشرك، وأن ما يخرج المرء عن أصل الإسلام لما كان في أصل العقيدة، لا لما كان في الأعمال إلا عملا يدل دلالة ظاهرة على فساد العقيدة وانحلالها "[2].

وقال تحت عنوان ' تطبيق' :" لما كان المسلمون أهل الإيمان والصدق والشكر والأمانة دافع الله عنهم، وقد شهد التاريخ بذلك من الله لهم، فلما خانوا وكفروا تركهم ومكّن منهم . ولكنه برحمته وعدله لم ينس لهم أصل إسلامهم فأبقى لهم أصل وجودهم الذاتي، وهم لحم على وضم بين الأمم لا يستطيعون دفاعا عن أنفسهم وأبقى لهم أصل وجودهم الروحي بكتابه المتلو بين ظهرانيهم رغم إعراضهم عن تدبره وهجرهم لما فيه – عساهم يرجعون "[3].

---

[1]- المرجع نفسه. ج 1.ص 407

[2]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود ج 1.ص 407-408

[3]- المرجع نفسه .ج 1.ص 408-409

ثم يجيب ابن باديس عن سؤال يطرح الكثيرون وهو :" قد نجد من عباد الله المؤمنون من يصبه البلاء والشدة فيعذب، وقد يقتل { وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ } آل عمران :146، وقد أصاب المؤمنون يوم أحد ويوم حنين ما أصابهم .

فقال :دفع الله يكون بأسباب وأنواع وعلى وجوه تختلف بحسب الحكمة، ولا تخلوا كلها من دفاع، فإن ما يصيب المؤمنين من ابتلاء في أفرادهم وجماعتهم هو ابتلاء يكسبهم القوة والجلد، و يقوي فيهم خلق الصبر والثبات، وينبههم إلى مواطن الضعف فيهم أو ناحية التقصير منهم، فيتداركوا أمرهم بالإصلاح والمتاب، فإذا هم بعد ذلك الابتلاء أصلب عودا، وأطهر قلوبا، وأكثر خبرة، وأمنع جانبا، وإن في صبر الصابر منهم – وقد نزل به البلاء- الذي لا يقدر على دفعه والظلم الذي لا يقدر على إزالته – لبعثا للقوة في نفس غيره ممن يأتسي به، ضعفا في قلب ظالمه – وفي كليهما دفع من الله عن المؤمنين"[1].

الفرع الثالث :طريق النجاة والخلاص

تم ينتقل ابن باديس إلى تبين طريق الخلاص والنجاة للمجتمع من العذاب المسلط عليه وذلك أن الأمم التي قضي عليها بالعذاب الشديد يمكنها أن تتدارك أمرها وعلاجها ممكن فيقول وتحت عنوان ' استنتاج وتطبيق ' مكملا تفسيره الآية الثامنة والخمسون من سورة الإسراء :" القرى التي قضي عليها بالهلاك و الاستئصال،و هذه انتهى أمرها بالموت، وفات عنها العلاج مثل قوم ثمود وعاد من الأمم البائدة.

وأما القرى التي قضي عليها بالعذاب الشديد هذه لا تزال بقيد الحياة فتداركها ممكن، وعلاجها متيسر مثل الأمم الإسلامية الحاضرة.

فمما لا شك أن فينا لظلما وعتوا وفساد وكفرا بأنعم الله، وإننا من جراء ذلك لفي عذاب شديد.ولا نعني بهذا أن الأمم الإسلامية مخصوصة بهذا، بل مثلها وأقوى منها في أسباب العذاب والهلاك غيرها من أمم الأرض، وأن لهم قسطهم من العذاب الشديد، إذا لم يأت المقدار المماثل من الهلاك أو العذاب لما عندهم من أسبابهما، فلأنه لكل أمة أجل، لما يأت ذلك الأجل بعد. فإذا جاء لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون "[2].

ويواصل ناصحا بالتخلي عن أسباب العذاب والتمسك بالعلاج الناجع، بالإيمان والإقلاع عن الكفر وتحت عنوان 'إرشاد واستنهاض' يقول :" قد ربط الله بين الأسباب ومسبباتها خلقا وقدرا، بمشيئته وحكمته

[1]- المرجع نفسه ج 1.ص 410

[2]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود ج 1.ص 309

لنهتدي بالأسباب إلى مسبباتها، ونجتنبها باجتناب أسبابها، وقد عرفنا في الآية المتقدمة أسباب الهلاك والعذاب لنتقي تلك الأسباب، فنسلم أو نقلع عنها فننجو،فإن بطلان السبب يقتضي بطلان المسبب "[1].

ثم ضرب لنا مثلا بقوم يونس وكيف رفع الله عز وجل عليهم العذاب لما عادوا إلى الله وتابوا فيقول:" وقد ذكر لنا في كتابه أمة أقلعت عن سبب العذاب فارتفع عنها بعدما كان يترل بها، ليؤكد لنا أن الإقلاع عن السبب ينجي من المسبب، قال تعالى : { **إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ** } يونس:98، فبمبادرتهم للإيمان، وإقلاعهم عن الكفر،كشف عنهم العذاب .

وأرشدنا في ضمن هذا إلى العلاج الناجح في كشف العذاب وإبطال أسبابه وهو الإيمان، كما أرشدنا إليه أيضا في قوله تعالى: { **فَلَولا كانَت قَريَةٌ آمَنَت فَنَفَعَها إيمانُها**} يونس98، أي نجاها من العذاب، وذكر قوم يونس دليلا على ذلك .

وأرشدنا إليها أيضا في قوله تعالى : { **وَلَو أَنَّ أَهلَ القُرى آمَنوا وَاتَّقَوا لَفَتَحنا عَلَيهِم بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالأَرضِ** } الأعراف:96 ، فالإيمان والتقوى هما العلاج الوحيد لنا من حالتنا لأننا إذا التزمناهما نكون قد أقلعنا عن أسباب العذاب "[2].

ويرى ابن باديس بأنه لا يمكن النهوض بهذا العلاج إلا إذا تعاون أفراد المجتمع كل على قدر طاقته فيقول :" ولا ننهض بهذا العلاج العظيم إلا إذا قمنا متعاونين أفرادا وجماعات، فجعل كل واحد ذلك نصب عينيه، وبدأ به في نفسه، ثم فيمن إليه ثم فيمن يليه من عشيرته وقومه، ثم جميع أهل ملته، فمن جعل هذا من همه وأعطاه ما قدر عليه من سعيه، كان خلقيا أن يصل إلى غايته أو يقترب منها "[3].

ويقترح ابن باديس أنه يجب البدء بهذا العلاج بتطهير العقائد من الشرك والأخلاق من الفساد والأعمال من المخالفات فيقول :" ولنبدأ من الإيمان بتطهير عقائدنا من الشرك، وأخلاقنا من الفساد وأعمالنا من المخالفات ولنستشعر أخوة الإيمان التي تجعلنا كالجسد الواحد، ولنشرع في ذلك غير محتقرين لأنفسنا، ولا قانطين من رحمة ربنا، ولا مستقلين لما نزيله كل يوم من الفساد.

---

[1]- المرجع نفسه..ج 1.ص 310

[2]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج 1.ص 310-311

[3]- المرجع نفسه. ج 1.ص 311

فبدوام السعي واستمراره يأتي ذلك القليل من الإصلاح على صرح الفساد العظيم من أصله .وليكن دليلنا في ذلك وإمامنا كتاب ربنا، وسنة نبينا، وسيرة صالح سلفنا .ففي ذلك كله ما يعرفنا بالحق، ويبصرنا في العالم، ويفقهنا في الدين، ويهدينا إلى الأخذ بأسباب القوة والعز، والسيادة العادلة في الدنيا، ونيل السعادة الكبرى في الآخرة .وليس هذا عن العاملين ببعيد، وما على الله بعزيز"[1].

ثم يستقرئ ابن باديس واقع الأمم الإسلامية وبين أنها شعرت بالداء وأحست بالعذاب، فأخذت بالعلاج فيقول: " إن المطلع على أحوال الأمم الإسلامية يعلم أنها قد شعرت بالداء، وأحست بالعذاب وأخذت في العلاج، وأن ذلك وإن كان يبدو اليوم قليلا لكنه بما يحوطه من عناية الله، وما يبذل فيه من جهود المصلحين – سيكون بإذن الله كثيرا، وعسى أن يكون في ذلك خير لأمم الأرض أجمعين .حقق الله الآمال، وسدد الأعمال، بلطف منه وتيسير، إنه نعم المولى ونعم النصير "[2].

وعند تفسيره لقوله تعالى :{ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾** } الأنبياء:105، بين ابن باديس أن الأمم التي تريد أن تنال حظها من عمارة الأرض بأن تصلح أنفسها الصلاح الذي بينه القرآن فيقول : " رأى بعض الناس المدنية الغربية المسيطرة اليوم على الأرض، وهي مدنية مادية في نهجها وغايتها ونتائجها، فالقوة عندها فوق الحق والعدل والرحمة والإحسان، فقالوا :إن رجال هذه المدنية هم الصالحون اللذين وعدهم الله بإرث الأرض، وزعموا أن المراد بالصالحون (في الآية) الصاحون لعمارة الأرض.

فيا للقرآن والإنسان من هذا التحريف السخيف !، كأن عمارة الأرض هي كل شيء ولو ضلت العقائد، وفسدت الأخلاق واعوجت الأعمال، وساءت الأحوال، وعذبت الإنسانية بالأزمات الخانقة وروعّت بالفتن والحروب المخربة الجارفة، وهدّدت بأعظم حرب تأتي على الإنسانية من أصلها والمدنية من أساسها .

هذه هي بلايا الإنسانية التي يشكوا منها بناء هذه المدنية المادية التي عمرت الأرض وأفسدت الإنسان، ثم يريد هذا المحرّف أن يطبق عليها آية القرآن :كتاب الحق والعدل والرحمة والإحسان، وإصلاح الإنسان ليصلح العمران .

---

[1]– المرجع نفسه. ج 1.ص 311

[2]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود..ج 1.ص 311-312

أما الصالحون هو لفظ قرآني قد فسره القرآن كما قدمناه، وقد شرف أهله بإضافتهم إلى الله في قوله 'عبادي'، فحمله على الصالحين لعمارة الأرض تحريف للكلام عن مواضعه أبشع التحريف وأبطله، فليحذر المؤمن منه ومن مثله من تحريفات المبطلين والمفتونين.

على الأمم التي تريد أن تنال حظها من هذا الوعد أن تصلح أنفسها الصلاح الذي بينه القرآن، فأما إذا لم يكن لها حظ من ذلك الإصلاح، فلا حظّ لها من هذا الوعد و إن دانت للإسلام .

ولله سنن نافذة بمقتضى حكمته ومشيئته في ملك الأرض وسيادة الأمم، يأتي الملك من يشاء، ويترع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء،ويذل من يشاء ....."[1]

الفرع الرابع :علاقة الأمم بعضها ببعض

أولا فتنة الأمم بعضها ببعض

وهو ما تعرض له ابن باديس عند تفسيره لقوله تعالى : { **وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا** ﴿٢٠﴾} الفرقان :20، بقوله :" كما يفتن الفرد بالفرد، كذلك تفتن الأمة بالأمة، من ذلك أننا –معشر الأمة الإسلامية– قد فتّنا بغيرنا من أمم الغرب، وفتنوا هم أيضا بنا .

فنحن ندين بالإسلام وهو دين السعادة الدنيوية والأخروية، ولكن حيثما كنا –إلا قليلا– لسنا سعداء، لا في مظاهر تديننا، ولا في أحوال دنيانا، ففي الأولى نأتي بما يبرأ منه الإسلام ونصرح بأنه من صميمه، وفي الثانية ترانا في حالة من الجهل والفقر والتفرق والذل والاستعباد يرثى لها الجماد، فلما يرانا الغربيون على هذه الحالة ينفرون من الإسلام، ويسخرون منه إلا من نظر منهم بعين العلم والإنصاف، فإنه يعرف أن ما نحن عليه هو ضد الإسلام، فكنا فتنة عظيمة عليهم، وحجابا كثيفا لهم عن الإسلام، فكنا –ويا لي الأسف– فتنة للقوم الضالمين .

وهم من ناحيتهم نراهم في عز وسيادة وتقدم علمي وعمراني فننظر إلى تلك الناحية منهم، فنندفع في تقليدهم في كل شيء حتى معائبهم و مفاسدهم، ونزدري كل شيء عندنا حتى أعز عزيز إلا من نظر بعين العلم فعرف أن كل ما عندهم من خير هو عندنا في ديننا وتاريخنا، وأن ذلك هو هو، الذي تقدموا وسادوا به، وأن ما عندهم من

[1]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1.ص 399-401

شر هو شر على حقيقته وأن ضرره فيهم هو ضرره، وأنه لا يجوز أن يتابعوا عليهم، فكانوا فتنة لنا حتى يظهر من ينظر بعين الحق للحقائق ممن تبهره الظواهر، فتسلبه إدراكه فيغدو لا يفرق بين اللّبّ والقشور"[1].

فابن باديس هنا يشير إلى فتنة الشعب الجزائري بالاستعمار الفرنسي في فترة تغلغل فيها الاستعمار بأفكاره وتقاليده وعاداته الأجنبية في أوساط المجتمع الجزائري ففتنت الأفراد بهذه الأمة الغربية، وانتشرت فيها أمراض خطيرة من تقليد أعمى للغرب في عاداته وتقاليده وقيمه، وازدراء النفس واحتقارها، مما جعله يوجه هذا النص القرآني لهذه الفتنة ومحاولة معالجتها ".

ثانيا :واجب المسلمين أفراد وجماعات إزاء غيرهم

وكما بين ابن باديس فتنة الأمم بعضها ببعض، وبين فتنة الأمم الغربية بالدول الإسلامية، حث المسلمين على القيام بواجبهم الدعوي نحو هذه الأمم وأن يظهروا بمظهر الإسلام ترغيبا لهم للدخول فيه فيقول :" من الدعوة إلى الله بيان حجج الإسلام ودفع الشبه عنه، ونشر محاسنه بين الأجانب عنه ليدخلوا فيه وبين مزعزعي العقيدة من بنائه ليثبتوا عليه ..... ومن الدعوة إلى الله ظهور المسلمين –أفرادا وجماعات – بما في دينهم من عفة وفضيلة، وإحسان ورحمة، وعلم وعمل، وصدق وأمانة، ذلك أعظم مرغب للأجانب في الإسلام، كما كان ضده أعظم منفر لهم عنه، وما انتشر الإسلام أمم مرة بين الأمم إلا لأن الداعين إليه كانوا يدعون بالأعمال كما كانوا يدعون بالقول، وما زالت الأعمال عيارا على الأقوال . ومن الدعوة إلى الله بعث البعثات إلى الأمم غير المسلمة ونشر الكتب بألسنتها، وبعث المرشدين إلى عوام الأمم المسلمة لهدايتهم وتفقيههم .

كل هذا من الدعوة إلى الله، ثابتة أصوله في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وسنة السلف الصالح من بعده، فعلى كل مسلم أن يقوم بما استطاع منه في كل وجه من وجوهه، وليعلم أن الدعوة إلى الله على بصيرة هي سبيل نبيه صلى الله عليه وسلم وسبيل إخوانه الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– من قبله، فلم يكن المسلم ليدع هذا المقام الشريف مقام خلافة النبوة شيئا من حظه " [2].

الفرع الخامس :أسباب التقدم وأصناف الناس بحسب أخذهم بها

أولا : أصناف الناس بحسب أخذهم بأسباب التقدم أو تعطيلها

---

[1]– المرجع نفسه. ج 1.ص 32-33

[2]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج 1.ص 125-126

صنف ابن باديس الناس إلى أربعة أقسام بحسب أخذهم للأسباب الدنيوية فيقول:" أفادت هذه الآيات كلها أن الأسباب الكونية التي وضعها الله في هذه الحياة وسائل لمسبباتها –موصلة- بإذن الله- من تمسك بها إلى ما جعلت وسيلة إليه، .بمقتضى أمر الله وتقديره، وسننه في نظام هذه الحياة والكون، ولو كان ذلك المتمسك بها لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ولا يصدق المرسلين .ومن مقتضى هذا أن من أهمل تلك الأسباب الكونية التقديرية الإلاهية و لم يأخذ بها لم ينل مسبباتها ولو كان من المؤمنين وهذا معلوم ومشاهد من تاريخ البشر في ماضيهم وحاضرهم .

نعم، لا يضيع على المؤمن أجر لإيمانه، ولكن جزائه عليه في غير هته الدار، كما أن الآخر لم يضع عليه أخذه بالأسباب، فنال جزائه في دار الأسباب، وليس له في الآخرة إلا النار"[1].

ثم يكمل قائلا تحت عنوان 'أقسام العباد ' :" فالعباد –إذن – على أربعة أقسام :

-مؤمن آخذ بالأسباب الدنيوية، فهذا سعيد في الدنيا والآخرة .

-ودهري تارك لها، فهذا شقي فيهما .

-ومؤمن تارك للأسباب، فهذا شقي في الدنيا وينجو-بعد المؤاخذة على الترك- في الآخرة.

-ودهري آخذ بالأسباب الدنيوية، فهذا سعيد في الدنيا ويكون في الآخرة من الهالكين"[2].

ثانيا: السبب في التقدم والتأخر

وعند تفسير ابن باديس لقوله تعالى: { **كُلًّا نُمِدُّ هـــؤُلاءِ وَهـــؤُلاءِ مِن عَطاءِ رَبِّكَ وَما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحظورًا** ﴿٢٠﴾ } الإسراء:20، تطرق إلى موضوع الأخذ بأسباب التقدم وتعطيلها عند أفراد البشر، فبين أن أسباب التقدم مبذولة للخلق على السواء، أما التمايز فيكون بمقدار الأخذ بها أو تعطيلها فيقول :" وقد مضى قبل هذه الآية ذكر مريدي العاجلة الذين لا يعملون إلا لها وما أعد لهم من عذاب النار ، وذكر مريدي الآخرة بأعمالهم في الدنيا وما أعدّ لهم من حسن الجزاء، فحالتهم في الآخرة متباينة هؤلاء في النعيم المقيم، وأولئك في العذاب الأليم هذا في الآخرة.

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود..ج 1.ص 161

[2]- المرجع نفسه .ج 1.ص 162

وأما في الدنيا، فإنهم قد أعطوا من نعم الحياة ومكنوا من أسبابها، فقد تساووا في الخلقة البشرية، وفي العقل المميز المفكر، وفي الإرادة الحرة، وقد أظلتهم السماء، وأصابتهم نعمة الشمس والقمر والكواكب وما يترل من السماء، وقد أقلتهم الأرض، وشملتهم نعمة الهواء والماء والغذاء والدواء من النبات والحيوان والجماد وكل ما يخرج من الأرض وشاهدوا كلهم آيات الله الكونية الدالة عليه، وجاءتهم كلهم رسل الله بآياته السمعية داعية إليه .

فاختار كّل بعقله- وهو حر في إرادته حرية لا يمكن لأحد أن يكابر فيها- ما اختار لنفسه، وحجة الله بما تقدم قائمة عليه.

وبقوا بعد ذلك الاختيار الذي اختلفت به منازلهم عند الله فيما أعد لهم يوم لقائه سواء، في تلك النعم الدنيوية والتمكن من أسباب بقائها والتقدم فيها، لا فرق بين ذلك بين بر وفاجر، ومؤمن وكافر، وهذا معنى قوله تعالى { **كُلًّا نُمِدُّ هـــؤُلاءِ وَهـــؤُلاءِ مِن عَطاءِ رَبِّكَ** } .

وليس تعالى مانعا كافرا لكفره أو عاصيا لعصيانه من هذه الحياة وأسبابها، وليس أحد على منع ما لم يمنعه الله بقادر"[1].

ثم يكمل قائلا :" وقد أفادت الآية – حسب ما تقدم- أن أسباب الحياة والعمران والتقدم فيهما مبذولة للخلق على السواء وأن من تمسك بسبب بلغ –بإذن الله- إلى مسببه، سواء أكان برّا أو فاجرّا، مؤمنا أو كافرا .

وهذا الذي أفادته الآية الكريمة مشاهد في تاريخ المسلمين قديما و حديثا ، فقد تقدموا حتى سادوا العالم، ورفعوا علم المدنية الحقة بالعلوم والصنائع، لما أخذوا بأسبابها كما يأمرهم دينهم .

وقد تأخروا حتى كادوا يكونون دون الأمم كلها بإهمال تلك الأسباب فخصروا دنياهم وخالفوا مرضاة ربهم، وعوقبوا بما هم عليه اليوم من الذل والانحطاط، ولن يعود إليهم ما كان لهم إلا إذا عادوا إلى امتثال أمر ربهم في الأخذ بتلك الأسباب.

فهذه الآية من أنجع الدواء لفتنة المسلم المتأخر بغيره المتقدم، لما فيها من بيان أن دلك المسلم ما تأخر بسبب إسلامه، وأن غيره ما تقدم لعدم إسلامه، وأن السبب في التقدم والتأخر هو التمسك والترك للأسباب .

ولو أن المسلم تمسك بها كما يأمره الإسلام، لكان –مثل سالف أيامه- سيد الأنام "[1].

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1.ص 174-175

ويقول في موضع آخر وعند تفسيره لقوله تعالى : { فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿50﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿51﴾} الذاريات :50-51 "ليس المقصود بالفرار من الدنيا ترك السعي والعمل وتعاطي الأسباب المشروعة لتحصيل القوت ورغد العيش، وتوسيع العمران وتشييد المدنية، بل المقصود الفرار من شرورها وفتنها.

وتناول ذلك كله على الوجه المشروع هو من الفرار إليه والدخول تحت شرعه كما قدمنا، وقد ظل قوم فزعموا ذلك طاعة وعبادة، فعطّلوا الأسباب وخالفوا الشريعة، وحادوا عما ثبت من السنة"[2].

ثالثا:دور العلم والعلماء في نهضة الأمم

وهذا ما أشار إليه ابن باديس عند تفسيره لقوله تعالى : { وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ }النمل :15، بقوله :" قد ابتدأ الحديث عن هذا الملك العظيم بذكر العلم، وقدمت النعمة به على سائر النعم تنويه بشأن العلم وتنبيه على أنه هو الأصل الذي تبني عليه سعادة الدنيا والأخرى، وأنه هو الأساس لكل أمر من أمور الدين والدنيا ، وأن الممالك إنما تبنى عليه وتشاد، وأنه الملك إنما ينظم به ويساس، وأن كل ما لم يبنى عليه فهو على شفى جرف هار، وأنه هو سياج المملكة ودرعها، وهو سلاحها الحقيقي وبه دفاعها، وأن كل مملكة لم تحمى به فهي عرضة للانقراض والانقضاض "[3].

ثم أشار إلى أن الممالك التي تبنى على السيف فبالسيف تهدم وأن أثبت الممالك ما انبنى على العلم وحمي بالسيف بقوله: "فأما الممالك التي تبنى على السيف فبالسيف تهدم، وما يشاد على القوة فبالقوة يؤخذ. وإنما أعلى الممالك وأثبتها ما نبنى على العلم وحمي بالسيف، وإنما يبلغ السيف وطره ويؤثّر أثره إذا كان العلم من ورائه" [4].

المبحث الثالث : الإصلاح السياسي

---

[1]- المرجع نفسه. ج 1.ص 177-178

[2]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج 2.ص 322

[3]- المرجع نفسه.ج 2.ص 201

[4]- المرجع نفسه .ج 2.ص201-202

كانت الحركة الإصلاحية التي قادها ابن باديس حركة شاملة تتجه بالعلاج إلى النفوس والعقول، إلى الفرد والمجتمع، وإلى مختلف مناحي الحياة وهو الأمر الذي كان كثيرا ما يعبر عنه في شعار جامع ' تهذيب الأمة وترقيتها'.

وكما بذل ابن باديس جهودا في بناء وعي اجتماعي واقتصادي عند أفراد مجتمعه، بذل جهودا كبيرة في بناء وعي سياسي عند مواطنيه بجعلهم يتجاورون نظرتهم إلى السياسة وأنها من شأن فئة قليلة ومن الناس وليس من صلاحيات أفراد المجتمع .

وبما أن الجزائر – التي هي نقطة الانطلاق في حركة ابن باديس الإصلاحية – كانت تحت وطأة الاستعمار الفرنسي الاستيطاني فإن ذلك كان يمثل العائق الأكبر الذي يعوق الأمة عن كل انطلاق، ويكبل قواها فيقعدها عن كل محاولة للنهوض .

ولذلك فإن الخطة الإصلاحية التي رسمها ابن باديس كانت ترتكز على محورين أساسين : تحرير الشعب الجزائري من الاستعمار،وتأسيس الأذهان على حكم الشورى بعد التحرير.

ولكن المتبع لآثار ابن باديس لا يجد ما يشير إلى أنه دعا بصفة مباشرة إلى الاستقلال من الاستعمار الفرنسي، أو أنه دعا إلى الثورة على فرنسا من أجل تحقيق الاستقلال، لكنه اتخذ إستراتيجية بعيدة المدى التي يكون فيها التصريح بمطالب الاستقلال والعمل المباشر من أجله عاملا مناقضا لنجاحها، بل ويبوء العمل الإصلاحي كله الخسران كما خسرت حركات كثيرة من قبله .

وتقوم هذه الإستراتيجية عند ابن باديس وإخوانه من جمعية العلماء المسلمين على أن تكون المرحلة الأولى في الإصلاح هي علاج الشعب الجزائري من أمراضه الداخلية ليكون مستعدا للمرحلة الثانية وهي المقاومة المباشرة للاستعمار، ولأن المجال هنا لا يتسع للحديث عن كل الجهود التي قام بها ابن باديس في المجال السياسي، فإنني سأركز على أمرين اثنين :أولها الحديث عن السياسة عند ابن باديس بشكل مختصر، والثاني هو الحديث عن أصول الولاية والحكم التي أشار إليها ابن باديس في تفسيره 'المجالس'، من تحديد للعلاقة التي تحكم الراعي والرعية، والصفات التي يجب أن تتوفر في الحاكم وغيرها من الأمور .

المطلب الأول : السياسة عند ابن باديس

لم يكن ابن باديس مصلحا دينيا وتربويا فقط، بل كان سياسيا محنكا، ولم يكن يفصل بين الدين والسياسة، بل يجعلها جانبا من الدين ونشاطا قائما عليه، لأن وظيفة السياسة كما جاء في الشهاب ' هي تدبير شؤون المجتمع على قانون العدل والإحسان '، وهذه وظيفة من وظائف الدين كذلك، لأن الإسلام كما يراه ابن باديس عقد اجتماعي عام فيه كل ما يحتاج إليه الإنسان في جميع نواحي الحياة لرقيه وسعادته، لذلك عاب ابن باديس على العلماء جمودهم وانعزالهم عن المجتمع والسياسة كما عاب على الحكام جهلهم واستبدادهم.[1]

فيقول :" وكلامنا اليوم عن العلم والسياسة معا، وقد يرى بعضهم أن هذا الباب صعب الدخول لأنهم تعودوا من العلماء الاقتصار على العلم، والابتعاد عن مسالك السياسة، مع أنه لابد من الجمع بين السياسة والعلم، ولا ينهض العلم والدين كل النهوض إلا إذا نهضت السياسة بجد "[2].

ويقول أيضا في رده على الوالي العام للجزائر حين وجه اتهامه لأعضاء جمعية العلماء المسلمين مدعيا بأنهم قد انغمسوا في الشؤون السياسية وابتعدوا عن واجباتهم الدينية الأساسية :"ثم ما هذا العيب الذي يعاب به العلماء المسلمون، إذا شاركوا في السياسة ؟فهل خلت المجالس النيابية الكبرى والصغرى من رجال الديانات الأخرى، وهل كانت الأكاديمية الفرنسية خالية من آثار الوزير القسيس ' راشليو' ؟ فيجوز الشيء ويحسن إذا كان من هناك؟ ويحرم ويقبح إذا كان من هنا ؟ كلا لا عيب ولا ملامة وإنما لكل امرئ ما اختار، ويمدح ويذم على حسب سلوكه في اختياره "[3].

ويبدو من خلال النصين السابقين أن العلم والسياسة في رأي ابن باديس لا يفترقان ولا ينفصل كل منهما عن الآخر، بل هما في حقيقة الأمر متداخلان، وهذا ما يحتم على رجال الدين والعلماء في نظره الخوض في الشؤون السياسية ولا يقتصروا في حياتهم على التفرغ لشؤون الآخرة وأمور العبادة .[4]

ويؤكد ابن باديس هذا المعنى عند تفسيره لقوله تعالى : { **وَلا تَقفُ ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ إِنَّ السَّمعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤادَ كُلُّ أُولـئِكَ كانَ عَنهُ مَسئولًا** ﴿٣٦﴾ }الإسراء :36، مبينا علاقة العلم بالسياسة والمجتمع وتأثره بهما

---

[1]- ينظر إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس :عبد القادر فوضيل ومحمد الصالح رمضان .ص 68-69

[2]- عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره.ت :عمار طالبي .ج 4.ص 231

[3]- المرجع نفسه .ج 3.ص 296

[4]- عبد الحميد بن باديس مفسرا :حسن عبد الرحمان سلوادي.ص 207

" وهذا هو طور انحطاط الأمم الانحطاط التام، وذلك عندما يرتفع منها العلم ويفشو الجهل وتنتشر فيها الفوضى بأنواعها، فتتخذ رؤوسا جهالا لأمور دينها وأمور دنياها، فيقودونها بغير علم فيَضلون ويُضلون، ويَهلكون ويهُلكون، ويفسدون ولا يصلحون .

وما أكثر هذا –على أخذه بالزوال بإذن الله– في أمم الشرق والإسلام اليوم"[1].

وهذا ما جعله يتوجه إلى العلماء يستنهض هممهم ويوجب عليهم القيام بالعمل الوطني لإرشاد الأمة وإصلاح حالها وينادي بضرورة عدم الفصل بين الدين وشؤون الحياة، على أساس أن الربط بين الدين والسياسة والعلم والأخلاق إنما هو من أصول الإسلام .[2]

يقول ابن باديس مؤكدا هذا المعنى :" قد ابتدأ الحديث عن هذا الملك العظيم بذكر العلم، وقدمت النعمة به على سائر النعم تنويها بشأن العلم وتنبيها على أنه هو الأصل الذي تنبني عليه سعادة الدنيا والأخرى، وأنه هو الأساس لكل أمر من أمور الدين والدنيا ، وأن الممالك إنما تبنى عليه وتشاد، وأنه الملك إنما ينظم به ويساس، وأن كل ما لم يابنى عليه فهو على شفا جرف هار، وأنه هو سياج المملكة ودرعها، وهو سلاحها الحقيقي وبه دفاعها، وأن كل مملكة لم تحمى به فهي عرضة للانقراض والانقضاض"[3].

وأختم هنا بإيراد تعريف ابن باديس للملك وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : { **وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّـــهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾** }النمل :15، " الملك ولاية على المجتمع لحفظ نظامه، تقتضي عموم النظر، وشمول التصرف في روابط الناس ومعاملاتهم وتصرفاتهم، وتسييرهم في ذلك كله على أصول عادلة توصل كل أحد إلى حقه، وتكفه عن حق غيره، ليعيشوا في رخاء وسلام، ويبلغوا غاية ما يستطيعون من متع الحياة "[4]

---

[1]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1.ص 265

[2]– إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس :عبد القادر فوضيل ومحمد الصالح رمضان .ص 69

[3]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 2.ص 201

[4]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود ج 2.ص 191

المطلب الثاني : نماذج عن أصول الولاية والحكم في الإسلام من تفسير ابن باديس

اقتضت حركة ابن باديس الإصلاحية أن يعاود النظر في مسألة رئيسية شغلت جانبا كبيرا من جهود المفسرين المحدثين، وهي مسألة نظام الحكم في الدول الإسلامية .

ولعل الباعث الذي دفعه إلى الاهتمام بهذه المسألة سقوط الإمبراطورية العثمانية حوالي 1920م وما أثير حولها في ذلك الوقت من جدل عميق بين العلماء المسلمين، كما أن الأحوال المزرية التي كانت سائدة في العالم الإسلامي من انحطاط في القيم وتخلف في الحضارة، واتصال المسلمين واطلاعهم على أنظمة الحكم الغربية بنماذجها المتعددة، كانت أيضا من الدوافع التي جعلت ابن باديس يعنى ببحث تلك المسألة، عارضا فيها آراءه واقتراحاته التي استوحاها من التصور الإسلامي لطبيعة الحكم كما عرضه القرآن .[1]

والمتتبع لتفسير ابن باديس تصادفه مباحث ومسائل كثيرة تتعلق بسياسة الأمة مثل :المبادئ والأصول التي تحكم العلاقة بين الراعي ورعيته، وتحديد الصفات التي يجب أن تتوفر في الحاكم الذي يتولى تسيير أمور الأمة وغيرها من المسائل، وسأتناول البعض منها في شكل نقاط كما يلي.

الفرع الأول :العدل والرحمة أساس الملك والنهي عن خيانة الأمة

يوضح ابن باديس خلال تفسيره لقوله تعالى : { **عَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾**}النمل :21، بأنه يجب على الحاكم أن يخضع لسلطان الحجة ليقيم ميزان العدل والرحمة فيقول تحت عنوان فرعي 'الحق فوق كل أحد' :" لقد أغضب سليمان غياب الهدهد، فلدا توعده هذا الوعيد وأكده هذا التأكيد، ولكن سلطان سليمان في قوته وملكه ومكانته يجب أن يخضع لسلطان آخر هو أعظم من سلطانه: هو سلطان الحق، والحق فوق كل أحد، وملك سليمان ملك حق، فلا بد له من الخضوع لسلطان الحجة ليقيم ميزان العدل، والعدل أساس الملك وسياج العمران"[2].

وكما دعا ابن باديس إلىجعل العدل والرحمة أساسا للملك نهى عن خيانة الأمة وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: { **إِنَّ اللَّـهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾** }الحج :38، فبين أن من تولى أمر المسلمين يجب عليه الحذر

---

[1]- ينظر عبد الحميد بن باديس مفسرا :حسن عبد الرحمان سلوادي.ص 223

[2]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 2.ص 231

من خيانة العامة لعظم هذا الذنب فيقول :" كل عمل لا يحل فهو خيانة وإن كان بأدنى إشارة، وقد نبه الله على هذا بقوله: { يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ} غافر:19، وهي مسارقة النظر إلى ما لا يحل، والإشارة بطرف العين فيما يحرم .

وأعظم الخيانة بعد الكفر خيانة العامة، لأن الذنب يعظم بعظم أثره وانتشار ضرره

ولهذا جاء ما جاء من الوعيد الشديد فيمن ولي أمرا من أمور المسلمين فغشهم و لم ينصح لهم .

فحق على المسلم أن يحذر من الخيانة، دقيقها وجليلها، وخصوصا ما اتصل بالناس منها، ويتنبه من أقل كلمة وأدنى إشارة توقعه في خطرها "[1].

الفرع الثاني : من واجبات الحاكم والفرد المسؤول في مجتمعه

وكما دعا ابن باديس الحكام إلى أن يجعلوا العدل والرحمة من صفات حكمهم، ونهاهم عن خيانة الأمة، دعاهم إلى القيام بواجباتهم نحو رعيتهم من تفقد لأحوالهم ورعايتهم .

فيقول وعند تفسيره لقوله تعالى : { وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينْ} النمل:208 وتحت عنوان 'تعليم وقدوة' :" من حق الرعية على راعيها أن يتفقدها، ويتعرف أحوالها، إذ هو مسؤول عن الجليل والدقيق منها، ويباشر بنفسه ما استطاع مباشرته منه، ويضع الوسائل التي تطلعه على ما غاب عليه منها، وينيط بأهل الخبرة والمقدرة والأمانة تفقد أحوالها حتى تكون أحوال كل ناحية معروفة مباشرة لمن كلّف بها، وهذا التفقد والتعرف هو على كل راع في الأمم والجماعات والأسر والرفاق، وكل من كانت له رعية"[2].

ولم يقتصر ابن باديس على دعوة الحكام وأولي الأمر للقيام بواجباتهم نحو مجتمعهم، بل وجه دعوته كذلك لكل فرد مسؤول في جماعته أو في قومه، كل حسب عمله ومنصبه فيقول :" كل واحد في قومه أو في جماعته هو المسؤول عنهم من ناحيته مما يقوم به من عمل، حسب كفاءته واستطاعته، فعليه أن يحفظ مركزه ولا يدع الخطر يدخل ولا الخلل يقع من جهته، فإنه إذا قصّر في ذلك وترك مكانه فتح ثغرة الفساد على قومه وجماعته، وأوجد السبيل لتسرب الهلاك إليهم، وزوال حجر صغير من السدّ المقام لصدّ السيل يفضي إلى خراب السدّ بتمامه .

---

[1]-المرجع نفسه. ج 1.ص 409

[2] - مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج 2.ص 225

فإخلال أي أحد بمركزه ولو كان أصغر المراكز مؤد إلى الضرر العام، وثبات كل واحد في مركزه وقيامه بحراسته هو مظهر النظام والتضامن، وهما أساس القوة "[1].

و يقول في موضع آخر :" هذه النملة وفت لقومها وأدت نحوهم واجبها فكيف بالإنسان العاقل فيما يجب عليه نحو قومه !، هذه عظة بالغة لمن لا يهتم بأمور قومه ولا يؤدي الواجب نحوهم، ومن يرى الخطر داهما لقومه فيسكت ويتعامى، ولمن يقود الخطر إليهم ويصبه بيده عليهم .

آه.... ! ما أحوجنا –معشر المسلمين- إلى أمثال هذه النملة !"[2]

الفرع الثالث :شروط القائد والزعيم

وذكر الشروط التي ينبغي أن تتوفر في القائد والزعيم وذلك وعند تفسيره لقوله تعالى : {**حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾** } النمل:18، مستنبطا إياها من قصة النملة مع قومها فيقول وتحت عنوان فرعي ' واجب القائد والزعيم ' :" هذه النملة هي كبيرة النمل، فقد كان عندها من قوة الإحساس ما أدركت به الخطر قبل غيرها فبادرت بالإنذار، فلا يصلح لقيادة الأمم ورعايتها إلا من كان عنده من بعد النظر وصدق الحدس وصائب الفراسة، وقوة الإدراك للأمور قبل وقوعها، ما يمتاز به عن غيره ويكون سريع الإنذار بما يحسّ ويتوقع"[3].

ويقول كذلك :" في عالم الجماد وعالم النبات وعالم الحيوان نجد الطبيعة – بصنع الله- تستخلص الأعلى من الأدنى، والأقوى من الأضعف، فنجد الممتاز من أصل الخلق وبانتخاب الطبيعة في هذه العوالم الثلاثة، كما نجد الذهب في المعدن، ونجد الزهر والثمر في النجم [4] والشجر، وتجد الملكة من النمل والنحل مثلا.

فالإنسان لم يخرج عن هذا القانون الطبيعي، ففيه الممتازون اللذين يحتاج إليهم النوع الإنساني في صلاح حاله ومآله، ومنهم اللذين يتولون حكمه وتنظيمه في أممه ومجتمعاته وجماعاته، فالهيئة الحاكمة، والأفراد المنظمون،

---

[1]- المرجع نفسه. ج 2.ص 231

[2]- المرجع نفسه.ج 2.ص 217

[3]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج 2.ص 217

[4]- النجم :ما لا ساق له من النبات

والقادة المسيرون من ضروريات المجتمع الإنساني ومقرات الشرع الإسلامي مثل ما في هذه الآية من أمر الوازعين"[1] .

كما تحدث ابن باديس عن نظام الجندية وضرورة كفاءة القادة وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : { وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ } النمل:17، بقوله :"كان لسليمان عليه الصلاة السلام من الجن والإنس والطير جنود معروفون، يتركب منهم عسكره، يكونون متفرقين فإذا عرض أمرا جمعهم، وكان له أعوان يعرفون أولئك الجنود ويعرفون أماكنهم، فهم اللذين يجمعونهم عند الحاجة إليهم، فأراد سليمان أن يسافر فأمر أعوانه بجمع الجنود، فجمعوهم له، فلما اجتمعوا تولى رؤسائهم تنظيمهم، فساروا مع سليمان في كثرة ونظام يتولى أولئك الرؤساء تنظيمهم في سيرهم، ويمنعونهم عن الخروج عن النظام"[2].

ثم يكمل قائلا :" تفيدنا الآية صورة تامة لنظام الجندية في ملك سليمان، فقد كان الجنود يسرحون من الخدمة، ويجمعون عند الحاجة، وكانت أعيانهم معروفة مضبوطة، وكانت لهم هيئة تعرفهم وتضبطهم وتجمعهم عند الحاجة، وكان لهم ضباط يتولون تنظيمهم، وكان النظام محكما لضبط تلك الكثرة ومنعها من الاضطراب و الاختلال والفوضى"[3].

ثم يذكر أن الآية عرضت علينا هذه الصورة التاريخية تعليما لنا وتربية على الجندية المضبوطة المنظمة، وأنه لا شك أن الخلفاء الراشدين قد عملوا على ذلك في تنظيم جيوشهم.

ثم يقول :" وإن مثل هذه الآية كان له الأثر البليغ السريع في نفوس العرب لما أسلموا، فسرعان ما تحولوا إلى جنود منظمة مما لم يكن معروفا عندهم في الجاهلية، وبقيت هذه الآية على الدهر مذّكرة لنا بأن النظام أساس كل مجتمع واجتماع، وأن القوى والكثرة وحدها لا تغنيان بدون نظام، وأن النظام لا بد له من رجال أكفاء يقومون به ويحملون الجموع عليه،و أولئك هم الوازعون "[4].

ومن باب شروط القائد والزعيم تطرق ابن باديس لموضوع 'ولاية المرأة الحكم' و ذلك عند تفسير ابن باديس لقوله تعالى : { إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ } النمل :23،

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 2.ص 211-212

[2]- المرجع نفسه.ج 2.ص 211-212

[3]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج 2.ص 212

[4]- المرجع نفسه. ج 2.ص 213

فقال تحت عنوان 'ولاية المرأة الملك' : " ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :**' لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة '**[1]، قاله لما بلغه أن الفرس ملّكوا عليهم امرأة، فاقتضى هذا ألا تلي المرأة ولاية ولا إمارة ولا قضاء وأيّدت هذا النص الصحيح السنة العملية، فأخذ به جمهور أئمة الإسلام، وجاءت روايات عليلة عن بعضهم لم يلتفت إليها و لم بعمل بها"[2] .

ثم علل ابن باديس سبب عدم ولاية المرآة قائلا :" لا تصلح المرأة للولاية من ناحية خلقتها النفسية فقد أعيت من الرقة والعطف والرأفة ما أضعف فيها الحزم والصرامة اللازمين للولاية، وفي وفي اشتغالها بالولاية إخلال بوظيفتها الطبيعية الاجتماعية التي لا يقوم مقامها فيها سوها، وهي القيام على مملكة البيت وتدبير شؤونه، وحظ النسل بالاعتناء بالحمل والولادة و تربية الأولاد"[3].

ثم أورد ابن باديس اعتراض وبينه، وهو تولي بعض النساء الملك في تواريخ الأمم الإسلامية كشجرة الذر ومنهن من ازدهر قومها في عهدها فقال تحت عنوان 'دفع اعتراض' :" في تواريخ الأمم نساء تولين الملك، ومن المشهورات في الأمم الإسلامية 'شجرة الذر' في العصر الأيوبي، ومنهن من قضت آخر حياتها في الملك وازدهر ملك قومها في عهدها، فما معنى نفي الفلاح عن من ولوا أمرهم امرأة ؟

هذا اعتراض بأمر واقع، ولكنه لا يرد علينا، لأن الفلاح المنفي هو الفلاح في لسان الشرع، وهو تحصيل خير الدنيا والآخرة، ولا يلزم من ازدهار الملك أن يكون القوم في مرضاة الله، ومن لم يكن في طاعة الله فليس من المفلحين ولو كان في أحسن حال فيما يبدو من أمر دنياه، على أن أكثر من ولوا أمرهم لامرأة من الأمم إذا قابلهم مثلهم كانت عاقبتهم أن يغلبوا"[4].

الفرع الرابع : الاجتماع العام للأمر العام وارتباط الجماعة بأمر الإمام

وضح ابن باديس بعض الأحكام المتعلقة بالاجتماع العام، فبين أنه يجب على أئمة المسلمين وذوي القيادة أن يجمعوا جماعة المسلمين إذا نزل بهم أمر هام، وأنه يجب على جماعة المسلمين أن يلبوا هذه الدعوة وأن لا ينصرفوا إلا بإذن من الإمام وذلك عند تفسير ابن باديس لقوله تعالى : {**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّـهِ وَرَسُولِهِ**

---

[1]- أخرجه البخاري في كتاب المعازي، باب :كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر (4425)،وكتاب :الفتن، باب :الفتنة التي تموج كموج البحر (7099).ج 4.ص 321

[2]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 2.ص 239

[3]- المرجع نفسه.ج 2.ص 239

[4]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 2.ص 240

وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَـئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّـهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّـهَ إِنَّ اللَّـهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ } النور :62 فبقول معرفا الأمر الجامع :" الأمر الجامع :هو الحادث الذي يتطلب الاجتماع بطبيعته فيجمع الإمام الناس من أجله، من ذوي الرأي والمعرفة بمثله، والخبرة والتجربة فيه، من كل ما يعم نفعه أو ضرره من أمور السلم والحرب،وشؤون الحياة الاجتماع، ليتشاوروا فيما بينهم ويستضيئوا بعضهم لرأي بعض "[1].

ثم يبين معنى هذه الآية بقوله :"يأمر الله المؤمنين إذا كانوا مع رسوله صلى الله عليه و سلم على أمر جامع أن لا يفارقوا مجلسه كلهم أو بعضهم إلا بإذنه، وأكد هذا الأمر بما وطأ له من ذكر الإيمان بالله ورسوله تنبيها على أنه من مقتضاهما، ويقرنه بهما وجعله ثالثا لهما، تعظيما لشأنه، وتنبيها على ملازمته لهما ممن صدق فيهما، حتى كأنّ غير المستأذنين لا إيمان لهم، وبإعادته في الجملة الثانية ببيان أن اللذين يستأذنونهم دون غيرهم الثابتون في إيمانهم، المستمرون عليه،تعريضا باللذين لا يستأذنون وتقبيحا لحالهم بأنهم لا ثبات لهم في الإيمان ولا استمرار منهم على العمل به، فليسوا بالمؤمنين ولا باللذين يؤمنون .

ثم جعل الخيار لرسوله في الإذن وعدم الإذن لهم إذا استأذنوه لبعض شأنهم، تعظيما لأمر الاجتماع، وتعظيما للصالح العام، وتأكيدا لحق الإمام على الجماعة لحفظ الاجتماع وتتميم الأعمال.

ثم أمره أن يستغفر لهم، فقد يكون العذر دون الاضطرار، وقد يكون ما فاته من بركات الاجتماع، وحسنات المشاركة فيه بالرأي والاهتمام وتكثير السواد بسبب ذنب كان منهم في أمر غير الاجتماع، وأكد هذا الأمر بأنه الكثير المغفرة لعباده الدائم الرحمة بهم "[2].

ثم وبعد هذا بين ابن باديس أنه يجب على أئمة المسلمين أن يجمعوا جماعة المسلمين في الأمر الهام، وأنه يجب على هذه الجماعة تلبية الدعوة وعدم الانصراف إلا بإذن فيقول :" لما كان الاجتماع شرع للمصلحة، والذهاب بدون استئذان حرّم للمفسدة فالمشروعية والتحريم دائمان بدوام المصلحة والمفسدة، فأحكام الآية مستمرة الأحكام، عامة للمسلمين في كل زمان وكل مكان مع أئمتهم وقادتهم والمقدمين منهم فيهم، في كل ما يعرض من اجتماع لصالح عام .

فمن أحكام الآية الكريمة .

---

[1]- المرجع نفسه.ج 1.ص 423

[2]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1.ص 424

1- أن على أئمة المسلمين وذوي القيادة فيهم إذا نزل بهم أمر هام أن يجمعوا جماعة المسلمين اللذين يرجى منهم الرأي والعمل فيما نزل،فلا يجوز لهم أن يهملوا أمرهم، ولا أن يستبدوا عليهم .

2- وأن على المسلمين أن يجتمعوا إليهم، ويكونوا معهم يظاهروهم ويؤيدوهم وينصحون لهم، فلا يجوز لهم أن يتخلفوا عنهم، ولا أن يخذلوهم.

3- وأن على المجتمعين ألا يذهب واحد منهم إلا بإذن .

4- وألا يستأذن إلا لعذر ببعض الشأن .

5- وأن على الإمام أن ينظر في الإذن وعدمه، فيفعل ما هو أولى "[1].

ويقول في موضع آخر :" أمراء المسلمين وقادتهم ومن يتولون أمرا من أمورهم العامة تجاب دعوتهم إذا دعوا لأمر عام وشأن مما يرتبط بما في عهدتهم من أمر الناس، ويسرع إليهم، ولا يتسلل من مجالسهم، ذلك لما لهم من حق الخلافة عن الرسول صلى الله عليه وسلم فيما كان يقوم به من أمر الناس، وتدبير شؤونهم وضبط نظامهم ورعاية مصالحهم"[2].

ثم حث ابن باديس على عدم مفارقة الجماعة، ولزوم المحافظة عليه كأصل لازم للقيام بمقتضيات الإيمان، وحفظ عمود الإسلام فيقول :" إنما ينهض المسلمون بمقتضيات إيمانهم بالله ورسوله إذا كانت لهم قوة، وإنما تكون لهم قوة إذا كانت لهم جماعة منظمة تفكر وتدبر، وتتشاور وتتآزر، وتنهض لجلب المصلحة ولدفع المضرة،متساندة في العمل عن فكر وعزيمة ولهذا قرن الله في هذه الآية بين الإيمان بالله ورسوله، والحديث عن الجماعة وما يتعلق بالاجتماع، فيرشدنا هذا إلى خطر أمر الاجتماع ونظامه، ولزوم الحرص والمحافظة عليه كأصل لازم للقيام بمقتضيات الإيمان، وحفظ عمود الإسلام "[3].

ثم يكمل ابن باديس مبينا أن ما أصاب المسلمين ما أصابهم إلا لإهمالهم لأمر الاجتماع إما باستبداد أئمتهم، وإما بانتشار جماعتهم فيقول "" ما أصيب المسلمون في أعظم ما أصيبوا به إلا بإهمالهم لأمر الاجتماع ونظامه، إما باستبداد أئمتهم وقادتهم، وإما بانتشار جماعتهم، بضعف روح الدين فيهم، وجهلهم بما يفرضه عليهم .

---

[1]- المرجع نفسه.ج 1.ص 424-425

[2]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج 1.ص 430

[3]- المرجع نفسه. ج 1.ص 425-426

وما ذاك إلا من سكوت علمائهم، وقعودهم عن القيام بواجبهم في مقاومة المستبدين ، وتعليم الجاهلين، وبث روح الإسلام الإنساني السامي في المسلمين "[1].

وتحدث عن هذا الموضوع كذلك، عند تفسيره لقوله تعالى :{ **لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّـهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴿٦٣﴾ } النور :63 مبينا أن أعظم فتنة يمكن أن تصيب أمة من الأمم أن يسلّط عليها سلطان جائر، وخاصة إذا لم يكن من جنسها ولا يدين بدينها فيقول وتحت عنوان :' أعظم فتنة ':" أعظم الفتنة –فيما نرى- هو ما قاله الإمام جعفر الصادق :'أن يسلط عليهم سلطان جائر' فإنه إذا جار السلطان – وهو من له السلطة في تدبير أمر الأمة والتصرف في شؤونها- فسد كل شيء،فسدت القلوب والعقول والأخلاق والأعمال والأحوال، وانحطت الأمة في دينها ودنياها إلى أحط الدركات، ولحقها من جرائه كل شر وبلاء وهلاك، ثم يتفاوت ذلك الفساد بحسب ذلك الجور في قدره وسعته ومدة بقائه .

هذا إذا كان ذلك الجائر من جنسها ويدين – بحسب ظواهره- بدينها، فكيف إذا لم يكن من جنسها ولا دينها في شيء.

حقا إن أعظم ما لحق الأمم الإسلامية من الشر والهلاك كله جاءها على يد السلاطين الجائرين منها ومن غيرها. وهذا ما يشهد به تاريخها في ماضيها وحاضرها.

فما أصدق كلمة جعفر الصادق وما أعمق نظرنه فيها، ومن أحق بمثلها من بيت النبوة ومعدن الحكمة ؟ عليهم الرضوان والرحمة "[2].

ودعا ابن باديس أهل العلم أن يقوموا بواجبهم بتعليم الناس ونفخ روح الاجتماع الشوري فيهم في كل ما يهمهم من أمر دينهم ودنياهم وذلك في قوله :" فعلى أهل العلم –وهم المسؤولون عن المسلمين بما لهم من إرث النبوة فيهم- ليقوموا بما أرشدت إليه هذه الآية الكريمة فينفخوا في المسلمين روح الاجتماع الشوري في كل

---

[1]- المرجع نفسه.ج1.ص 462

[2]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج.1.ص .432

ما يهمهم من أمر دينهم ودنياهم، حتى لا يستبد بهم مستبد، ولا يتخلف منهم متوان، وحتى يظهر الخاذل لهم ممن ينتسب إليهم، فينبذ ويطرح، ويستغنى عنه بالله وبالمؤمنين "[1].

و بين ابن باديس الفرق بين المصلحة العامة و المصلحة الخاصة ورجوح كفة المصلحة العامة على كفة المصلحة الخاصة، وأنه يجب على المسلمين ترجيح المصلحة العامة على المصلحة الخاصة في قوله :" هنالك المصلحة العامة، وهنالك المصلحة الخاصة، ومحال أن تتساوى هذه بتلك، أنظر إلى الذكر الحكيم كيف عبر عن الأولى بالأمر الجامع، وفي هذا ما فيه من تفخيم، وعبّر عن الثانية ببعض الشأن، وفي هذا ما فيه من التحقير والتقليل .

وفي قرنها بالاستغفار تنبيه على ترجيح الأولى على الثانية، وأنها ما كانت تعتبر إلا على وجه الرخصة، والاستغراق في الاهتمام والتدبير للمصلحة العامة أحق وأولى .

فل نجعل المصلحة العامة غايتنا والمقدمة عندنا حتى لا يكون- إن شاء الله- في مصالحنا الخاصة ما يصرفنا أو يشغلنا عنها، راجين من الله تعالى أن يعيننا على ما قصدنا، وأن يوفقنا إلى استعمال كل مصلحة خاصة لنا في مصلحة عامة لنا ولإخواننا، إنه نعم الموفق، ونعم المعين "[2].

كان ما سبق حديثا عن السياسة عند ابن باديس ومكانتها في دعوته الإصلاحية وكذا نماذج لبعض أصول الولاية والحكم من تفسيره مجالس التذكير، والتي سعى من خلالها إبراز أحكام السياسة في الإسلام وإخراجها للواقع، مغترفا إياها من ينبوع القرآن الكريم، واضعا إياها نبراسا أمامه في أي عمل يقوم به لخدمة وإصلاح المجتمع .

المبحث الرابع : الإصلاح التعليمي والتربوي

يعتبر ابن باديس من كبار المربين والتربويين، و من الأساتذة الكبار في علم التربية ومنظريه،يدل على ذلك ما تشهد به أثاره التي تركها، وما نشره من مقالات في جرائده ومجلاته،والمعاهد العلمية التي أقامها باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تلك المعاهد التي قامت من أجل الإسلام والعربية والتربية والتعليم للأمة والنهضة العلمية الشاملة في الجزائر .

---

[1]- المرجع نفسه.ج.1.ص.426.

[2]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1.ص 427

ولذا فابن باديس لا تقف جهوده في التربية والإصلاح على تفسيره بل تتعدى ذلك إلى جهوده الميدانية في مجال الإصلاح، وما دمنا بصدد دراسة تفسيره لاستخراج اتجاهه الإصلاحي الاجتماعي التربوي فيه، وبيان موقفه ونظرته للتربية والتعليم، وهل بدا ذلك واضحا في تفسيره أم لا ؟ لأنه قد لا يبدو واضحا للوهلة الأولى للناظر غير المدقق ذلك، لأن تفسيره لم يكتمل، وموضوع التربية مترامي الأطراف كبير وواسع، ويحتاج إلى أن يعطى في التفسير تغطية جيدة إذا كان ذلك المفسر قد فسر جميع آيات القرآن، وابن باديس لم يفسر كل القرآن الكريم كتابة، ولو لم يكن ذلك قصده، وما وصلنا غير ما كان ينشره في مجلته 'الشهاب '، ولذا على من رام استخراج طريقته التربوية وبيان جهوده في مجال التربية والتعليم، وإصلاح التعليم الرجوع إلى الكتب التي تناولت جهوده التربوية والإصلاحية، ودرست أغلب آثاره في التفسير وغيره وهي كثيرة .[1]

ورغم هذا فقد حوى تفسير ابن باديس على الكثير من القواعد والأصول التربوية، والمتعلقة بالعلم وأهميته، وآداب طلبه وغيرها، وهذا ما سأتعرض له بالدراسة من خلال هذه المطالب.

المطلب الأول : إصلاح التعليم أساس الإصلاح

يذهب ابن باديس إلى أنه لن يصلح المسلمون حتى يصلح علمائهم، لأنهم بمثابة القلب من الجسد إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله.

كما يرى أنه لن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم، ولن يصلح هذا التعليم إلا إذا رجعنا به إلى التعليم النبوي في شكله وموضوعه ومادته .

يقول ابن باديس :" لن يصلح المسلمون حتى يصلح علمائهم، فإنما العلماء من الأمة بمثابة القلب إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله، وصلاح المسلمين إنما هو بفقههم الإسلام وعملهم به، وإنما يصل إليهم هذا على يد علمائهم، فإذا كان علمائهم أهل جمود في العلم وابتداع في العمل، فكذلك المسلمون يكونون، فإذا أردنا إصلاح المسلمين فلنصلح علمائهم.

ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم، فالتعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته وما يستقبل من عمله لنفسه وغيره، فإذا أردنا أن نصلح العلماء فلنصلح التعليم، ونعنى بالتعليم، التعليم الذي يكون به المسلم عالما من علماء الإسلام، يأخذ عنه الناس دينهم ويقتدون به فيه .

---

[1]- ينظر أهم اتجاهات التفسير في بلاد المغرب في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين:هلال خزاري .ج 2.ص 1015-1016

ولن يصلح هذا التعليم إلا إذا رجعنا به للتعليم النبوي في شكله وموضوعه في مادته وصورته فيما كان يعلم صلى الله عليه وسلم، وفي صورة تعليمه "[1].

ثم يكمل متحدثا عن التعليم النبوي فيقول :" كان صلى الله عليه وسلم يعلم الناس دينهم من الإيمان والإسلام والإحسان .....وكان يعلمهم هذا الدين بتلاوة القرآن عليهم.....وما بينه لهم به من قوله وفعله وسيرته وسلوكه في مجالس تعليمه وفي جميع أحواله فكان الناس يتعلمون دينهم مما يسمعون من كلام ربهم وما يتلقون من بيان نبيهم وتنفيذه مما أوحى الله إليه، وذلك البيان هو سنته التي كان عليها أصحابه والخلفاء الراشدون من بعدهم والقرون الثالثة المشهود لهم بالخيرية من التابعين وأتباع التابعين..... وهكذا كان التعلم والتعليم في القرون الفضلى مبناها على التفقه في القرآن والسنة "[2].

وكما دعا ابن باديس إلى إصلاح التعليم نجد أنه انتقد المنهج التعليمي السائد في عصره وبالخصوص في جامع الزيتونة وخاصة المنهج المتبع في تدريس التفسير .

بقول ابن باديس :"فقد حصلنا على شهادة العالمية من جامع الزيتونة ونحن لم ندرس آية واحدة من كتاب الله، ولم يكن عندنا إي شوق أو أدنى رغبة في ذلك، ومن أين يكون لنا هذا ونحن لم نسمع من شيوخنا يوما مترلة القرآن من تعلم الدين والتفقه فيه، ولا مترلة السنة النبوية من ذلك هذا في جامع الزيتونة فدع عنك الحديث عن غيره مما هو دونه بعديد من المراحل.

فالعلماء –إلا قليل منهم- أجانب أو كأجانب من الكتاب والسنة من العلم فهما والتفقه فيهما، ومن فطن منهم لهذا الفساد التعليمي الذي باعد بينهم وبين العلم بالدين، وحملهم وزرهم و وزر من في رعايتهم لا يستطيع – إذا كانت له همة ورغبة- أن يتدارك ذلك إلا في نفسه، أما تعليمه لغيره فإنه لا يستطيع أن يخرج فيه عن المعتاد الذي توارثه عن الآباء والأجداد رغم ما يعلم فيه من فساد وإفساد"[3] .

ويقول كذلك عند تفسير ابن باديس لقوله تعالى : { **وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَـذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا** ﴿٣٠﴾ } الفرقان:30،" ودعانا القرآن إلى تدبره وتفهمه والتفكر في آياته، ولا يتم ذلك إلا بتفسيره وتبيينه،

---

[1]- عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره.ت :عمار طالبي.دار الغرب الإسلامي .بيروت . لبنان، ط.2. (1403هـ/1983م).ج 3.ص 217

[2]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 3.ص 213

[3]- المرجع نفسه.ج 3.ص 219

فأعرضنا عن ذلك وهجرنا تفسيره وتبيينه، فترى الطالب يقضي حصة كبيرة من عمره في العلوم الآلية دون أن يكون قد طالع ختمة واحدة في أصغر تفسير كتفسير ذي الجلالين مثلا، بل ويصير مدرسا متصدرا و لم يفعل ذلك"[1].

ثم يقول :" وفي جامع الزيتونة –عمره الله تعالى – إذا حضر الطالب بعد تحصيل التطويع في درس التفسير فإنه –ويا للمصيبة– يقع في خصومات لفظية بين الشيخ عبد الحكيم وأصحابه في القواعد التي كان يحسب أنه فرغ منها، فيقضي في خصومة من الخصومات أياما أو شهورا، فتنتهي السنة وهو لا يزال حيث ابتدأ، أو ما تجاوزه إلا قليلا دون أن يحصل على شيء من حقيقة التفسير، وإنما قضى سنته في المماحكات بدعوى أنها تطبيقات للقواعد على الآيات، كأن التفسير إنما يقرأ لأجل تطبيق القواعد الآلية، لا لأجل فهم الشرائع والأحكام الإلهية "[2].

المطلب الثاني : أهمية العلم والترغيب فيه

العلم وفضله لا يخفيان على عامة الناس فصلا عن العلماء أمثال الشيخ ابن باديس، وقد اهتم ابن باديس بالعلم أيما اهتمام وسخر حياته لخدمته .ومما يدل على اهتمامه الكبير بالعلم وكل ما يتعلق به الأمثلة العديدة والمتنوعة في تفسيره، والتي سوف أعرض البعض منها في شكل فروع كالآتي.

الفرع الأول : الترغيب في العلم

عند تفسير ابن باديس للآية 4-6 من سورة الرحمان وهي قوله تعالى : { **عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿4﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿5﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿6﴾** } بين ابن باديس أن الله تعالى دعانا إلى التعلم والتقصي فيه والتعمق في البحث لنطلع على أسرار الأكوان والعمران وآيات القرآن فيقول وتحت عنوان فرعي 'ترغيب' :"قد دعانا الله إلى العلم، ور غبنا فيه في غير ما آية، وأعلمنا أنه خلق لنا ما في السماوات وما في الأرض جميعا، وأمرنا بالنظر فيما خلقه لنا، وأعلمنا هنا أن في هذه المخلوقات أسرارا بينها القرآن واشتمل عليها، وكان ذلك من حجته العلمية على الخلق.

---

[1]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود ج 2.ص 45

[2]– عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره.ت :عمار طالبي. ج 2.ص 45-46

فكان في هذا الترغيب لنا في التقصي في العلم، والتعمق في البحث، لنطلع على كل ما نستطيع الإطلاع عليه من تلك الأسرار :أسرار آيات الأكوان والعمران، وآيات القرآن، فتزداد علما وعرفانا، ونزيد الدين حجة وبرهانا، ونجني من هذا الكون جلائل ودقائق النعم، فيعظم شكرنا للرب الكريم المنعم .

فقهنا الله في كتابه، ووفقنا إلى الاهتداء به والسير على سننه "[1].

وعند تفسير ابن باديس لقوله تعالى :{ **فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴿٢٢﴾** } النمل :22، تحدث ابن باديس عن مكانة العلم وعزة صاحبه فيقول :" كان في جواب الهدهد حجة بينة لسبب غيابه، وذلك لأنه لم يذهب عابثا ولا لغرض خاص به، وإنما ذهب مستطلعا مستكشفا، فحصل علما، وجاء بخبر عظيم في زمن قصير، فرجعت هذه الفوائد العظيمة بتركه لمركزه في الجند فسقطت عنه المؤاخذة"[2]

ثم يكمل قائلا وتحت عنوان 'عزة العلم وسلطانه' :" ابتدأ الهدهد جوابه معتزا بما أحاط به من العلم متجملا بما حصل منه، مظهرا لارتفاع منزلته به، متحصننا به من العقاب، و لم تمنعه عظمة سليمان عليه الصلاة والسلام من إظهار علمه وإعلان اختصاصه به دون سليمان "[3].

فابن باديس ومن خلال قوله هذا بين اعتزاز الهدهد ذلك الطائر الصغير بعلمه وتحصنه به أمام سلطان سليمان عليه الصلاة والسلام وعظمته، فما بالك بالإنسان المؤمن المتعلم فما يكون عليه إلا الاعتزاز بعلمه دون كبر وترفع، وأن يظهر فضل الله عليه ونعمته التي رزقها ويا لها من نعمة.

ويؤكد هذا ما أورده ابن باديس عند تفسير ابن باديس لقوله تعالى:{ **وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَـــذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾**}النمل :16 بقوله وتحت عنوان 'تنزيه وتبيين' :" عبر سليمان عليه الصلاة والسلام عن نفسه بنون العظمة، ونوّه بذلك الفضل المبين، وما كان عليه الصلاة والسلام ليتعظم بسلطانه ولا ليتطاول بفضل، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام أشد الخلق تواضعا لله، وأرحمهم بعباده، وإنما أراد تعظيم نعمة الله في عيون الناس، وتفخيم ملك النبوة في قلوب الرعية، ليملأ نفوسهم

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج.2.ص.20

[2]- المرجع نفسه.ج 2.ص 233

[3]- المرجع نفسه. ج 2.ص 234

بالجلال والهيبة، فيدعوهم ذلك إلى الإيمان والطاعة، فينتظم الملك ويهنأ العيش، وتمتد بهم أسباب السعادة إلى خير الدنيا والآخرة .

وهذا هو الذي توخاه سليمان عليه الصلاة والسلام من المصلحة بإظهار العظمة، ولدى لم يقل :علمت، ولا لي، وعندي من كل شيء، و لم يقل :فضلي، فهو فضل من علّمه وآتاه، فضله به عن من سواه "[1].

ويكمل مرغبا في طلب العلم والسعي في تحصيله بقوله :" يذكر الله تعالى لنا في شأن هذا النبي الكريم ما أعطاه من علم، وما مكنه منه من عظيم الأشياء، ترغيبا لنا في طلب العلم والسعي في تحصيل كل ما بنا حاجة إليه من أمور الدنيا، وتشويقا لنا إلى ما في هذا الكون من عوالم الجماد وعوالم الأحياء، وبعثا لهممنا على التحلي بأسباب العظمة من العلم والقوة، وحثا لنا على تشييد الملك العظيم الفخم على سنن ملك النبوة

فقد كان سليمان عليه الصلاة والسلام نبيا، وما كان ملكه ذلك إلا بإذن الله ورضاه، فهو فيما ذكره الله من أمره قدوة، وأي قدوة مثل سائر الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين "[2].

ومن مزايا العلم وأهميته التحصن به عند السلطان، وهذا ما استخلصه ابن باديس من قصة الهدهد مع سيدنا سليمان، فلما تفقده و لم يجده، ولما كان الهدهد متسلحا بسلاح العلم لم يهب سليمان في عظمته وقوته وذلك في قوله عند تفسيره لقوله تعالى : { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿26﴾ } النمل 26 " قد ألهم الله الحيوانات إلى ما قد يخفى عن بعض العقلاء، ومضى منا كلام عن هذا فيما تقدم من هذه الآيات الكريمة.

وهذا الهدهد بين الهداهد، فلهم إلهاما خاصا يقتضيه تخصيصه بهذا الوقف واتصاله بسليمان عليه الصلاة والسلام، وزمن الأنبياء زمن خرق العوائد وظهور الآيات، وقد كان في حسن بيانه، وترتيب أخباره، وبديع تهديه، عبارة بالغة لأولي الألباب .

فقد تحصن بالعلم، ونوه بالنبأ المتيقن، وفصل النبأ فشرح حاليها الدنيوية والدينية، وتنقل من تشويق إلى تشويق أبلغ منه، كان متثبتا فيما أخبر، بارعا فيما صور، مستدلا فيما قرر وفيما أنكر بصيرا بكيد الشيطان للإنسان، متفطنا لإنباء الضلالات بعضها على بعض، خبيرا بترتيب الأدلة وحسن الاستنتاج.

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود ج 2.ص 209-210

[2]- المرجع نفسه. ج 2.ص 210

وفيما ذكر الله لنا من هذه العبر البالغة من هذا الحيوان الأعجم حثٌ لنا على أن نسلك عندما نخبر ونبين، أو نبحث وننظر، أو نستدل ونرتب ونعلل أن نسلك هذا المسلك"[1].

ويواصل ابن باديس مبينا شرف العلم والعلماء ومكانتهم عند الله، فعند تفسير ابن باديس لقوله تعالى: { تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ } يس :05، يصف العلماء بأنهم ورثة الأنبياء، وأنهم لم يورثوا درهما ولا دينارا، وإنما ورثوا علما فيقول :" العلماء ورثة الأنبياء، وما ورّث الأنبياء دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، والعلم مستمد من الرسالة، فعلى أهله واجب التبليغ والنذارة، والصبر على ما في طريق ذلك من الأذى والبلايا، والعطف على الخلق والرحمة"[2].

الفرع الثاني :آية العلم :

وعند تفسير ابن باديس لقوله تعالى: { **وَلا تَقفُ ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ إِنَّ السَّمعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤادَ كُلُّ أُولـئِكَ كانَ عَنهُ مَسئولًا** ﴿٣٦﴾ **وَلا تَمشِ فِي الأَرضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخرِقَ الأَرضَ وَلَن تَبلُغَ الجِبالَ طولًا**﴿٣٧﴾ } الإسراء:36-37 .

يقول مبينا شرف العلم والأخلاق :" العلم الصحيح والخلق المتين هما الأصلان اللذان يبني عليها كمال الإنسان، و بهما يضطلع بأعباء ما تضمنته الآيات المتقدمة من أصول التكليف، فهما أعظم مما تقدمهما من حيث توقفه عليهما، فجيء بهما بعده ليكون الأسلوب من باب الترقي من الأدنى إلى الأعلى .

ولما كان العلم أساس الأخلاق قدمت آيته على آياتها تقدم الأصل عن الفرع "

ثم عنون ابن باديس لقوله تعالى :{ **وَلا تَقفُ ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ إِنَّ السَّمعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤادَ كُلُّ أُولـئِكَ كانَ عَنهُ مَسئولًا** ﴿٣٦﴾ } الإسراء:36، ب 'آية العلم ' وهذا أكبر دليل على اهتمامه الكبير بالعلم وتحصيله،ويعرف ابن باديس العلم بقوله :" العلم : إدراك جازم مطابق للواقع عن بينة، سواء كانت تلك البينة حسا ومشاهدة أو برهانا عقليا، كدلالة الأثر على المؤثر والصنعة على الصانع فإذا لم تبلغ البينة بالإدراك رتبة الجزم فهو ظن، هذا هو

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود ج 2.ص 247-248

[2]- المرجع نفسه.ج 2.ص 275

الأصل .ويطلق العلم أيضا على ما يكاد يقارب الجزم ويضعف فيه احتمال النقيض جدا كما قال تعالى عن إخوة يوسف عليه السلام : { **وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين﴿81﴾** }يوسف :81"[1].

ثم يكمل ابن باديس مبينا أن الإنسان يمتاز عن الجماد والحيوان بعقله وان العقل هو ميزة الإنسان وأداة علمه، فيقول وتحت عنوان فرعي 'العقل ميزة الإنسان وأداة علمه':" يمتاز الحيوان عن الجماد بالإدراك،ويمتاز الإنسان عن سائر الحيوان بالعقل، وعقله هو القوة الروحية التي يكون بها التفكير، وتفكيره هو نظره في معلوماته التي أدرك حقائقها وأدرك نسب بعضها ببعض إيجابا وسلبا، وارتباط بعضها ببعض نفيا وثبوتا، وترتيب تلك المعلومات بمقتضى ذلك الارتباط على صورة مخصوصة ليتوصل بها إلى إدراك أمر مجهول .

فالتفكير اكتشاف المجهولات من طريق المعلومات، والمفكر مكتشف ما دام مفكرا

ولما امتاز الإنسان عن سائر الحيوانات بالعقل والتفكير-امتاز عنه بالتنقل والتحول في أطوار حياته ونظم معيشته بمكتشفاته ومستنبطاته، فمن المشي على الإقدام إلى التحليق في الجو مثلا،وبقي سائر الحيوان على الحال التي خلق عليها دون أي انتقال.

وبقدر ما تكثر معلومات الإنسان ويصح إدراكه لحقائقها ولنسبها ويستقيم تنظيمه لها- تكثر اكتشافاته واستنباطاته في عالمي المحسوس والمعقول وقسمي العلوم والآداب "[2].

الفرع الثالث :العلم هو وحده الإمام المتبع في الحياة

أكد ابن باديس أن العلم هو وحده الإمام المتبع في الحياة في الأقوال والأفعال والمعتقدات وأنه لا يجوز بناء هذه الأخيرة على الشكوك والأوهام والظنون لأن في هذا ضرر وضلال كبير بينه الله في كتابه بقوله :" { **ولا تقف ما ليس لك به علم**} الإسراء: 36 أي لا تتبع ما لا علم لك به، فلا يكن منك إتباع بالقول أو بالفعل أو بالقلب لما لا تعلم وذلك في قوله وتحت عنوان فرعي ' العلم هو وحده الإمام المتبع في الحياة في الأقوال والأفعال والمعتقدات' : "سلوك الإنسان في الحياة مرتبط بتفكيره ارتباطا وثيقا يستقيم باستقامته، ويعوج باعوجاجه، ويثمر بإثماره، ويعقم بعقمه .لأن أفعاله ناشئة عن اعتقاداته، وأقواله إعراب عن تلك الاعتقادات، واعتقاداته ثمرة إدراكه الحاصل عن تفكيره ونظره.

---

[1] مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود .ج 1.ص 262

[2] - المرجع نفسه..ج 1.ص 263-264

وهذه الإدراكات الحاصلة عن التفكير والنظر ليست على درجة واحدة في القوة والضعف، فمنها ما هو قوى معتبر، ومنها ما هو ضعيف ساقط عن الاعتبار .

فالأول :العلم، وهو إدراك أمر على وجه لا يحتمل أن يكون ذلك الأمر على وجه من الوجوه سواه، وهو عام الاعتبار، ويليه الظن، وهو إدراك لأمر على وجه هو أرجح الوجوه المحتملة، وهو معتبر عندما تتبين قوة رجحانه فيما لا يمكن فيه إلا ذاك، وهذه الحالة التي يطلق عليها فيها لفظ العلم مجازا .

والثاني :الوهم، وهو إدراك لأمر على الوجه المرجوح، والشك، وهو إدراك لأمر على وجهين أو وجوه متساوية في الاحتمال، وكلا هذين لا يعوّل عليه.

ولما كان الإنسان – بما فطر عليه من الضعف والاستعجال –كثيرا ما يبنى أقواله وأفعاله واعتقاداته على شكوكه وأوهامه وعلى ظنونه حيث لا يكتفي بالظن، وفي هذا البناء الضرر والضلال–بين الله تعالى لعباده– في محكم كتابه أنه لا يجوز لهم ولا يصح منهم البناء لأقوالهم وأعمالهم واعتقاداتهم إلا على إدراك واحد وهو العلم، فقال تعالى : { **ولا تقف ما ليس لك به علم**} الإسراء: 36 أي لا تتبع ما لا علم لك به، فلا يكن منك إتباع بالقول أو بالفعل أو بالقلب لما لا تعلم.

فنهانا عن أن نعتقد إلا عن علم، أو نفعل إلا عن علم، أو نقول إلا عن علم "[1].

ثم بين ابن باديس أنه يجب علينا أن لا نقبل كل ما نسمعه ونراه، بل يجب علينا عرضه على محك الفكر فإذا صرنا منه على علم قبلناه وإلا رددناه فيقول :" فما كل ما نسمعه وما كل ما نراه نطوي عليه عقد قلوبنا، بل علينا أن ننظر فيه ونفكر، فإذا عرفناه عن بينة اعتقدناه وإلا تركناه حيث هو في دائرة الشكوك والأوهام أو الظنون التي لا تعتبر.

ولا كل ما نسمعه أو نراه، أو نتخيله أو نقوله، **'فكفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع** ' كما جاء في الصحيح[2]، بل علينا أن نعرضه على محك الفكر، فإن صرنا منه على علم قلناه، مراعين فيه آداب القول الشرعية ومقتضيات الزمان والمكان والحال .

فقد أمرنا أن نحدث الناس بما يفهمون، وما حدّث قوم بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان عليهم فتنة،وإلا طرحناه"[1].

---

[1]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1.ص 266-267

[2]– أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه، باب :النهي عن الحديث بكل ما سمعه .ج 1.ص 8

ثم أكمل ابن باديس قائلا :" ولا كل فعل ظهر لنا نفعله، بل حتى نعلم حكم الله تعالى فيه لنكون على بينة من خيره وشره، ونفعه وضرره .

فما أمر الله تعالى إلا لما هو خير وصلاح لعباده، وما نهى تعالى إلا عما هو شر وفساد لهم أو مؤد إلى ذلك، وإذا كان من المباحات نظرنا في نتائجه وعواقبه ووازنا بينها، فإذا علمنا بعد هذا كله من أمر ذلك الفعل ما يقتضي فعله فعلناه وإلا تركناه "[2].

وأكمل ابن باديس كلامه مؤكدا أننا إذا اتبعنا هذا الأصل العظيم وأخذنا به في حياتنا، فلن تكون عقائدنا إلا حقا، وأقوالنا إلا صدقا، وأفعالنا إلا سدادا فقال :" فلا تكونوا عقائدنا –إذا تمسكنا بهذا الأصل الإسلامي العظيم– إلا حقا، ولا تكون وأقوالنا إلا صدقا، ولا تكون أفعالنا إلا سدادا .

ولعمر الله إنه ما دخل الضلال في عقائد الناس، ولا جرى الباطل والزور على ألسنتهم، ولا كان الفساد والشر في أفعالهم، إلا بإهمالهم أو تساهلهم في هذا الأصل العظيم"[3].

الفرع الرابع :وجوب طلب العلم الشرعي

كما ذكرنا سابقا أن ابن باديس دعا إلى طلب العلم والتعمق في البحث للإطلاع على أسرار الكون والعمران، نجد أنه وعند تفسيره لقوله تعالى:{ **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾** } الفرقان :74، يدعو الفرد المسلم إلى حضور مجالس العلم الشرعي التي تذكره بالله تعالى وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن يطبق كل ما يسمعه، وطلبة العلم اللذين وهبوا أنفسهم لله هم أولى بهذا الفعل من غيرهم ليصلوا إلى إمامة الحق،وهداية الخلق على أكمل حالة وأقرب طريق وذلك في قوله : كان الأعرابي الجاهل المشرك يأتي للنبي صلى الله عليه وسلم فيؤمن به ويصحبه، يتعلم منه الدين، ويأخذ عنه الهدى، فيستنير عقله بعقائد الحق، وتتزكى نفسه بصفات الفضل، وتستقيم أعماله على طريق الهدى، فيرجع إلى قومه هاديا مهديّا، إماما يقتدى به ويؤخذ عنه، كما اقتدى هو بالنبي صلى الله عليه وسلم وأخذ عنه .

فعلى كل مؤمن أن يسلك هذا السلوك فيحضر مجالس العلم التي تذكره بآيات الله وأحاديث رسوله صلى لله عليه وسلم ما يصّحح عقده ويزكي نفسه ويقوّم عمله، وليطبق ما يسمعه على نفسه، وليجاهد في تنفيذه على

---

[1]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1.ص 268

[2]– المرجع نفسه.ج 1.ص 268

[3]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 2.ص 173-174

ظاهره وباطنه، وليداوم على هذا حتى يبلغ ما قدّر له من كمال فيه، فيرجع وهو قد صار قدوة لغيره في حاله وسلوكه .

وطلبة العلم اللذين وهبوا نفوسهم لله، وقصروا أعمارهم على طلب العلم، لدعوة الخلق إلى الله، هم المطالبون على الأخص بهذا السلوك ليصلوا إلى إمامة الحق وهداية الخلق، على أكمل حالة ومن أقرب طريق .فاللهم وفقنا وهدنا إلى سنة نبينا إذا اقتدينا وإذا اقتدي بنا، آمين يا رب العالمين "[1].

المطلب الثالث : آداب طلب العلم

يفرض العلم على من ينشره ويتلقاه آدابا لا غنى لهما عنهما، وابن باديس في تفسيره لكتاب الله لم يغفل عن هذا الأمر، فتحدث عن السائل والعلاقة التي تنبغي أن تكون بين المتعلم والمعلم، بقوله : "لا جرم كان لرتبة التعلم آدابها ولرتبة التعليم آدابها كما تحدث عن بعض الآداب الخاصة بطالب العلم فتحدث عن حدود استعمال العقل عند طالب العلم كما دعاه إلى دوام التعلم للإزدياد من العلم، وحذره من الغرور بالعلم الذي حصله، ففوق كل ذي علم عليم، كما حذره كذلك من إتباع ما ليس له به علم وسأعرض في هذا المطلب بعض هذه الآداب المتناثرة في تفسيره مجالس التذكير .

الفرع الأول :أدب السائل

يقول ابن باديس عند تفسيره لقوله تعالى : { **وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينْ**} النمل :208، متحدثا عن أدب السائل عما يجهل،مستنبطا إياه من قصة سليمان عليه الصلاة والسلام لما تفقد الهدهد و لم يجده "سأل سليمان عن حال نفسه فقال "مالي لا أرى الهدهد؟ "، ولم يسأل عن حال الهدهد "ما للهدهد لا أراه ؟"،فذكر حال نفسه قيل أن ينكر حال غيره.

فنقل الحافظ الإمام ابن العربي عن الإمام عبد الكريم بن هوازن القشيري شيخ الصوفية في زمانه قال { **مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ** }النمل:208، لأنه اعتبر حال نفسه، إذ علم أنه أوتي الملك العظيم وسخر له الخلق، فقد لزمه

[1]- المرجع نفسه..ج 1.ص 268

حق الشكر بإقامة الطاعة وإدامة العمل، فلما فقد نعمة الهدهد توقع أن يكون قصر في حق الشكر، فلأجله سلبها فجعل يتفقد حال نفسه فقال :"ما لي" [1].

كما تحدث ابن باديس عن العلاقة التي ينبغي أن تكون بين السائل والمعلم له بقوله :" قد سمع سليمان هذا من الهدهد وأقره عليه، فللصغير أن يقول للكبير، وللحقير أن يقول للجليل : علمت ما لم تعلم، وعندي ما ليس عندك، إذا كان من ذلك على يقين، وكان لقصد صحيح .

ومن أدب من قيل له ذلك ولو كان كبيرا جليلا، أن يقبل ذلك، ولا يبادر بردّه، وعليه أن ينظر فيه ليعرف مقدار صدق قائله فيقبله أو يردّه بعد النظر والتأمل، إذ قد يكون في أصغر مخلوقات الله وأحقرها من يحيط علما بما لم يحط مثل سليمان عليه الصلاة والسلام في علمه وحكمته واتساع مدركاته وكفا بمثل هذا زاجرا لكل ذي علم عن الإعجاب بعلمه، و الاغترار بسعة اطّلاعه، والترفع عن الاستفادة ممن دونه"[2].

وأشار ابن باديس إلى أدب آخر من آداب المتعلم وهو' لزوم الصمت عند السماع 'لما في ذلك من رسوخ للعلم فيقول وتحت عنوان ' لزوم الصمت عند السماع':" كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه جبريل عليه الصلاة والسلام بالوحي وقرأه عليه قرأ معه وساوقه في القراءة، وكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم لحرصه على حفظه وعدم نسيانه حتى يبلّغه كما أنزل عليه .

ولأن تعلق قلبه بما يسمع من جبريل وامتلاءه به واستيلاء ذلك المسموع ذلك المسموع على لبه يدعوه إلى النطق به لما بين القلب واللسان من الارتباط .

ولأن شوقه إلى ذلك المسموع ومحبته ورغبته فيه تبعثه على التعجيل بقراءته، غير أن القراءة عند السماع وقبل تمام الإلقاء تمنع تمام الوعي، لأن عمل اللسان بالنطق يضعف عمل القلب بالوعي والحفظ، لهذا نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن أن يعجل بقراءة القرآن عند سماعه من جبريل من قبل أن يقضى ويتمم إليه وحيه فقال تعالى : { وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ }[3] طه:114 ".

ثم يكمل قائلا وتحت عنوان 'تأكيد الصمت بكف اللسان ' :" لا يتم تفرغ القلب للوعي إلا بسكون اللسان، فلا يكفي في تفرغه ترك القراءة الجهرية عند السماع حتى ينكف اللسان عن الحركة، فلا تكون قراءة لا

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 2.ص 226

[2]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود .ج 2.ص 234

[3]- المرجع نفسه.. ج 1.ص 384

جهرا ولا سرّا، فلهذا أكد الله تعالى طلب ترك القراءة بالنهي عن تحريك اللسان فقال : { لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ } القيامة : 16 .

ثم بين أن الله يجمعه في قلبه صلى الله عليه وسلم بالحفظ، وأنه يطلق بقراءته لسانه بقوله : { إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾} القيامة : 17. أي قراءتك إياه .

ثم أمره أن يتتبع قراءة جبريل إذا قرأه عليه فيقرأه كما قرأه بعد فراغه بقوله : { فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ } القيامة : 18. أي فإذا قرأه جبريل وفرغ منه، فاتبع قراءته فاقرأه كما قرأه .

وأنه تعالى يبينه بأقوال نبيه صلى الله عليه وسلم وأفعاله لقوله : {ثم إن علينا بيانه} القيامة : 19 "[1].

ثم يكمل مبينا أن هذا الأدب أدب عام وليس خاصا بالنبي وحده فيقول وتحت عنوان' هذا الأدب أدب عام' : " إنما المقصود من الكلام البيان عن المراد، وإنما المقصود من السماع وعي الكلام ليفهم المراد .فكما كان على المتعلّم أن يسكت حتى يفرغ معلمه من القدر المرتبط بعضه ببعض مما يلقيه إليه المعلم حتى يفرغ المعلم من إلقائه، كذلك على المناظر أن يستمع لمناظره حتى يستوفي دعواه وحجته وعلى كل قارئ لكتاب أن يستوفي ما يرتبط بعضه ببعض منه حتى يبدي رأيه فيه،وعلى كل مستمع لمتكلم كذلك .

فبهذا الأدب يتم وعي المتعلم فيحفظ، وفهم المناظر فيرد ويقبل، وفهم القارئ فيعرف ما يأخذ ويترك، وفهم السامع لتحصيل فائدة الاستماع .

وبترك هذا الأدب، كثيرا ما يقع سوء الوعي أو سوء الفهم، وفوات القصد من المناظرة أو القراءة أو الكلام "[2].

الفرع الثاني :حدود العقل

عند تفسير ابن باديس للآية الأولى من سورة يس وهي قوله تعالى : {يس}يس: 01 تكلم عن نعمة العقل التي رزقها الإنسان، وبين أنه من لطف الله بعباده أن جعل لهذا العقل حدود يجب أن لا يتعداها الإنسان،

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج 1.ص 384-385

[2]-المرجع نفسه.ج 1.ص 385-386

فيجب على المتعلم أن يقف عند الحقائق التي خفيت على العقل البشري لأن خفاءها جعل لإيقاف هذا العقل عند حده وتعريفه بقدر نفسه .

يقول ابن باديس متحدثا عما سبق ذكره :" إن الله تعالى أعطانا العقل الذي به ندرك الآيات التي نصبها لنا لنستدل بها على وجوده، ووحدانيته، وقدرته، وعلمه، وحكمته، ولطفه، ورحمته .

وبالنظر في هذه الآيات نصل –بتيسير الله– بعقولنا إلى إدراك بدائع عجيبة، وأسرار غريبة، ما تزال تتجلى لنا ماد منا نتأمل فيها ونعتبر بها، وما يزال الإنسان يكتشف منها حقائق ، مضت عليه أزمان، وهو يعدّها من المحال، ويجتني منها فوائد ما كانت تخطر له في أحقابه الماضية على بال "[1].

ثم يكمل مبينا أنه من لطف الله أنه جعل حدا لعقل الإنسان فيقول وتحت عنوان 'لطف الله في جعل حدّ لعقل الإنسان' :" غير أن استجلاء هذه الحقائق واستحصال هذه الفوائد من الآيات الكونية– على نفاستها وعظيم نفعها – محفوف بخطر الإعجاب بذلك العقل حتى يحسب أنه محيط بالحقائق كلها، وأن مدركاتها يقينيات بأسرها .

فيؤديه حسبانه الأول إلى الفتنة بالمدركات، فيحسب أنه لا شيء بعدها، فقد يخرج إلى إنكار خالقها، ويؤديه حسبانه الثاني إلى الذهاب في ظنونه وأوهامه وفرضياته إلى غايات لا نسب بين اليقين وبينها .

فكان من لطف الله بالإنسان أن جعل لعقله حدا يقف عنده وينتهي إليه، ليسلم من هذا الخطر،خطر الإعجاب بالعقل.

ففي آيات الله الكونية حقائق كثيرة تقف العقول حيارى أمامها، وقد تشهد آثارها ولا تستطيع أن تعرف كنهها، كحقيقة الكهرباء في الكون، وحقيقة الروح والعقل في الإنسان، فمثل هذه الحقائق المنغلقة التي يرتد عقل الإنسان إليه عنها خاسئا وهو حسير، هي التي تعرّفه بقدره، وبعظمة هذا الكون، وفخامة أمره فيقف بعقله عند حد النظر والاعتبار والاستدلال ببديع الصنعة وعظيم النعمة على حكمة الله البالغة ومنّته السابغة، دون خلط للأوهام بالحقائق ولا فتنة للمخلوق عن الخالق "[2].

ويشير ابن باديس إلى وجه خفاء حكم بعض الأحكام، ووقوف العقل عاجزا أمامها فيقول :" هذه الحقائق التي خفيت عن العقل البشري فلم يدرك كنهها، لم تقدح في دلالة آيات الأكوان على ما دلت عليه من وجود الخالق ووحدانيته، وقدرته وعلمه، وحكمته وفضله، وإحسانه ورحمته، فكذلك لم يقدح في بيان القرآن ودلالة آياته خفاء معاني بضع عشرة كلمة من كلماته .

---

[1]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج 2.ص 253

[2]– المرجع نفسه. ج 2.ص 254

وكما كان خفاء تلك الحقائق في الآيات الكونية إيقافا للعقل عند حده، وتعريفا له بقدره، وتنبيها له على عظم آيات ربه، كذلك كان خفاء هذه المعاني في الآيات القرآنية لمثل ذلك .

ونظير الآيات الكونية والآيات الكلامية في هذا الجلاء العام والخفاء الخاص :جملة من الأحكام، كعدد الصلوات والركعات والسجدات، التي خفيت على العقول حكمتها، وقد ظهرت الحكم الكثيرة الجليّة في سائر أحكام الشريعة غيرها .

ولم يقدح في حكمة الشريعة في أحكامها، خفاء ما خفي في بعضها، كما لم يقدح خفاء ما خفي من حقائق الآيات الكونية والآيات الكلامية في دلالتها وبيانها، والحكمة هنا في هذه الأحكام هي الحكمة المتقدمة فيهما.

ونظير الآيات الكونية والآيات الكلامية والأحكام الشرعية في هذا الخفاء الجزئي تصرفات الله في خلقه بمجاري أقداره، فد تظهر حكم الله فيها، وقد تخفى، وقد تخفى دهرا ، وتظهر بعد مدة وقد نبهنا الله على هذه الحقيقة بما قص علينا في قصة يوسف وما كان مجهولا من حكم قدر الله في مبدأ أمره، وما ظهر من تلك الحكم الباهرة للقدر في آخر أمره، وبما قصه علينا من قصة أم موسى لما أوحى إليها بقذفه في اليمّ وعدم الخوف عليه، وما كان من عواقب أمره، وكما لا ينفي الحكمة عن تدبير الله عدم ظهورها، كذلك لا ينفي الحكمة عن شرعه عدم فهمها، ولا يقدح في دلالة الآيات وبيانها عدم إدراك كنهها أو عدم فهم معناها "[1].

ثم وضح ابن باديس أنه يجب على المتعلم بناء العمل على هذا العلم، فيكون عمله بالنظر والبحث والتحليل واستجلاء الحقائق الكونية حتى إذا انتهي إلى مشكّل اعترف بعجز عقله، وكذا فيما يخص قدر الله، فيكون عمله فيه الاعتبار بتصاريف القدر، والاتعاظ بأحوال البشر، فإذا رأى من تصاريف القدر ما لم يعرف وجهه فليذكر عجزه وليتوقف .

ونفس الشيء بالنسبة لشرع الله من آيات قرآنية وأحاديث نبوية، ومقاصد الشرع، وكلام أئمة السلف، وتحصيل الأحكام وحكمها، والعقائد وأدلتها، والآداب وفوائدها، والمفاسد وأضرارها .

فيقول وتحت عنوان 'بناء العمل على هذا العلم ' :" قد رأيت كيف يقف العقل عاجزا أمام بعض أسرار الخلق والقدر والشرع والقرآن، مع يقينه بما علم منها، أن ما عجز عن إدراكه ما هو إلا مثل ما عرف في الحق والحكمة والنعمة، إذ الجميع- ما عرف زوما عجز عنه- من إله واحد حكيم خبير رحمن رحيم .

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 2.ص 256-255

فليذكر الناظر في خلق الله وقد ره وشرعه وكلامه دائما هذه الحقيقة :وهي ثبوت الحق والحكمة والنعمة في جميعها، وإمكان عجز عقله في بعض المواضع والأحوال عن إدراكها .فيكون عمله في خلق الله هو النظر والبحث والتحليل والاكتشاف، واستجلاء الحقائق الكونية،واستخراج الفوائد العلمية والعملية إلى أقصى حد توصله إليه معلوماته وآلاته، حتى إذا انتهى إلى مشكل استغلق عليه اعترف بعجزه، و لم يرتكب من الأوهام والفروض البعيدة ما يكسو الحقيقة ظلمة، ويوقع الباحث من بعده في ضلالة أو حيرة، فكثيرا ما كانت الفروض الوهمية الموضوعة موضع اليقينيات سببا في صد العقول عن النظر، وطول أمد الخطأ والجهل .

ويكون عمله في قدر الله هو الاعتبار في تصاريف القدر، والاتعاظ بأحوال البشر، واستحصال قواعد الحياة من سير الحياة، فإذا رأى من تصاريف القدر ما لم يعرف وجهه و لم يتبين له ما فيه من عدل وحكمة وإحسان ورحمة، فليذكر عجزه، وليذكر ظهور ما خفي عنه من مثل ذلك في وقت ثم ظهر له، فيوقن أن هذا مثله، وأنه إذا طالت به الأيام قد يظهر له من وجهه ما خفي منه، فيتلقاه الآن بالتسليم والتنزيه، رادّا علمه إلى الله تعالى، مفوضا أمره إليه.

ويكون عمله في شرع الله هو الفهم لنصوص الآيات والأحاديث، ومقاصد الشرع، وكلام أئمة السلف، وتحصيل الأحكام وحكمها، والعقائد وأدلتها، والآداب وفوائدها، والمفاسد وأضرارها، حتى إذا بلغ إلى حكم لم يعرف حكمته وقضاء لم يدر علته ذكر عجزه فوقه عنده، فلم يكن من المرتابين ولا من المتكلفين، و لم يمنعه عجزه من تعليل وتبيين وجه ذلك القليل عن المضي في التفهم والتدبر لما بقي له في الكثير .

ويكون عمله في كتاب الله هو التفهم والتدبر لآياته، والتفطن لتنبيهاته ووجوه دلالاته، واستثارة علومه من منطوقه ومفهومه على ما دلت عليه لغة العرب في منظومها ومنثورها، وما جاء في التفاسير المأثورة، وما نقل من فهم الأئمة الموثوق بعلمهم وأماناتهم، المشهود لهم بذلك من أمثالهم، فإذا وقف أمام المتشابه ردّه إلى المحكم، وإذا انتهى إلى فواتح السور ذكر عجزه فآمن بما لها من معنى، وقال : الله به أعلم .

فهذا السير النظري والعمل العلمي المبني على اليقين بعدل الخالق عز وجل وحكمته ورحمته في خلقه وقدره وشرعه وكلامه، ومعرفة العبد بقدره ومقامه، يزداد السائر على مقتضاه إيمانا وعلما وفوائد جمّة، ويسلم من

الغرور والأوهام والفتنة، وهو سبيل الراسخين اللذين يقولون فيما لا يفهمونه : {آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ } آل عمران :07"[1].

الفرع الثالث :دوام التعلم للازدياد من العلم والتحذير من الغرور، وإتباع ما ليس له به علم

عنون ابن باديس لقوله تعالى : {وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِي زِدْنِي عِلْمًا} طه:114، بقوله :' من آداب المتعلم حسن التلقي وطلب المزيد '، وتحدث تحته عن العلم والتعلم، وأنه لا حياة إلا بالعلم، كما بين شرف التعلم والتعليم .

ثم دعا المتعلم لدوام التعلم للازدياد من العلم وفي الأخير حذره من الاغترار بما حصله من علم كما حذره عن التوقف عن طلب العلم ما دام بقي فيه زمن من الحياة .

يقول ابن باديس :" لا حياة إلا بالعلم، وإنما العلم بالتعلم، فلن يكون عالما إلا من كان متعلما ، كما لن يصلح معلما إلا من قد كان متعلما .

ومحمد صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله معلما كان أيضا متعلما، علم الله بلسان جبريل، فكان متعلما عن جبريل عن رب العالمين، ثم كان معلما للناس أجمعين.

أرأيت أصل العلم ومن معلّموه ومتعلّموه ؟

ثم أرأيت شرف رتبة التعلّم والتعليم ؟

لا جرم كان لرتبة التعلم آدابها، و لرتبة التعليم آدابها، وكان محمد صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق في آدابهما بما أدبه الله وأنزل عليه من الآيات فيهما، مثل آيتنا اليوم وغيرها"[2].

ثم أكمل ابن باديس داعيا إلى دوام التعلم للازدياد من العلم فبقول :" يتعلم الإنسان حتى يصير عالما ويصير معلما، ولكنه مهما حاز من العلم وبلغ من درجة فيه ومهما قضى من حياته في التعليم وتوسع فيه وتكمل به، فلن يزال بحاجة إلى العلم، ولن تزال أمامه فيما علمه وعلّمه أشياء مجهولة يحتاج إليها، فعليه أبدا أن يتعلم، وأن يطلب المزيد.

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 2.ص 256-258

[2]- المرجع نفسه. ج 1.ص 383

ولذا أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم –وهو المعلّم الأعظم – أن يطلب من الله –وهو الذي علّمه ما لم يكن يعلم– أن يزيده علما فقال : { **وَقُلْ رَبِي زِدْنِي عِلْمًا** }.طه :114

و يواصل ابن باديس محذرا من الاغترار بالعلم وبالتالي التوقف عن التعلم، والتكلم بغير علم فيكون فتنة وشرا كبيرا، ثم يصف دواء بهذه الآية الكريمة لمن أصيب بهذا الداء فيقول تحت عنوان 'تحذير واقتداء' :" ما أكثر ما رأينا من قطعهم ما حصلوا من علم عن العلم، فوقف بهم عندما انتهوا إليه فجمدوا، وأكسبهم الغرور بما عندهم فتعظموا، وتكلّموا فيما لم يعلموا فضَلّوا وأظلُوا، وكانوا على أنفسهم وعلى الناس شر فتنة وأعظم بلاء.

فبمثل هذه الآية الكريمة يداوي نفسه من ابتلي بهذا المرض فيقلع عن جموده وغروره، ويزداد مما ليس عنده ممن عنده علم ما لم يعلم .

ويحذر من أن يقف عن طلب العلم ما دام فيه زمن من الحياة، ويقتدي بهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، فلن يزال يطلب من الله تعالى أن يزيده علما، ما ييسر له من أسباب، وما بفتح له من خزائن رحمته، وما يلقيه في قلبه من نور، وما يجعل له من فرقان، وما يوفقه إليه من أصل ذلك كله، وهو توقى الله والعمل بما علمه .

نسأل الله لنا وللمسلمين العلم النافع والعمل الصالح، فهو ولي الهداية والتوفيق"[1].

وكما بين ابن باديس للمتعلم حدود عقله والتي يجب أن لا يتجاوزها ودعاه إلى حسن الاستماع ودوام التعلم نجده هنا نهاه عن إتباع ما ليس له به علم وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : {**وَلا تَقفُ ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ إِنَّ السَّمعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤادَ كُلُّ أُولـئِكَ كانَ عَنهُ مَسئولًا** ﴿٣٦﴾ }الإسراء :36، " نهينا من أن نتبع ما ليس لنا به علم، فالذي نتبعه هو ما لنا به علم، أي لنا علم يقتضي إتباعه بأن يكون من عقائد الحق وأقوال الصدق وأفعال السداد، فأما ما كان من عقائد الحق في أمر الدين فلا حظر في اعتقاد شيء منه، وأما ما كان من أفعال السداد فكذلك.

وأما ما كان من أقوال الصدق، ففيه تفصيل، إذ ليس كل قول صادق يقال، فالنقائص الشخصية في الإنسان لا تقال في غيبته لأنها غيبة محرمة، ولا يجابه بها في حضوره لأنها إذاية ، إلا إذا وجهه بها على وجه النصيحة بشروطها المعتبرة التي من أولها أن لا تكون في الملأ.

---

[1]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1.ص 386

وهكذا يجب في مثل هذه الأصول الكلية عندما يتفقه فيها أن ينظر فيما جاء من الآيات والأحاديث مما في البيان لها والتفصيل في مفاهيمها "[1].

ثم واصل ابن باديس مبينا الأمور التي إذا اتبعها طالب العلم كان متبعا ما ليس له به علم، مقسما إياها إلى خمسة فروع فيقول وتحت عنوان 'تفريع' :" **الفرع الأول** :من اتبع ما ليس له به علم، فاعتقد الباطل في أمر الدين وفي حق الناس أو قال الباطل كذلك فيهما، أو فعل المحظور فهو آثم من جهتين : اتبع ما ليس له به علم، واعتقاده أو قوله للباطل وفعله للمحظور .

ومن اعتقد حقا عن غير علم، أو قال في الناس صدقا عن غير علم، أو فعل غير محظور عن غير علم، فإنه —مع ذلك– آثم من جهة واحدة، وهي اتبعه ما ليس له به علم، ومخالفته لمقتضى هذا النهي .

الفرع الثاني :المقلد في العقائد الذي لا دليل عنده أصلا، وإنما يقول :سمعت الناس يقولون فقلت، هذا آثم لاتباعه ما ليس له به علم، فأما إذا كان عنده دليل إجمالي كاستدلاله بوجود المخلوق على وجود خالقه فقد خرج من الإثم لتحصيل هذا الاستدلال له العلم .

والمقلد في الفروع دون علم بأدلتها متبع لمفتيه فيها، يصدق عليه باعتبار الأدلة التي يجهلها أنه متبع ما ليس له به علم، ولكنه له علم من ناحية أخرى وهي علمه لأن التقليد هو حكم الله تعالى في حق مثله من العوام بما أمر تعالى من سؤال أهل العلم، وما رفع عن العاجز من الإصر وهو من العامة العاجزين عن درك أدلة الأحكام "[2].

ثم يكمل قائلا:" **الفرع الثالث**: المجتهد إذا أفتى مستندا إلى ما يفيد الظن من أجبار الآحاد أو الأقيسة أو النصوص الأخرى الظنية الدلالة، هل هو متبع لغير علم ؟

والجواب :لا، بل هو متبع للعلم وذلك من ثلاثة وجوه : الوجه الأول : إن كل دليل يكون ظنيا بمفرده، يصير يقينا إذا عرض على كليات الشرع ومقاصده وشهدت له بالصواب، وهذا هو شأن المجتهدين في الأدلة الفردية

الوجه الثاني : أن المجتهد يعتمد في الأخذ بالأدلة الظنية لما له من العلم بالآلة الشرعية الدالة على اعتبارها.

الوجه الثالث :أن تلك الأدلة بمفردها تفيد الظن القوي الذي يكون جزما ويسمى كما نقدم علما، فما اتبع المجتهد إلا العلم .

---

[1]– مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود .ج 1.ص.268-269

[2]– المرجع نفسه. ج 1.ص 269-270

الفرع الرابع : لا نعتمد في إثبات العقائد والأحكام على ما ينسب للنبي صلى الله عليه وسلم من الحديث

الضعيف لأنه ليس لنا به علم فإذا كان الحكم ثابتا بالحديث الصحيح مثل قيام الليل، ثم وجدنا حديثا في فضل قيام الليل بذكر ثواب عليه مما يرغب فيه، جاز عند الأكثر أ ن نذكره مع التنبيه على ضعفه الذي لم يكن شديدا على وجه الترغيب.

ولو لم يكن الحكم قد ثبت لما جاز الالتفات إليه، وهذا هو معنى قولهم 'الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال ' أي في ذكر فضائلها المرغبة فيها لا في أصل ثبوتها، فما لم يثبت بالدليل الصحيح في نفسه، لا يثبت بما جاء من الحديث الضعيف في ذكر فضائله باتفاق أهل العلم أجمعين .

الفرع الخامس : أحوال ما بعد الموت كلها من الغيب فلا نقول فيها إلا ما كان لنا به علم بما جاء في القرآن العظيم أو ثبت في الحديث الصحيح، وقد كثرت في تفاصيلها الأخبار من الراويات مما ليس بثابت، لا يجوز الالتفات إلى شيء من ذلك ومثل هذا كل ما كان من عالم الغيب مثل الملائكة، والجن،والعرش والكرسي، والقلم، وأشراط الساعة، وما لم يصل إلى علم البشر"[1].

وذكر ابن باديس فوائد هذه الآية مؤكدا النهي عن اتباع ما ليس له به علم بقوله:" فختام هذه الآية تأكيد للنهي السابق وتفصيل لطرق العلم وتنبيه على لزوم حفظها واحدة واحدة، وترهيب للإنسان من إتباع ما لا يعلم لما يؤول إليه أمره من فضيحة يوم القيامة وخزي بشهادة جوارحه عليه، فالله نسأل أن يجعلنا متبعين للعلم في جميع ما نعمل، ويثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم"[2].

خلاصة :

وبعد بيان أهم جوانب التفسير الاجتماعي عند الشيخ ابن باديس نخلص إلى مجموعة من النتائج :

- الإصلاح الديني بصورة عامة له صلة مباشرة ووثيقة بالعصر الذي يتم فيه هذا الإصلاح، وبالظروف التي عشها المفكر الذي يقوم بهذه العملية الإصلاحية مما دفع بالشيخ ابن باديس للتركيز على هذا الجانب – الإصلاح

---

[1]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود. ج 1.ص 271-273

[2]- مجالس التذكير: عبد الحميد بن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود.ج 1.ص 273

الديني والخلقي – متتبعا الآيات التي تعالج مثل هذه الانحرافات والأفكار والمعتقدات الفاسدة وتقديمها للناس في قالب بسيط ومباشر .

- يجعل ابن باديس صوب عينيه دائما ضرورة العمل بالقرآن الكريم والرجوع إليه في كل محاولاته الإصلاحية .
- تعددت وجوه الإصلاح الديني وأساليبه عند الشيخ ابن باديس فشملت العقائد والتصورات، الأخلاق و السلوكات والأحكام والمعاملات.
- كما بذل ابن باديس جهودا في بناء وعي اجتماعي واقتصادي عند أفراد مجتمعه بذل جهودا كبيرة في بناء وعي سياسي .
- منهج ابن باديس لا يختلف عن منهج القرآن في العناية بأفراد المجتمع فهو يرى أن الأساس في الإصلاح الاجتماعي هو الذي ينطلق من الأفراد بإصلاح عقائدهم وأخلاقهم وتصرفاتهم الاجتماعية.
- كانت الحركة الإصلاحية التي قادها ابن باديس حركة شاملة تتجه بالعلاج إلى النفوس والعقول،إلى الفرد والمجتمع،و إلى مختلف مناحي الحياة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمـــة:

حاولنا من خلال بحثنا هذا والموسوم ب: "الاتجاه الاجتماعي في التفسير عند الشيخ عبد الحميد بن باديس من خلال تفسيره مجالس التذكير" التحلي بالموضوعية والواقعية في دراسة الجوانب التفسيرية الاجتماعية الإصلاحية عند الشيخ ابن باديس خلال محاولته النهوض بالأمة الجزائرية وإصلاح وضعها المزري إبان فترة الاستعمار الفرنسي لها ،وجعله من تفسير القرآن مبدأ انطلاقة للنهوض بها وأساس هديه في الدراسات العلمية والإصلاحي الديني والتربوي والاجتماعي ،إيمانا منه بأنه لا فلاح للمسلمين إلا بالرجوع إلى هدي القرآن والاستقامة على طريقته ،وأنه لا يوجد منهج متكامل قادر على الإصلاح الحقيقي في تغيير الظروف سوى القرآن الكريم .

وبعد هذه الجولة الطويلة والفسيحة مع تفسير ابن باديس توصلت لعدة نتائج تمثلت فيما يلي :

- ✓ يمتاز التفسير في عصر ابن باديس بتلونه باللون الاجتماعي الإصلاحي ،بمعنى معالجة النصوص القرآنية معالجة تقوم على إبراز مواقع الدقة في التعبير القرآني ثم تصاغ المعاني التي يهدف إليها القرآن في أسلوب شيق أخاذ ثم يطبق النص القرآني على ما في الكون من سنن الاجتماع ونظم العمران .
- ✓ يعد الاتجاه الاجتماعي الإصلاحي في التفسير كرد فعل على ما أحدثه الاستعمار في البلاد الإسلامية, ويعتمد هذا الاتجاه التفسيري على الارتباط بواقع الناس وحياتهم اليومية ،والسعي إلى تغييرها مما يجعل المفسر يعمد أولا إلى تشخيص المرض والتعرف على الداء ليتمكن من وصف العلاج النافع من القرآن الكريم .
- ✓ برز المفسرون الجزائريون في هذا الاتجاه التفسيري محاولة منهم إصلاح أوضاع مجتمعهم المزرية إبان فترة الاستعمار وذلك من خلال التوجه لتفسير كتاب الله عز وجل ومحاولة إيجاد حلول للمشاكل التي تتخبط فيها أمتهم.
- ✓ مدرسة الإصلاح في الجزائر وباعتبار انتمائها لمدرسة الإصلاح في المغرب العربي ليس فيها ما يذم ، فهي لم تتابع مدرسة الإصلاح في المشرق فيما شذّت فيه من آراء.
- ✓ الشيخ عبد الحميد بن باديس مفسر قدير للقرآن الكريم كرس ربع قرن من حياته لتفسير القرآن ،وكان تفكيره منصبا على أن يجعل من التفسير مبدأ انطلاقة للنهوض بالأمة الجزائرية إيمانا منه بأنه لا فلاح لها إلا بالرجوع إلى القرآن والاستقامة على طريقته.

- ✓ الغاية والهدف الرئيسي الذي سطره ابن باديس عندما تصدي لتفسير القرآن تتلخص في ثلاثة نقط :

1. إشعار الناس أن القرآن و السنة النبوية هما المخرج الوحيد مما يعانونه ثم العمل على ردهم إليهما بكل الطرق والوسائل .
2. فهم القرآن فهما كفهم السلف وتطبيقه كتطبيقهم له ،لأن ذلك هو الطريق الوحيد للعودة إلى القرآن .
3. أن يُفَسِر القرآن تفسيرا حديثا على طريقة السلف،فيخرج للناس فهما كفهم السلف الصالح .

- ✓ اعتمد ابن باديس خلال تفسيره لكتاب الله وتوجيهه على عدة طرق أهمها .

1. وضع النص القرآني في سياقه الزماني من أجل تحقيق أهدافه الإصلاحية بمعنى أن ابن باديس راعى في تفسيره ما يطرأ على واقع الناس من أحداث مختلفة : دينية ، اقتصادية ،سياسية واجتماعية .
2. مراعاة مقتضى حال المخاطبين عند اختيار وتحديد الأساليب التي تتم بها عملية الإصلاح .
3. مراعاة العصر وأزماته بمعنى أن ابن باديس يتجاوز القضايا الخلافية خلال تفسيره لكتاب الله، و يتعداها مباشرة لعرض أزمات العصر ومشاكله على النص القرآني لاستخلاص الحلول والعلاج اللازم لها .

- ✓ الإصلاح الديني بصورة عامة له صلة مباشرة ووثيقة بالعصر الذي يتم فيه هذا الإصلاح وبالظروف التي عاشها المفكر الذي يقوم بهذه العملية الإصلاحية ،مما دفع الشيخ ابن باديس إلى التركيز على هذا الجانب- الإصلاح الديني والخلقي – متتبعا الآيات التي تعالج مثل هذه الانحرافات والأفكار والمعتقدات الفاسدة وتقديمها للناس بأسلوب بسيط ومباشر .
- ✓ يجعل ابن باديس صوب عينيه دائما ضرورة العمل بالقرآن والرجوع إليه في كل محاولاته الإصلاحية ، لأنه لا يوجد منهج لإصلاح الفرد والمجتمع يعد منهجا متكاملا قادرا على الإصلاح الحقيقي في تغيير الأحوال والظروف سوى القرآن الكريم ، فكان منطلقه النص القرآني واستخراج كنوزه الهدائية الإصلاحية ،وهدفه إصلاح واقع مجتمعه وإيجاد حلول لمشاكله وأزماته المتعددة .
- ✓ تعددت وجوه الإصلاح الديني وأساليبه عند الشيخ ابن باديس فشمل : العقائد والتصورات ،الأخلاق والسلوكات ، الأحكام والمعاملات .
- ✓ منهج ابن باديس لا يختلف عن منهج القرآن في العناية بأفراد المجتمع فهو يرى أن الأساس في الإصلاح الاجتماعي هو الذي ينطلق من الأفراد بإصلاح عقائدهم وأخلاقهم وتصرفاتهم الاجتماعية .

- ✓ كانت الحركة الإصلاحية التي قادها ابن باديس حركة شاملة تتجه بالعلاج إلى النفوس والعقول ، إلى الفرد والمجتمع ،وإلى مختلف مناحي الحياة .

ويبقى جهد ابن باديس في الإصلاح ومهما حقق من نجاح وأتى بثمار يانعة جهدا بشريا يعتريه بعض القصور والنقص والتفاوت فالكمال لله عز وجل فالإنسان مهما أوتي من علم وتجربة يعجز كل العجز عن تكوين منهج متكامل وشامل ،وتبقى تجربة بشرية يعمل بمحاسنها ويستفاد من أخطائها .

وعلى الرغم من الجهود التي بذلت وتبذل من أجل إظهار الجهود الإصلاحية للعلامة ابن باديس، والإفادة من تجربته الطويلة في الإصلاح الاجتماعي تبقى هذه الجهود محتاجة إلى تدعيم وتقوية من أجل إعطاء ابن باديس وتراثه المكانة التي يستحقها ،من أجل هذا وبعد هذه الفسحة العلمية في رحاب تفسيره المجالس نورد مجموعة من الاقتراحات والتوصيات فيما يلي

- ✓ إعطاء التراث الباديسي عناية أكبر من البحث والدراسة خاصة ما تعلق منه بالحديث النبوي الشريف.
- ✓ التعريف بالعلامة ابن باديس للأجيال من خلال عقد الندوات والأيام الدراسية لتثمين أعماله وإعطائها بعدها الحضاري .
- ✓ دراسة الأحاديث الواردة في تفسير ابن باديس .
- ✓ الاستفادة من تجربة ابن باديس في مجال الإصلاح لمواجهة موجات التغريب والغزو الثقافي ،ومحاولة العودة بالمجتمع إلى هدي القرآن والسنة النبوية .

ملخص البحث :

إن المتتبع لحياة الشيخ ابن باديس وتفكيره وأعماله الإصلاحية يجد أن الإمام اختار لنفسه طريقا في العلم والإصلاح والتربية والتعليم, يقوم أساسا على كتاب الله تعالى يقول ابن باديس : "وليكن دليلنا في ذلك وإمامنا كتاب ربنا وسنة نبينا ،وسيرة صالح سلفنا ففي ذلك كله ما يعرّفنا بالحق ويبصرنا بالعلم ، ويفهمنا في الدين ويهدينا إلى الأخذ بأسباب القوة والعزة والسيادة العادلة في الدنيا ونيل السعادة الكبرى في الآخرة" .

فابن باديس يجعل صوب عينيه دائما ضرورة العمل بالقرآن والرجوع إليه في كل المحاولات الإصلاحية فليس من منهج لإصلاح الفرد والمجتمع يعد منهجا متكاملا قادرا على الإصلاح الحقيقي في تغيير الأحوال والظروف سوى القرآن الكريم.

ولهذا وقع اختياري على هذا الموضوع ليكون موضوعا للبحث فكان عنوانه" **الاتجاه الاجتماعي في التفسير عند الشيخ عبد الحميد بن باديس من خلال تفسيره مجالس التذكير**" وحاولت من خلاله الوصول إلى تأصيل منهجه الإصلاحي في تفسير كتاب الله, ولتحقيق هذا الهدف الأساسي المرجو من هذه الدراسة قسمت البحث إلى ثلاثة فصول وخاتمة؛ خصص الفصل الأول منه للحديث عن مفهوم الاتجاه الاجتماعي في التفسير بصورة عامة ,وكذلك الحديث عن التفسير والمفسرون في الجزائر ،كذا الاتجاه الإصلاحي الاجتماعي فيها .

أما الفصل الثاني فقد خصصته للحديث عن الإمام عبد الحميد بن باديس وتفسيره "مجالس التذكير".

وحوى الفصل الثالث والأخير على جوانب التفسير الاجتماعي عند الشيخ عبد الحميد ابن باديس ، ثم ختم البحث بخاتمة شملت أهم النتائج المتوصل إليها .

Résumé :

Ceux qui suivent la vie de Cheikh Ibn Badis et sa pensée, et son réformiste estime que l'imam a choisi pour lui-même une méthode dans la science et la réforme de l'éducation est basée principalement sur le livre de Dieu (Quaran) , Ibn Badis nous dit: «Laissez notre guide le livre de notre dieu et la Sunna de notre Prophète, et la biographie en faveur de nos prédécesseurs, Ce qui précède nous connaissons la vérité., Et nous comprendre notre religion et de nous guider à l'introduction des raisons pour lesquelles la juste force, la fierté et souveraineté dans le monde et le grand bonheur dans la vie future .

Ben Badis fait l'égard de ses yeux toujours besoin de travailler avec le Coran et de s'y référer dans toutes les tentatives de réforme, ce n'est pas une approche de la réforme de l'individu et de la société, est une approche intégrée capable de véritable réforme de l'évolution des conditions et des circonstances que le Coran.

Nous devons choisir le sujet de «La tendance sociale dans l'interprétation quand Cheikh * Ben Badis par l'interprétation madjalis el tadkir »

Et j'ai essayé à travers ce travail d'enracinement son approche réformiste dans l'interprétation de l'Quaran ; Pour atteindre l' objectif principal souhaité de cette étude j'ai divisé la recherche en trois chapitres et une conclusion; premier chapitre consacré à parler de la notion de tendance sociale dans l'interprétation en général, ainsi que parler de l'interprétation et de commentateurs en Algérie, ainsi que la tendance réformiste social.

Le deuxième chapitre alloué pour parler de l'imam Abdul Hamid Ben Badis et interprété " madjalis el tadkir " .

Le troisième chapitre traite des aspects sociaux de l'interprétation quand Cheikh Abdelhamid Ibn Badis, Puis conclusion étanche inclus les résultats les plus importants.

قائمة المصادر و المراجع

❖ القرآن الكريم

1- كتب السنة

2-الجامع الصحيح : أبي عبد الله محمد ابن إسماعيل البخاري ،ت :محي الدين الخطيب و محمد فؤاد عبد الباقي وقصي محمي الدين الخطيب. المطبعة السلفية.القاهرة .ط.1. 1004ه .

3-الجامع الصحيح :أبي الحسن مسلم ابن الحجاج .طبعة مصححة ومنقحة .

❖الكتب

4-ابن باديس وعروبة الجزائر :محمد الميلي .وزارة الثقافة .الجزائر.2007م.

5-اتجاه التفسير في العصر الحديث : مصطفى محمد الحديدي الطير .المكتبة العصرية. صيدة بيروت.

6-اتجاهات التجديد في تفسير القرآن :محمد الشريف إبراهيم .دار السلام .القاهرة .2008م.

7-اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم :محمد إبراهيم شريف.دار السلام :مصر. ط:1(1429هـ2008م.

8-اتجاهات التفسير في العصر الحديث:مصطفى محمد الحديدي الطير .المكتبة العصرية. بيروت.1974م.

9-اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر هجري:فهد الرومي.مؤسسة الرسالة :المملكة العربية السعودية.ط. 3. 1418ه ،1998م.

10- الإتقان في علوم القرآن :السيوطي.دار الفكر :بيروت.د.ط (1428هـ-2008م).

11- آثار ابن باديس :عبد الحميد ابن باديس .ت :عمار طالبي.الشركة الجزائرية:الجزائر. ط.:3(1417هـ -1997م).

12- آثار الإمام ابن باديس :وزارة الشؤون الدينية .دار البعث .الجزائر. 1985م .
13- أساس البلاغة :الزمخشري .ت:عبد الرحيم محمود.دار المعرفة :بيروت.
14- الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية: محمد عبده.دار المار: د. م .ط:7(1367هـ).
15- أعلام الإصلاح في الجزائر :محمد علي دبوز .الجزائر. 1974 م .
16- أعلام الفكروالثقافة في الجزائر المحروسة :يحي بوعزيز. دار الغرب الإسلامي .بيروت.ط.1. 1985 م .
17- أعلام تونسيون :الصادق الزمرلي .ي : جمادى الساحلي.دار الغرب الإسلامي :بيروت. ط :1(1986م.
18- أليس الصبح بقريب :محمد الطاهر بن عاشور .دار السلام .القاهرة .
19- الإمام إبراهيم بيوض وجهاده الإسلامي :بكير سعيد أعوشت .د.ن:د.م.
20- إمام الجزائر عبد الحميد ابن باديس :عبد القادر فوضيل ومحمد الصالح رمضان ،دار الأمة . برج الكيفان الجزائر. ط.1(1998).
21- الإمام عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية : الزبير ابن رحال. دار الهدى. الجزائر.1997م .
22- بحوث في أصول التفسير ومناهجه :فهد الرومي.مكتبة التوبة : ط.4. 1419هـ .
23- بحوث منهجية في علوم القرآن :موسى إبراهيم الإبراهيم .دار عمار.الأردن .ط.2.1415هـ ، 1995م .
24- البرهان في علوم القرآن :الزركشي .ت:محمد أبو الفضل إبراهيم .دار التراث :القاهرة.
25- بيان موقف الطاهر بين عاشور من الشيعة من خلال تفسيره التحرير والتنوير :خالد أحمد الشامي .د.م.د.ت.
26- تاج العروس من جواهر القاموس :الزبيدي .ت:عبد المنعم جليل إبراهيم وكريم سيد محمد محمود.دار الكتب العلمية : بيروت.
27- تاريخ الجزائر :عشراني سليمان :دار العرب.الجزائر. د.ط.2010 م .

28- تاريخ الجزائر الثقافي :أبو القاسم سعد الله.دار الغرب الإسلامي . بيروت. ط:1(1998م).

29- تاريخ الجزائر المعاصر 1830م- 1989 م : رابح لونيسي،بشير بلاح العربي، منور دادوة .دار المعرفة .باب الواد. الجزائر.

30- التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962: عمار بوحوش.دار الغرب الإسلامي .بيروت .ط:1(1997م.

31- تعريف الخلف برجال السلف :الحفناوي .مؤسسة الرسالة. بيروت. ط 2.(1405هـ-1885م).

32- تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: صلاح عبد الفتاح الخالدي .دار القلم :دمشق.2005م.

تفسير ابن باديس : عبد الحميد ابن باديس .ت :محمد الصالح رمضان وتوفيق شاهين ،دار الفكر . د.ت. ط.3 .1399هـ ،1979 م.

33- تفسير التحرير والتنوير :محمد الطاهر ابن عاشور.الدار التونسية :تونس.

34- تفسير القرآن الحكيم : رشيد رضا .دار المنار :القاهرة ط:2(1366هـ-1947م).

35- تفسير المراغي :أحمد مصطفى المراغي.مكتبة مصطفى البابي وأولاده .مصر. ط:1(1365هـ-1946م.

36- التفسير والمفسرون :محمد حسن الذهبي .مكتبة وهبة .ط.7. 2000م.

37- التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد:عبد الغفور محمد مصطفى جعفر.دار السلام:القاهرة.2007 م.

38- التفسير والمفسرين في غرب إفريقيا :محمد ابن رزق ابن طرهوني .دار ابن الجوزي :م ع السعودية .ط.1. 1425ه.

39- تفكير محمد رشيد رضا من خلال مجلة المنار :محمد صالح المراكشي .الدار التونسية :تونس.

40- تيسير التفسير :محمد ابن يوسف أطفيش .ت:إبراهيم ابن محمد طلاي .المطبعة العربية:غرداية .د.ط (1417هـ 1996م).

41- جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر :عبد الرشيد زروقة ،دار الشهاب .بيروت. ط.1 (1420هـ/1999م).

42- الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر : علي مراد .ترجمة محمد بحياتم ،دار الحكمة .الجزائر.2007 م .

43- الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر (عبد الحميد ابن باديس):محمد طهاري .دار النعمان .برج الكيفان الجزائر.

44- دراسات في التفسير وأصوله :محي الدين بلتاجي.مكتبة الوسلال :بيروت ط:1(1987م).

45- دراسات في علوم القرآن :فهد الرومي .د.ن. الرياض .ط.14. 1425ه ، 2005م .

46- رجال السلف ونسائه :عبد الحميد ابن باديس .ت :محمد الصالح رمضان وتوفيق محمد شاهين .الشركة الجزائرية. الجزائر.

47- الرد النفيس على الطاعن في العلامة ابن باديس :محمد حاج عيسى ،مكتبة الإمام مالك .باب الواد .الجزائر .د.ط. (1429هـ/2008م).

48- رواد النهضة والتحرير في الجزائر 1889م – 1965 م: عبد الكريم بو الصفصاف .عين مليلة. الجزائر. طبعة منقحة . 1428ه ، 2007 م .

49- زعماء الإصلاح في العصر الحديث :أحمد أمين .دار الكتاب العربي:بيروت .د.ط(1979م).

50- شجرة النور الزكية:محمد ابن محمد مخلوف.المطبعة السلفية.القاهرة د.ط(1349هـ).

51- شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور حياته وأثاره :بلقاسم الغالي .دار ابن حزم :بيروت. ط:1(1417هـ-1996م).

52- الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر: تركي رابح.د.ن. الجزائر .ط.3 . 1981 م .

53- صراع بين السنة والبدعة : أحمد حماني ،دار البعث .الجزائر.ط.1.(1405هـ/1984م.

54- عبد الحميد ابن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية :محمود قاسم ،دار المعارف .القاهرة .ط:2.

55- عبد الحميد ابن باديس حياته وآثاره.ت :عمار طالبي. دار الغرب الإسلامي .بيروت.ط.2. 1983م.

56- عبد الحميد ابن باديس مفسرا :حسن عبد الرحمان سلوادي .المؤسسة الوطنية للكتاب :الجزائر.

57- عبد الحميد ابن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية :سام العسلي .دار النفائس.بيروت .لبنان،دار رائد.الجزائر. طبعة خاصة. 1413هـ ، 2010م .

58- العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والحديث النبوية :عبد الحميد ابن باديس ، ت: محمد الحسن فضلاء. در البعث.قسنطينة . 1985 م .

59- العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والحديث النبوية :عبد الحميد ابن باديس ، ت: محمد الحسن فضلاء. ت: محمد الصالح رمضان ،دار الفتح.الشارقة .

60- العلامة محمد ابن يوسف أطفيش حياته ،آثاره الفكرية ، جهاده : بكير ابن سعيد أعشت .المطبعة العربية :غرداية. د.ط.(1989م).

61- علم التفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرا الحاضر: عبد المنعم النمر.دار الكتاب المصري :القاهرة .دار الكتاب البناني:بيروت . 1985 م.

62- عنوان الدراية في من عرف من العلام في المائة السابعة ببجاية :أبو العباس الغبريني . ت. رابح بونار. الشركة الوطنية . الجزائر.

63- الفكر العربي الحديث والمعاصر محمد عبده وعبد الحميد ابن باديس نموذجا :عبد الكريم بو صفصاف. دار الهدى :عين مليلة : الجزائر .2005 م .

64- الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا :أنور الجندي .دار القومية .القاهرة. 1955 م .

65- في رحاب القرآن (تفسير سورة الإسراء): إبراهيم عمر بيوض. ت: عيسى ابن محمد الشيخ بلحاج. جمعية التراث .القرارة غرداية. ط:02.

66- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير :محمد ابن لطفي الصباغ .المكتب الإسلامي:بيروت.ط.3. 1990 م .

67- مباحث في علوم القرآن :مناع القطان .مكتبة وهبة :القاهرة .ط.7.

68- مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير :عبد الحميد ابن باديس .ت :أبو عبد الرحمان محمود.دار الرشيد:الجزائر. ط:1(1430هـ-2009م).

69- مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير :عبد الحميد ابن باديس. مطبوعات وزارة الشؤون الدينية. دار البعث :الجزائر.ط.1. 1402ه، 1982 م .

70- مجالس التذكير: عبد الحميد ابن باديس.ت: أبو عبد الرحمان محمود .دار الرشيد.الجزائر. ط1 (1430هـ/2009م).

71- مختار الصحاح: محمد ابن أبي بكر ابن عبد القادر الرازي.ت:محمود خاطر.مكتبة لبنان ناشرون. بيروت. ط جديدة(1415-1995).

72- المصلح المجدد الإمام ابن باديس لهذا حاولوا اغتياله :محمد الصالح الصديق.ديوان المطبوعات الجامعية.ابن عكنون الجزائر .2005 م.

73- المفسرون الجزائريون عبر العصور : مختاراسكندر .د.ن.الجزائر.

74- المفسرون مدارسهم ومناهجهم :فضل حسن عباس .دار النقاش .الأردن .ط.1. 2007 م .

75- من ذكرياتي عن الإمامين الرئيسين عبد الحميد ابن باديس و محمد البشير الإبراهيمي :باعزيز بن عمر . طبعة خاصة بوزارة المجاهدين. ط.2. 2008م .

76- مناهج المفسرين في العصر الحديث بين النظرية والتطبيق :منصور كافي ،دار العلوم للنشر. عنابة.

77- مناهل العرفان :الزرقاني .دار الفكر:بيروت ط1(1424هـ-2004م).

78- نهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير :فهد الرومي.المملكة العربية السعودية .ط.2. 1403 ه، 1985 م .

79- النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين :محمد رجب البيومي . منشورات المكتبة العصرية :بيروت . د.ط (1400هـ-1980م.

80- موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب: يحي بوعزيز .دار الهدى .عين مليلة .الجزائر.

❖المعاجم

81- البحر المحيط : أبو حيان الأندلوسي.ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض .دار الكتب العلمية :بيروت. ط:1(1413هـ-1993م).
82- لسان العرب :ابن منظور .دار صادر.بيروت. .ط:1.
83- معجم أعلام الجزائر :عادل نويهض . المكتب التجاري للطباعة.بيروت. ط:1(1971م.
84- معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحالي :عادل نويهض .مؤسسة نويهض الثقافية. ط :2(1406هـ-1986م) .
85- المعجم الوسيط .
86- الأعلام : خير الدين الزركلي.
87- معجم أعلام الإباضية : جمعية التراث.القرارة.
88- المذكرات
89- أهم اتجاهات التفسير في بلاد المغرب في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين : هلال خزاري .رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه .الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد. باكستان (1423هـ- 2003).
90- منهج الإصلاح ومجالاته بين عبد الحميد ابن باديس وابراهيم بيوض:نور الدين سكحال ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه .جامعة الأمير عبد القادر ،كلية أصول الدين ،قسم الدعوة والإعلام والإتصال (1428 – 1429 هـ /208-2007م).
91- دراسة الباحثة نادية وزناجي : ودراستها تحمل عنوان "منهج التفسير عند الشيخين عبد الحميد بن باديس وإبراهيم بيوض" لنيل شهادة الماجستير .جامعة باتنة ،وقد تطرقت لدراسة منهج التفسير عند الشيخ عبد الحميد بن باديس بصفة عامة ،وأما الجانب الإصلاحي الاجتماعي فيه فقد تناولته بشيء من الاختصار وعدم التوسع .
92- الباحث عبد الرحيم صالحي من خلال بحثه "منهجية التفسير عند الإمام ابن باديس" لنيل شهادة الماجستير بجامعة الأمير عبد القادر .قسنطينة ،وتحدثت هذه الدراسة أيضا عن الشيخ عبد الحميد بن باديس ومنهجه التفسيري وأهم خصائصه أما الجانب

93- الدوريات والجرائد

94- اللغة في منهج الشيخ أطفيش التفسيري (قراءة في كتابه تيسير التفسير):يحي صالح بوتردين .مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية . ع27. (ربيع الثاني 1430هـ - أفريل 2009م).دار الهدى :عين مليلة.

95- مجلة الأصالة ،ع:46 .(السنة السادسة ربيع الثاني 1397هـ ،أفريل 1917م).

96- الرجال أعمال : محمد البشير الإبراهيمي (جريدة البصائر،العدد:64 ،سنة 1948م).

97- شيخ الإسلام بتونس :عبد الحميد ابن باديس ، البصائر ، العدد:16 (الجمعة 2 صفر 1355هـ الموافق لـ24 أفريل 1636م).

98- ابن باديس وعوامل نجاحه في أداء رسالته :أحمد ابن دياب ، مجلة الأصالة .السنة الخامسة(ربيع الثاني 1396هـ/أفريل 1976م)

99- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي : الإبراهيمي 1.ت : أحمد طالب الإبراهيمي .دار الغرب الإسلامي .بيروت .ط:1 1997م .ج.3 (عيون البصائر)

100-عناية الإمام ابن باديس بقضايا المرآة وجهوده في النهوض بها :حجيبة شيدح .مجلة الوعي .ع.1.رجب –شعبان 1431هـ/جويلة 2010م . دار الوعي .الجزائر

101-اللغة في منهج الشيخ أطفيش التفسيري (قراءة في كتابه تيسير التفسير):يحي صالح بوتردين .مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية . ع27. ربيع الثاني 1430هـ - أفريل 2009م.دار الهدى :عين مليلة

102- الطاهر ابن عاشور رائد الإصلاح : الصادق رشيد .جريدة المشرق الأوسط 1425هـ ـ 2004م

103-جريدة البصائر :العدد226 ،يوم الجمعة 03 شعبان 1372 هـ ،الموافق لـ 17 أفريل 1953م

104-مجلة الشهاب .مج14.ج.4-5.عدد جوان وجويلية سنة 1938

فهرس الآيات

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة الفاتحة (01)		
{ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴿7﴾}	07	54
سورة البقرة (02)		
{ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّـهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ }	242	49
{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّـهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾}	08	54
سورة آل عمران (03)		
{ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾}	64	50
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّـهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ }	130	50
{ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ }	146	224
{آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ }	07	261
سورة النساء (04)		
{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ }	01	55
سورة الأعراف (07)		
{ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذا جاءَ أَجَلُهُم لا يَستَأخِرونَ ساعَةً وَلا يَستَقدِمونَ ﴿٣٤﴾ }	34	219
{عَسى رَبُّكُم أَن يُهلِكَ عَدُوَّكُم وَيَستَخلِفَكُم فِي الأَرضِ فَيَنظُرَ كَيفَ تَعمَلونَ ﴿١٢٩﴾ }	129	219
{ وَلَو أَنَّ أَهلَ القُرى آمَنوا وَاتَّقَوا لَفَتَحنا عَلَيهِم بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالأَرضِ }	**96**	**225**
سورة التوبة (09)		
مَا كَانَ لِلنَبِي واللذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَةٍ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَنَ لَهُمْ أَنَهُمْ أَصْحَابُ الجَحِيمِ}	113	214
سورة يونس (10)		
{ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ }	98	225
{ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذا جاءَ أَجَلُهُم فَلا يَستَأخِرونَ ساعَةً وَلا يَستَقدِمونَ ﴿٤٩﴾ }	49	114
سورة هود (11)		

{ وَما كانَ رَبُّكَ لِيُهلِكَ القُرى بِظُلمٍ وَأَهلُها مُصلِحونَ ﴿١١٧﴾ }	117	220
سورة يوسف(12)		
{ وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين ﴿81﴾ }	81	252
{ قُل هـــذِهِ سَبيلي أَدعو إِلَى اللَّـــهِ عَلى بَصيرَةٍ أَنا وَمَنِ اتَّبَعَني وَسُبحانَ اللَّـــهِ وَما أَنا مِنَ المُشرِكينَ ﴿١٠٨﴾ }	108	136،202
سورة الرعد (13)		
{ إِنَّ اللَّـــهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَومٍ حَتّى يُغَيِّروا ما بِأَنفُسِهِم }	11	192
سورة النحل(16)		
{ ادعُ إِلى سَبيلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجادِلهُم بِالَّتي هِيَ أَحسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبيلِهِ وَهُوَ أَعلَمُ بِالمُهتَدينَ(١٢٥) }	125	134،172،201
{ وَضَرَبَ اللَّـــهُ مَثَلًا قَريَةً كانَت آمِنَةً مُطمَئِنَّةً يَأتيها رِزقُها رَغَدًا مِن كُلِّ مَكانٍ }	112	220
سورة الإسراء(17)		
{وَما أَرسَلناكَ عَلَيهِم وَكيلًا ﴿٥٤﴾ }	54	123
{وَإِن مِن قَريَةٍ إِلّا نَحنُ مُهلِكوها قَبلَ يَومِ القِيامَةِ أَو مُعَذِّبوها عَذابًا شَديدًا كانَ ذلِكَ فِي الكِتابِ مَسطورًا ﴿٥٨﴾ }	58	146
{وَآتِ ذَا القُربى حَقَّهُ وَالمِسكينَ وَابنَ السَّبيلِ }	26	151
{قُلِ ادعُوا الَّذينَ زَعَمتُم مِن دونِهِ فَلا يَملِكونَ كَشفَ الضُّرِّ عَنكُم وَلا تَحويلًا ﴿٥٦﴾ }	36	215،252،263
{لا تَجعَل مَعَ اللَّـــهِ إِلـــهًا آخَرَ فَتَقعُدَ مَذمومًا مَخذولًا ﴿٢٢﴾ }	22	132،168
{وَقُل جاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ الباطِلُ إِنَّ الباطِلَ كانَ زَهوقًا ﴿٨١﴾}	81	172
{وَكُلَّ شَيءٍ فَصَّلناهُ تَفصيلًا ﴿١٢﴾}	12	175
{ذلِكَ مِمّا أَوحى إِلَيكَ رَبُّكَ مِنَ الحِكمَةِ }	39	175
{ أُولـــئِكَ الَّذينَ يَدعونَ يَبتَغونَ إِلى رَبِّهِمُ الوَسيلَةَ أَيُّهُم أَقرَبُ وَيَرجونَ رَحمَتَهُ وَيَخافونَ عَذابَهُ إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ كانَ مَحذورًا ﴿٥٧﴾}	57	179
{وَمِنَ اللَّيلِ فَتَهَجَّد بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أَن يَبعَثَكَ رَبُّكَ مَقامًا مَحمودًا ﴿٧٩﴾ }	79	180
{ قُل كُلٌّ يَعمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ فَرَبُّكُم أَعلَمُ بِمَن هُوَ أَهدى سَبيلًا ﴿٨٤﴾}	84	183
{وَلا تَمشِ فِي الأَرضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخرِقَ الأَرضَ وَلَن تَبلُغَ الجِبالَ طولًا﴿٣٧﴾ }	37	188
{وَقُل لِعِبادي يَقولُوا الَّتي هِيَ أَحسَنُ }	53	190
{ رَبُّكُم أَعلَمُ بِما في نُفوسِكُم إِن تَكونوا صالِحينَ فَإِنَّهُ كانَ لِلأَوّابينَ	25	195،197

غَفورًا ﴿٢٥﴾ }		
{ أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلوكِ الشَّمسِ إِلى غَسَقِ اللَّيلِ وَقُرآنَ الفَجرِ إِنَّ قُرآنَ الفَجرِ كانَ مَشهودًا ﴿٧٨﴾ }	78	199
{ مَن كانَ يُريدُ العاجِلَةَ عَجَّلنا لَهُ فيها ما نَشاءُ لِمَن نُريدُ ثُمَّ جَعَلنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصلاها مَذمومًا مَدحورًا ﴿١٨﴾ }	18	200
{ وَلا تَقرَبُوا الزِّنى إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَساءَ سَبيلًا ﴿٣٢﴾ }	32	207
{ وَلا تَقتُلوا أَولادَكُم خَشيَةَ إِملاقٍ نَحنُ نَرزُقُهُم وَإِيّاكُم إِنَّ قَتلَهُم كانَ خِطـًٔا كَبيرًا ﴿٣١﴾ وَلا تَقرَبُوا الزِّنى إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَساءَ سَبيلًا ﴿٣٢﴾ وَلا تَقتُلُوا النَّفسَ الَّتي حَرَّمَ اللَّـهُ إِلّا بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظلومًا فَقَد جَعَلنا لِوَلِيِّهِ سُلطانًا فَلا يُسرِف فِي القَتلِ إِنَّهُ كانَ مَنصورًا ﴿٣٣﴾ }	32-31	209
{ وَقَضى رَبُّكَ أَلّا تَعبُدوا إِلّا إِيّاهُ وَبِالوالِدَينِ إِحسانًا إِمّا يَبلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُما أَو كِلاهُما فَلا تَقُل لَهُما أُفٍّ وَلا تَنهَرهُما وَقُل لَهُما قَولًا كَريمًا ﴿٢٣﴾ وَاخفِض لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحمَةِ وَقُل رَبِّ ارحَمهُما كَما رَبَّيانِي صَغيرًا ﴿٢٤﴾}	24-23	211
{ وَآتِ ذَا القُربى حَقَّهُ وَالمِسكينَ وَابنَ السَّبيلِ }	36	234
{ وَأَوفوا بِالعَهدِ إِنَّ العَهدَ كانَ مَسئولًا }	34	234
{ وَإِن مِن قَريَةٍ إِلّا نَحنُ مُهلِكوها قَبلَ يَومِ القِيامَةِ أَو مُعَذِّبوها عَذابًا شَديدًا كانَ ذلِكَ فِي الكِتابِ مَسطورًا ﴿٥٨﴾ }	58	219
{ وَلا تَقفُ ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ إِنَّ السَّمعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤادَ كُلُّ أُولـٰئِكَ كانَ عَنهُ مَسئولًا ﴿٣٦﴾ وَلا تَمشِ فِي الأَرضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخرِقَ الأَرضَ وَلَن تَبلُغَ الجِبالَ طولًا﴿٣٧﴾ }	37-36	221،251
{ كُلًّا نُمِدُّ هـٰؤُلاءِ وَهـٰؤُلاءِ مِن عَطاءِ رَبِّكَ وَما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحظورًا ﴿٢٠﴾ }	20	230
سورة الكهف(18)		
{وَ تِلْكَ القُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا}	59	220
سورة مريم(19)		
{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾}	96	169
سورة طه(20)		
{ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴿١٣١﴾}	131	208
{ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ }	114	257،261
سورة الأنبياء(21)		
{ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ	105	113،198،226

﴿١٠٥﴾ }		
{ وَكَم قَصَمنا مِن قَريَةٍ كانَت ظالِمَةً وَأَنشَأنا بَعدَها قَومًا آخَرينَ ﴿١١﴾ }	11	219
سورة الحج(22)		
{إِنَّ اللَّـهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّـهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ }	38	170،223
سورة المؤمنون(23)		
{ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ }	51	181
سورة النور(24)		
{ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ }	63	145،243
{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّـهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّـهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّـهَ إِنَّ اللَّـهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ }	62	172،241
سورة الفرقان (25)		
{ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ }	29-27	114،174
{ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾}	33	116،165
{ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾}	62	119،180،194
{ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّـهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ }	71	121
{وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَـٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾}	30	149،164،247
{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾}	32	161
{ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّـهِ إِلَـٰهًا آخَرَ }	68	167،210
{وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾}	65	179
{قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾}	77	179
{ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ }	66-65	180،187
{ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴿٢﴾ }	02-01	184

{وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ }	72	187
{ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ }	74	207،255
{ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ }	20	227
سورة النمل(27)		
{ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾}	28	117
{ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾}	21	124
{حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾}	18	142،217،238
{ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ }	22	193،249
{ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ }	23	206
{ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّـهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ }	15	232،235
{ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينْ}	208	237،256
{ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ }	17	239
{ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴿٢٣﴾ }	23	240
{ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَـــذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ }	16	249
{ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (26) }	26	250
سورة القصص(28)		
{ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونْ}	59	237
سورة العنكبوت(29)		
{ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا }	08	211
سورة لقمان(31)		

{ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ }	14	211
سورة الأحزاب(33)		
{ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّـــهِ تَبْدِيلًا }	62	114
سورة فاطر (35)		
{ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّـــهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ }	43	114
سورة يس (36)		
{ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾}	07	118،171
{إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَـــنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ }	11	174
{وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ }	12	177
{ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾}	09-08	195
{ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ }	05	251
{يس}	01	258
سورة غافر (40)		
{ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ }	19	125
سورة الزخرف (43)		
{ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ }	67	115
سورة الأحقاف (46)		
{ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا }	15	212
سورة الفتح(48)		
{ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّـــهِ تَبْدِيلًا }	23	114
سورة الذاريات(51)		
{فَفِرُّوا إِلَى اللَّـــهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ }	50	172
{ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿50﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿51﴾}	51-50	231
سورة النجم(53)		
{وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴿٤﴾ }	04-03	162

سورة الرحمان(55)		
{ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿4﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿5﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿6﴾ }	06-04	268
سورة الطلاق(65)		
{ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾}	08	221
سورة القيامة(75)		
{ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾}	01	48
{ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ }	16	257
{ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾}	17	257
{ثم إن علينا بيانه}	19	257
سورة التكوير(81)		
{ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ }	18-17	48
سورة البروج (85)		
{ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ }	01	48
سورة الفجر (89)		
{ وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ }	02-01	47)
سورة الشمس (91)		
{ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ }	10-09	ؤعلفءر ؤط196

فهرس الأحاديث

الحديث أو طرفه	الصفحة
'من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه هو رد'	162
'كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار'	177
'في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ،وإذا فسدت فسد الجسد كله'	183،196
'كان خلقه القرآن'	186
'فقد جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: من أحق الناس بحسن صحابتي ؟(أي صحبتي من حسن العشرة والبر والتكرمة) قال : "أمك" قال :ثم من ؟ قال : "أمك" .قال :ثم من ؟ قال : "أبوك"'	212
'لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة'	240
'فكفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع'	254

فهرس الأعلام

اسم العلم	الصفحة
عبد الرحمان بن رستم بن بهرام	03
هود بن محكم الهواري الأوراسي	04
البغائي	05
أبو جعفر بن نصر الداودي التلمساني	06
البونـــي	07
الورجلاني	07
المسيلي	08
الشيخ التلمساني	09
الزواوي	09
الشيخ الشريف التلمساني	10
أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسنطيني	11
الباهلي المفسر	11
الشيخ عبد الرحمان الثعالبي	12
محمد بن مرزوق الحفيد	13
المغيـــلي	14
التلمساني	14
ابن الوقاد	15
المقـــري	15

البليـــدي	16
البونـــي	16
التلمســـاني	17
المعسكري	17
السنوســـي	18
الجزائـــري	19
الشيخ طاهر الجزائري	19
ابن الخوجة المضربة	20
صالح بن عمر	20
الشيخ عمر راسم	21
الأمام محمد عبده	36
السيد محمد رشيد رضا	39
محمد مصطفى المراغي	41
الشيخ محمد الطاهر بن عاشور	42
الشيخ محمد بن يوسف أطفيش	68
الشيخ إبراهيم بيوض	72
الإمام عبد الحميد ابن باديس	81

فهرس الموضوعات

قرآن		
شكر		
مقدمـــة		أ – ز
الفصل الأول	**الاتجاه الاجتماعي للتفسير في الجزائر**	01
تمهيد		02
المبحث الأول	التفسير والمفسرون في الجزائر	02
المطلب الأول	المفسرون الجزائريون من القرن الثاني إلى القرن الرابع الهجري	03
الفرع الأول	القرن الثاني الهجري	03
الفرع الثاني	القرن الثالث الهجري	04
الفرع الثالث	القرن الرابع الهجري	05
المطلب الثاني	المفسرون الجزائريون من القرن الخامس إلى القرن السابع الهجري	05
الفرع الأول	القرن الخامس الهجري	05
الفرع الثاني	القرن السادس الهجري	07
الفرع الثالث	القرن السابع الهجري	08
المطلب الثالث	المفسرون الجزائريون من القرن الثامن إلى القرن العاشر الهجري	09
الفرع الأول	القرن الثامن الهجري	09
الفرع الثاني	القرن التاسع الهجري	12
الفرع الثالث	القرن العاشر الهجري	14
المطلب الرابع	المفسرون الجزائريون من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر الهجري	15
الفرع الأول	القرن الحادي عشر الهجري	15
الفرع الثاني	القرن الثاني عشر الهجري	16
الفرع الثالث	القرن الثالث عشر الهجري	17
الفرع الرابع	القرن الرابع عشر الهجري	18
المبحث الثاني	مفهوم الاتجاه الاجتماعي في التفسير	22
المطلب الأول	تعريف المصطلحات	22
الفرع الأول	الاتجاه	22
الفرع الثاني	الإصلاح	26

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفرع الثالث	التفسير	28
المطلب الثاني	نشأة الاتجاه الاجتماعي وتطــوره وأهــم رواده	33
الفرع الأول	المراد بالاتجاه الاجتماعي الإصلاحي في التفسير	33
الفرع الثاني	نشأته وتطوره	34
الفرع الثالث	أهم رواده	36
المطلب الثالث	منهج المدرسة الاجتماعية في التفسيــر	47
المطلب الرابع	المدرسة الاجتماعية في التفسيــر في ميزان النقد	57
الفرع الأول	محاسن المدرسة	57
الفرع الثاني	عيوب المدرسة	58
المبحث الثالــث	التفسير الاجتماعي في الجزائر	59
المطلب الأول	أسباب ظهور الاتجاه الاجتماعي في التفسير في الجزائر	60
المطلب الثاني	نشأة التفسير الاجتماعــي في الجزائر وتطوره	63
المطلب الثالث	أهم رواد التفسير الاجتماعي من المفسريــن الجزائرييــن	67
الفرع الأول	الشيخ محمد بن يوسف أطفيش	68
الفرع الثاني	الشيخ إبراهيم بيوض	72
خلاصة		76
الفصل الثاني	**ابن باديس وتفسيره مجالس التذكير**	78
تمهيد		79
المبحث الأول	ترجمة للشيخ عبد الحميد بن باديس	79
المطلب الأول	نشأته وتكوينه العلمي	79
الفرع الأول	مولده ونشأته الأولى	79
الفرع الثاني	رحلته إلى تونس	82
الفرع الثالث	عودته إلى الجزائر	84
الفرع الرابع	رحلته إلى المشرق العربي	85
المطلب الثاني	شخصية وعوامل تكوينهــا	86
الفرع الأول	شخصيته	86
الفرع الثاني	عوامل تكونها	88
المطلب الثالث	مكانته العلميــة	92
الفرع الأول	الجهود العملية التي قام بها ابن باديس	93
الفرع الثاني	ثناء العلماء على ابن باديس	96

المطلب الرابع	وفاته وآثاره	99
الفرع الأول	وفاته	99
الفرع الثاني	آثاره	100
المبحث الثاني	مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير	103
المطلب الأول	تفسير ابن باديس للقرآن	104
المطلب الثاني	منهجه ومصادره في التفسير	107
الفرع الأول	منهجه في التفسير	107
الفرع الثاني	مصادره في التفسير	109
المطلب الثالث	الخصائص ذات الغرض الإصلاحي في تفسير ابن باديس	111
الفرع الأول	خاصية تنزيل النص القرآني على قضايا المجتمع	111
الفرع الثاني	خاصية الإرشاد	113
الفرع الثالث	خاصية الإقتداء	115
الفرع الرابع	خاصية التعليم	118
الفرع الخامس	خاصية العبرة	120
الفرع السادس	خاصية الترهيب والترغيب	121
الفرع السابع	خاصية التوجيه	123
الفرع الثامن	خاصية التنبيه	125
الفرع التاسع	خاصية التحذير	126
المبحث الثالث	أهداف التفسير عند الشيخ عبد الحميد بن باديس	128
المطلب الأول	الرجوع إلى الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح	129
المطلب الثاني	الدعوة والإصلاح	131
الفرع الأول	اعتماد الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح	132
الفرع الثاني	اعتبار الدعوة إلى التوحيد أولى الأولويات	132
الفرع الثالث	اعتبار شمول الشريعة	133
الفرع الرابع	طريق الإصلاح هو التعليم و العلم الصحيح هو سلاح الدعاة في معركة الإصلاح	133
الفرع الخامس	إظهار الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	135
الفرع السادس	الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة	136
المطلب الثالث	محاربة البدع والجمود الفكري	137
المطلب الرابع	ربط الآيات القرآنية بالواقع	140

المبحث الرابع	طريقة ابن باديس في توجيه النص القرآني:	143
المطلب الأول	استغلال الأحداث السياسية في الجزائر	143
المطلب الثاني	مراعاة العصر وأزماته	148
المطلب الثالث	مراعاة مقتضى الحال	152
خلاصة		156
الفصل الثالث	**جوانب التفسير الاجتماعي عند الشيخ ابن باديس**	158
تمهيد		159
المبحث الأول	الإصلاح الديني والخلقي	160
المطلب الأول	إصلاح العقائد	160
الفرع الأول	المصادر الأساسية لتلقي العقيدة	160
الفرع الثاني	التزام الصحة	163
الفرع الثالث	موقفه من طريقة المتكلمين وتجنب الخوض في المسائل الكلامية	164
الفرع الرابع	تقرير مسائل الاعتقاد وفق ما دلت عليه النصوص الشرعية	165
المطلب الثاني	إصلاح العبادات	173
الفرع الأول	مصادر تلقي العبادات هي الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح	173
الفرع الثاني	التزام الصحة في إثبات العبادات	175
الفرع الثالث	اجتناب العبادات المبتدعة	176
الفرع الرابع	القيام بالعبادات على الوجه الحق	178
المطلب الثالث	إصلاح الأخلاق	182
الفرع الأول	الأخلاق الفاضلة مقترنة بالعقائد الحقة	182
الفرع الثاني	التربية التي تضمنها القرآن كفيلة بعلاج المجتمع	183
الفرع الثالث	مرشد وموجه الأخلاق	184
الفرع الرابع	أمثلة تطبيقية	187
المبحث الثاني	الإصلاح الاجتماعي	191
المطلب الأول	العناية بالفرد	192
الفرع الأول	مكانة الفرد وضرورة العناية به	192
الفرع الثاني	صلاح النفوس وإصلاحها	195
الفرع الثالث	العناية بوقت الفرد	199
الفرع الرابع	دعوة الفرد للأخذ بالأسباب وحثه على السعي والعمل	200

الفرع الخامس	الدعوة إلى الله وبيان سبيل الرب	201
المطلب الثاني	إصلاح الأسرة والعناية بها	204
الفرع الأول	مكانة المرأة في الأسرة وضرورة العناية بها	204
الفرع الثاني	دعوته للتزوج وطلب النسل والمحافظة على الأسرة	207
الفرع الثالث	بر الوالدين والإحسان إليهما في القول والعمل وتأكيده في حالة الكبر	211
المطلب الثالث	الروابط الاجتماعية والسياسية والجنسية	215
الفرع الأول	حاجة أفراد المجتمع لبعضهم البعض	215
الفرع الثاني	المصير المشترك للفرد والجماعة التي ينتمي إليها	217
الفرع الثالث	علاقة أفراد المجتمع الواحد فيما بينهم	218
المطلب الرابع	أسباب رقي الأمم وسقوطها	219
الفرع الأول	أطوار الأمم وأعمارها	219
الفرع الثاني	أسباب سقوط الأمم	221
الفرع الثالث	طريق النجاة والخلاص	224
الفرع الرابع	علاقة الأمم بعضها ببعض	228
الفرع الخامس	أسباب التقدم وأصناف الناس بحسب أخذهم بها	229
المبحث الثالث	الإصلاح السياسي	233
المطلب الأول	السياسة عند ابن باديس	234
المطلب الثاني	نماذج عن أصول الولاية والحكم في الإسلام من تفسير ابن باديس	236
الفرع الأول	العدل والرحمة أساس الملك والنهي عن خيانة الأمة	236
الفرع الثاني	من واجبات الحاكم والفرد المسؤول في مجتمعه	237
الفرع الثالث	شروط القائد والزعيم	238
الفرع الرابع	الاجتماع العام للأمر العام وارتباط الجماعة بأمر الإمام	241
المبحث الرابع	الإصلاح التعليمي والتربوي	245
المطلب الأول	إصلاح التعليم أساس الإصلاح	246
المطلب الثاني	أهمية العلم والترغيب فيه	248
الفرع الأول	الترغيب في العلم	248
الفرع الثاني	آية العلم	251
الفرع الثالث	العلم هو وحده الإمام المتبع في الحياة	253
الفرع الرابع	وجوب طلب العلم الشرعي	255
المطلب الثالث	آداب طلب العلم	256

الفرع الأول	أدب السائل	256
الفرع الثاني	حدود العقل	258
الفرع الثالث	دوام التعلم للازدياد من العلم والتحذير من الغرور وإتباع ما ليس له به علم	262
خلاصـــة		266
الخاتمة		267
ملخـــص البحث		270
فهرس الآيـــات		272
فهرس الأحاديث		279
فهرس الأعلام		280
قائمة المصادر والمراجع		282
فهرس الموضوعات		291

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية